مجموع كتب ورسائل
الإمام المحسن بن أحمد عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

تم الصف والإخراج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

صف وإخراج	حفظ الله أحمد أحمد عقيل
إشراف	عبد الحفيظ حسن النهاري
	٠٠٩٦٧٧١١٧١٣٤٥٦

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠١٠م

(   )

دار الإمام زيد بن علي للطباعة والنشر

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

info @izbacf . Org_ :Website : www. izbacf.org ; email

مجموع كتب ورسائل

الإمام المحسن بن أحمد عليه السلام

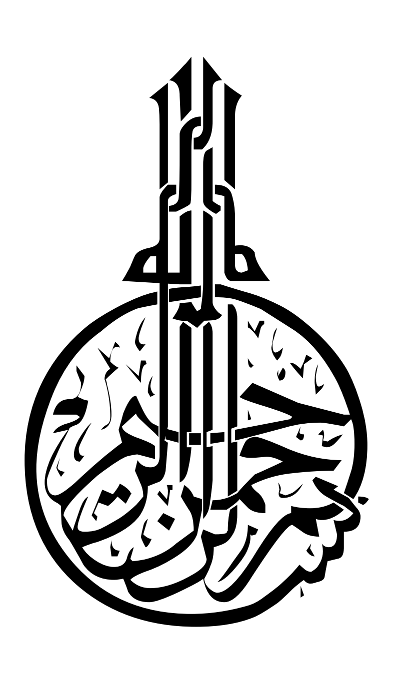
جمعه ورتبه وحققه وعلق عليه

عبد الرحمن محمد محمد المتوكل

ويله تراجم الآباء عليهم السلام

للمحقق





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى

إن أهم ما يجب على الإنسان هو البحث عن تأريخ الصالحين وسيرهم وقصصهم، لتتجسد في عينيه شخصياتهم، ولينقل سيرهم في سيرته، وأفعالهم في أفعالـه، إلى أبنائـه وأحفاده ومجتمعه فإذا أردت أن تعرف إماماً معرفة كاملة من شـتى الجوانـب فعليـك بكتبه ومؤلفاته، وأخص بالذكر (مجموع كتبه ورسائله) عند أن تتأمل فيها ستضهر لك شخصية ذلك الإمام بين عينيك، وسيأخذ المساحة الأكبر من قلبك، وذلـك لأن كتبـه ورسائله تعالج وتناقش قضايا شتى، اجتماعية- اقتصادية- دينية – سياسـية- فعنـدما تجد هذا كله وتُمعن نظرك فيه ستصبح وكأنك تعيش في عصر ذلك الإمام، وكذلك إذا قرأت أي مؤلَّف لإمام ما، سواءً في الاصول أو الفروع أو اللغـة أو غـير ذلـك فإنـك ستعرف عظمته ومكانته العلمية، لكن الكتاب يكون محصوراً في ذلك الفن، أما مجموع كتبه ورسائله فإن فيه شتى الفنون، إما رسائل ردٍ على معارضيه الذين يناوؤن الـدعاة، وإما فتاوي علمية وهي تكون شاملة للفقه والمواريث واللغـة والتـأريخ وغـير ذلـك، وإما رسائل الدعوة أو وصايا أو غير ذلك.

ولك أن تنظر في مجاميع كتب ورسائل الأئمة " كمجموع الإمام القاسم الرسي%، ومجموع كتب الإمام زيد %، ومجموع كتب الإمام الهادي، ومجموع كتب المنصور بالله، وغيرهم من الأئمة، فإنها تحفظ الفكر وتهذب النفـوس وتحيـي القلـوب، فمـن تلـك المجاميع المفيدة (مجموع كتب ورسائل الإمام المحسن %) الذي بين يديك الكريمتين، وهذا الكتاب العظيم الذي ألحق الزمن الأخير بزمن الأئمة الأوائل، وخصوصاً تلـك العقود الأخيرة من القـرن الثالـث عشر الهجـري، فإنهـا مـرت بتحـولات غامضـة، وظروف قاسية، ولذا نرى كثيراً من الباحثين والمؤرخين يسأل ويبحـث عـن أحـداث ذلك الزمن، فقد أوضحت سيرة الإمام % ومجمـوع كتبـه ورسـائله كثـيراً مـن ذلـك

الغموض.

فيا أيها الطالب لنجاة نفسه، أمامك أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وهذا تراثهم العلمي بين يديك، فخذ علومهم، واسلك سبيلهم، وارتشف من معينهم، فإنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وتمسك إن أردت الفوز بعروتهم الوثقى، فهم النمرقة الوسطى، وسفينة النجا، فإذا هاجت أمواج الفتن فشقها بسفن النجاة، فبين يديك كتابٌ بين دفتيه صفحات تحمل في سطورها شخصية إمام عظيم، وبدرٍ سطع في سماء الهدى.

فقد حاولت أن أجمع فيه كل ما وجدته من كتبه %، وأنظاره وأجوبته، ورسائله، وأثبت فيه أيضاً كل ما ثبت في السيرة بأمر الإمام %، أو أجاب أحد من العلماء بأمره أو نائباً عنه، فلأنه قائم مقامه في الجواب أو الفتيا أثبته لأجل ذلك، لأن القصد هي الفائدة وإيصالها إلى قارئها بأحسن صورة وبأسهل عبارة، وحاولت كثيراً عدم الإخلال بالمعنى وسياق الكلام في لفظ السيرة عند نقل الرسائل، مع أني قد نبهت عليها عند كل رسالة، وجعلته ثلاثة أقسام.

القسم الأول: أصول الدين وما يتعلق بالباطنية، ويضم عدة رسائل (أجوبة على الباطنية وردود).

القسم الثاني: رسائل الدعوة وما يتعلق بذلك ويتضمن (الرسائل التي كان يبعثها إلى القبائل أو من ألَّف رسالة بأمره كالإمام المهدي محمد بن القاسم % فإنه أمره الإمام % أن يؤلف الموعظة الحسنة دعوة للإمام المحسن إلى البلاد القاصية كما ذكر ذلك في السيرة).

القسم الثالث: أجوبته % وأنظاره وفتاويه.

والجدير بالذكر أني لم أُخَرِّجُ الأحاديث إما لشهرة في بعضها، وإما لأنه قد خرجها

مؤلف الرسالة، ولم أترك ذلك كسلاً أو تهاوناً وإنما خشية الإطالة، ولعدم تساوي رقم الصفحة بالكتب المطبوعة، فكان يقول المؤلف مثلاً (رواه الدارقطني أو البخاري أو ابن ماجة) وغير ذلك فاكتفيت بذلك.

فأ تمنى إن شاء الله أني قد فعلت بعض ما يلزمني، وإن وجد القارئ الكريم خطأً أو زللاً فليستره، فالإنسان محلٌ للخطأ والنسيان.

وأسأل الله التوفيق والسداد والثبات وحسن الختام

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

وكتب راجي عفو ربه ومغفرته وتوفيقه

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد

لطف الله به وغفر له ولوالديه وللمؤمنين أجمعين

حرر بتأريخ ربيع الثاني / ١٤٣١هـ الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م



القسم الأول

أصول الدين وما يتعلق بالباطنية

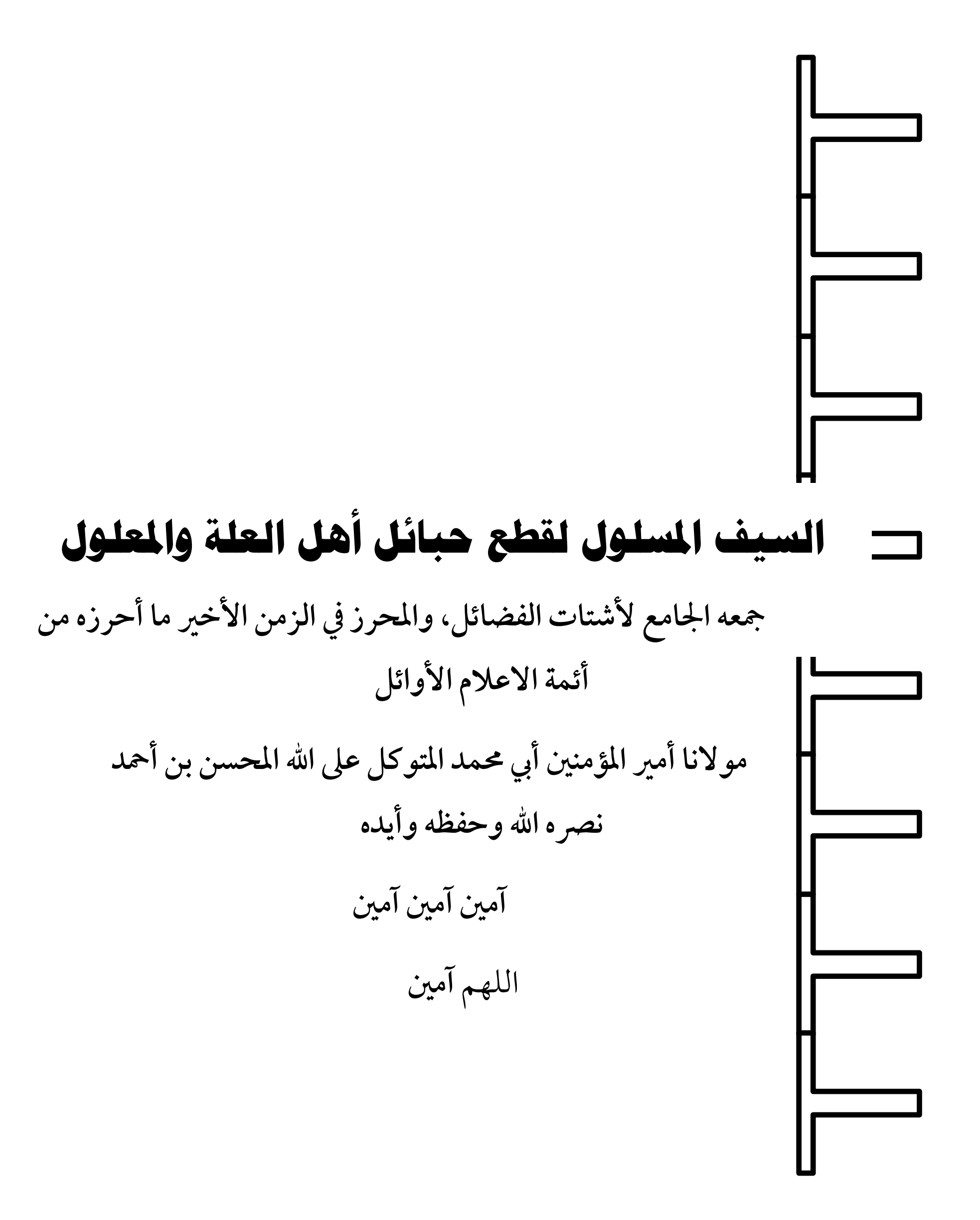
ويحتوي على الآتي:

١ - السيف المسلول لقطع حبائل أهل العلة والمعلول.

٢ - رسالة العلامة يحيى القطفا جواب على سؤال الباطني.

٣- الجواب الأول على سؤال الباطني.

٤ - جواب الباطني الحسن بن إدريس على الشهيد عامر.



السيف المسلول لقطع حبائل أهل العلة والمعلول

جمعه الجامع لأشتات الفضائل، والمحرز في الزمن الأخير ما أحرزه من أئمة الاعلام الأوائل

مولانا أمير المؤمنين أبي محمد المتوكل على الله المحسن بن أحمد نصره الله وحفظه وأيده

آمين آمين آمين

اللهم آمين

هذه الرسالة وجدت نسخة منها بمكتبة جامع الشجرة بحوث عمرها الله بالصالحين، والعلماء العاملين، وهي بخط العلامة عبد الكريم عاطف، وبعد بحث طويل من نسخة أخرى وجدتها صدفة بمكتبة بعض طلاب العلم، وجعلتها الأصل، ودفعتها هي للصف، لأنه قال آخرها: (تمت سماعاً وقراءة على مصنف هذا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين المحسن بن أحمد أمير المؤمنين حفظه الله ونصره وجزاه الله عن المسلمين أفضل الجزاء، يوم الإثنين غرة شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩١هـ في المقام الشريف لماطلع بمحروس مدينة حوث، وقد صححناها عليه قراءةً وتصحيحاً أيده الله، فما وافق هذه النسخة فهو المصحح المعمول عليها، وما خالفها صُححت عليها) انتهى.

والنسخة الأخرى رمزت لها بـ(أ) عند المقابلة.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فطر القلوب على توحيده وتمجيده، وأورى قبسها الثاقب بأفكار صالحي صفوته وعبيده، الذي لا تدركه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الأول الآخر، الباطن الظاهر، لا تحويه العناصر، ولا تحله الأعراض والجواهر، المتصف بصفات الكمال، المتعالي عن الأنداد والأشباه والأمثال، تبارك ربنا وتعالى عن أن يكون حالّا أو محلولاً، دلت على وجوده بدائع مخلوقاته، ومحكمات مصنوعاته، واتصف لأجلها وبذاته بجميل نعوته وصفاته، القادر، العالم، الحي، الدائم، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، الذي لم يلد فيكون والداً، ولم يولد فيكون مولوداً، سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له شريك في ملكه أبدا، الغني عمن سواه، فلا معين له فيما أحدثه وبراه، العدل فيما حكم به وقضاه، له الأسماء الحسنى، والأمثال العلى، الصادق في وعده ووعيده، المصدق بمعجزاته لمن انتخبه من صفوته وعبيده، وأقر بوحدانيته الصامت والناطق بما أتقن وصنع، فإليه يفزع الملهوف إذا فزع، كان ولا شيء قبله شديد المحال، وهو كائن قبل الحال وعلى كل حال، ساوى بين خلقه في الخلق والموت والفناء والحياة وفي الرزق المحتوم لا المقسوم، فما شق فاه إلا كفاه ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، ولا تضمنه الأنواع والأعراض والأجناس، القريب البعيد، الفعال لما يريد، لا يظلم العباد، ولا يحب الفساد، بل دعاهم إلى الرشاد ، وحذرهم من العناد، واستأدى شكر نعمه، ليزيدنا من مواهبه ومننه وكرمه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صدقه بباهر معجزاته، وواضح[1] بيناته وآياته، وجعل منها محكمات تنزيله الشهيرة، مثيرة لدفائن العقول المنيرة، والصلاة والسلام

---

(١) في (أ): وأوضح.

على رسوله محمد المبعوث إلى الخاص والعام، وعلى آله سفن النجاة ونجوم الظلام، صلاة وسلاماً يتعاقبان تعاقب الدهور والأعوام، ويكونان ذخيرة لنا في يوم النشور إذا اشتد الزحام، يوم تكشف السرائر والضمائر، ويرى كل محشور ما إليه آيب وصائر، وأشهد أن خليفته من بعده أخوه المرتضى، وسيفه المنتضى، وأن فاطمة الزهراء سيدة النساء، في الدنيا والأخرى، وأن ولديهما الإمامان من بعد أبيهما قاما أو قعدا، مولانا أبي محمد الحسن، ومولانا أبي عبد الله الحسين المؤتمن، سيدي الشهداء، وأن الخلافة بعدهما فيمن صلح من ذريتهما الطاهرين، وقام ودعى إلى يوم الدين.

وبعد..

فهذه الرسالة فيما يتعلق بالعقول العشرة، كاشفة لكلام فرق الفلاسفة الخمس، حاكية لوحدة مذاهبهم واتصالها بأصل واحد كاتصال يومنا بالأمس، وهم الفلاسفة العلية، والمناطقة[1] الجوهرية العرضية العلية، والباطنية النفسية [العلية][2]، والمطرفية [العنصرية العلية، والصوفية] [3] الحلولية الفروجية العلية، والمنجمة داخلة في تلك الفرق مقربة من منهاج القرشي، وتجريد الطوسي، وشرحه للقوشنجي، ومن شرح الثلاثين المسألة وما سنح من كتب الكلام الحاكية لمذاهب الفلاسفة اللئام، ومن بعض رسائل المنطق فيما يتعلق بالصناعة المنطقية، ومن رسالة الاسم الأعظم، ورسالة شرح النفس للخطاب بن الحسن بن [أبي][4] الحفاظ الباطني، ومن رسالة التذكرة لحاتم بن إبراهيم الباطني، ومن رسالة الإحسان في خلق الإنسان، وما سنح من رسالة الصورة والهيولى، من رسائل إخوان الصفا، حاكياً لكلام إخوانهم الفلاسفة، وهذه الرسالة

---

(١) في (أ): والناطق.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من (أ).

(٤) ساقط من (أ).

الحاكية لنحلة الباطنية المذكورة هنا هي بخط الفقيه محمد بن يحيى مرجز الباطني الهمداني الطوظاني، رقم رسالة التذكرة في شهر صفر سنة ١٢٧٦سنة ست وسبعين ومائتين وألف، وزبر رسالة الاسم الأعظم، ورسالة شرح النفس في تاريخ شهر ربيع الأول في تلك السنة سنة ١٢٧٦، وحرر رسالة الإحسان في خلق الإنسان في سادس عشر من شهر جمادى الأخرى في تلك السنة أيضاً سنة ١٢٧٦، رقم الكل في بندر سورت من بلاد الهند بمحضر الداعي عبد القادر نجم الدين بن الداعي طيب زين الدين، قال ما لفظه: بقلم أحقر العبيد للملك الصنديد، بحر العلم الزاخر، جم الفضائل والمفاخر، سيدنا أبي محمد عبد القادر، نجم الدين بن سيدنا طيب زين الدين[1]، فلما برزت عقائدهم ورسائلهم في القراطيس، وكادت أيامهم أن تلحق بأيام المعلم الأول أرسطاطاليس لولا ما دفعهم الله به أولاً بسيفنا، وثانياً بتسليط ناجم العجم، وثالثاً: وفي كل حال بالرد بأقلامنا وأقلام أتباعنا من سادات الأنام، والعلماء الأعلام، حملني ذلك على بيان مخازيهم، ونشر فضائحهم، والرد عليهم بما سنح من الأدلة العقلية، والميره النقلية الإجمالية والتفصيلية، رجاء للثواب، وحسن المآب، وعملاً بما ورد في محكم السنة والكتاب، وحذراً من وعيد الكتمان على عدم البيان، وطمعاً في أن نكون ممن يعلن الحق عند ظهور البدعة، وحدوث الشنعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠] وقال النبي ÷: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً» وقال النبي ÷: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإسلام –أو قال الإيمان– ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»، وقد كفت علوم آبائنا الأوائل، وأفادت أتباعهم الأفاضل، واحتوت على صحيح المدلول والدلائل، ولكن لا يزال مارد الشياطين

(١) هنا انتهى كلام الباطني، وبعده كلام الإمام %.

يختطف الخطفة في كل حين فيتبعه شهاب ثاقب، وسهم صائب، يقطع أبهريه ويحل أخبثيه ويبطل أصليه ويجدع أنفه، ويسمه على الخرطوم حتى يكون عبرة لمن خلفه، وها نحن نورد كلام الفلاسفة أولاً: ليكون كالمدخل إلى ما نحن بصدده من الرد على الباطنية، ثم نفرد صناعة المناطقة، ثانياً، ثم ننقل كلام الباطنية، ثالثاً، ومن اتصل بهم ليعلم أنهم إخوان الفلاسفة من القول بتأثير العلة وإيجابها، وقدم العالم ووحدة الوجود، وإنكار الصانع الفاعل المختار المعبود، وإن رادفوا بعض الألفاظ والعبارات، أو زيفوها بالتمويهات المحتملات المقبولات.

نقل كلام القرشي لكلام الحكماء الفلاسفة

قال القرشي في منهاجه ناقلاً لكلام الفلاسفة: قالت الفلاسفة: المؤثر في العالم علة قديمة صدر عنها عقل واحد من حيث عقلت نفسها ثم تكثَّر هذا العقل من ثلاث جهات:

فمن حيث عقل باريه صدر عنه عقل وهو أشرف ما يصدر.

ومن حيث هو واجب الوجود من باريه صدر عنه نفس الفلك الأعلى وهي السماء التاسعة التي يعبر عنها المسلمون بالعرش وهو أوسط ما يصدر.

ومن حيث هو ممكن الوجود في ذاته صدر عنه جرم الفلك وهو أخسَّ الثلاثة؛ لأنه جسم لم يصدر عن عقل، ثم صدر عن الثاني عقل ثالث ونفس فلك الكواكب وجرمه، وهي السماء الثامنة التي تسمى الكرسي، ثم صدر عن العقل الثالث عقل رابع ونفس فلك زحل وجرمه وهي السماء السابعة، ثم صدر عن العقل الرابع عقل خامس ونفس فلك المشتري وجرمه وهي السماء السادسة، ثم صدر عن العقل الخامس عقل سادس ونفس فلك المريخ وجرمه وهي السماء الخامسة، ثم صدر عن العقل السادس

عقل سابع ونفس فلك الشمس وجرمه وهي السماء الرابعة، ثم صدر عن العقل السابع عقل ثامن ونفس فلك الزهرة وجرمه وهي السماء الثالثة، ثم صدر عن العقل الثامن عقل تاسع ونفس فلك عطارد وجرمه وهي السماء الثانية، ثم صدر عن العقل التاسع عقل عاشر ونفس فلك القمر وجرمه وهي السماء الأولى، والعقل العاشر هو الأدنى إلينا على حسب الترتيب، البيت:

زحل شرى مريخهم بشموسهم فتزهرت بعطارد أقمار

وهو العقل الفعال عندهم، ومعنى ذلك أنه صدر عنه دون غيره هذه السماء وغيرها من المادة القابلة للكون والفساد بواسطة طبائع الأفلاك وحركاتها، قالوا: فالأشياء على هذا التقسيم إلى حال لا يقوم بنفسه تحلهُ الأعراض وهي الأجسام، وإلى قائم بنفسه يؤثر في الأجسام وهي النفوس، وإلى قائم بنفسه يؤثر في النفوس وهي العقول، وإلى قائم بنفسه يؤثر في العقول وهي العلة، العقل الأولي، قالوا: والأجسام عشرة، تسع سماوات، وهي حاصلة بنزول صدورها على جهة الإيجاب وحية أيضاً لأن لها نفوساً، والجسم العاشر هو هذه المادة القابلة للكون والفساد والزيادة والنقصان والتغيير والنقلة.

قالوا: وهذه العقول التسعة هي الملائكة، ولكن نسميها حقيقة الأفلاك.

قلت: فنفوا الملك الديان، وأنكروا حقيقة ملائكة الرحمن، والشياطين والشيطان.

وقالوا: الملائكة مجاز عن العقول، والشياطين هم أهل ظاهر الشريعة منكرين للتعليم القائلين بنجم مفاهيم المنقول، وبمعيار العقول.

قال في رسالة الهيولي: والصورة فصل في أقاويل الحكماء في ماهية الحركة.

اعلم أن الحركة تقال على ستة أوجه: الكون، والفساد، والزيادة، والنقصان، والتغيير، والنقلة، فالكون هو خروج الشيء من العدم والوجود من القوة إلى الفعل والفساد عكس ذلك، والزيادة هي تباعد نهايات الجسم عن مؤثره، والنقصان عكس ذلك، والتغيير هو تبديل الصفات على الموصوف من الألوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات، وأما الحركة التي تسمى النقلة فهو عند جمهور الناس نزوح من مكان إلى مكان آخر، ويقال: إن النقلة هو الكون في محاذات ناحية أخرى في الزمان الآتي، وهذين[1] القولين يصح في الحركة التي على الاستقامة، فأما التي على الاستدارة فلا يصح؛ لأن المحترك على الاستدارة فلا ينتقل من مكان إلى مكان، ولا يصير في محاذات أخرى في زمان ثاني، فإن قيل إن المتحرك على الاستدارة أجزاؤه تبدل أماكنها وتصير في محاذيات أخر في زمان ثاني لا الجزء الذي هو في المركز فإنه ساكن فيه لا يتحرك، فليعلم من يقول هذا ويظن هذا الظن أو يقدر أن هذا رأي صحيح أن المركز إنما هو نقطة متوهمة وهي رأس الخط ورأس الخط لا يكون مكان الجزء من الجسم وليعلم أيضاً أن المتحرك على الاستدارة بجميع أجزائه متحرك وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير محاذياً لشيء آخر في زمان ثاني، فأما الحركة على الاستقامة فلا يمكن إلا بالانتقال من مكان إلى مكان في زمان ثاني.

فإن قيل: إنه مكن ذلك أن الإنسان قد يحرك يده أو بعض أعضائه وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان، فماذا ترى؟ كيف يكون حال اليد هو يجوز أن يتحرك ولا يخرج من مكان إلى مكان؟ وكذلك حكم الأصبع هل يجوز أن تحترك ولا تنقل من مكان إلى مكان، ولا تمر بمحاذات آخر في زمان ثاني؟

---

(١) قال في الأصل: (كذا في الأم) تمت. والصواب وهذان القولان.

واعلم أنه متى تحركت الأجزاء من جسم فقد تحركت تلك الجملة، ومتى تحركت الجملة فقد تحركت الأجزاء، لأن تلك الجملة لأجزاء ليست غير تلك الجملة وذلك أنه إذا تحركت أي جملة الإنسان فقد تحركت جملة أعضائه، وإذا تحركت أعضاؤه فقد تحرك هو، وإن تحرك يده وحدها فقد تحركت أجزاء اليد كلها، لأن اليد ليست بشيء غير تلك الأجزاء، وكذلك إذا تحركت أصبعاً واحداً فقد تحركت أجزاء الأصابع كلها؛ لأنه ليست الأصبع غير تلك الأجزاء فمن ظن أنه يجوز أن تتحرك الأجزاء ولا تتحرك الكل أو تحرك الجملة ولا تتحرك بعض الأجزاء فقد أخطأ.

واعلم أنه قد ظن كثير من أهل العلم أن المتحرك على الاستقامة يتحرك حركات كثيرة؛ لأنه يمر في حركته بمحاذات كثيرة في حال حركته وليس ينبغي أن يعتبر كثرة الحركات بكثرة المحاذيات، فإن السهم في مروره إلى أن تقع حركته واحدة وإن كان يمر بمحاذيات أشياءٍ كثيرة، وكذلك المتحرك على الاستدارة فحركته واحدة إلى أن يقف، وإن كان يدور أدواراً كثيرة.

واعلم أنه لا يفصل حركة من حركة إلا بسكون بينهما يعرفه ولا يشك فيه أهل صناعة الموسيقا، وذلك أن صناعتهم معرفة تأليف النغم[1] والنغم لا يكون إلا بأصواتٍ والأصوات لا تحدث إلا من تصادم الأجسام وتصادم الأجسام لا تكون إلا بالحركات، والحركات لا ينفصل بعضها من بعض إلا بسكونات تكون بينها، فمن هذا قالوا الذين نظروا في تأليف النغم أن يمر زمان كل نقرتين زمان سكون، وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسالة لنا في تأليف اللحون ما هي ولِـمَ هي وكيف هي، فاعرفها، من هناك انتهى كلام رسالة الهيولي والصورة في هذا الموضع وهذا من اللغو ومن الإثم منهم، ولكن نحن بصدد الرد عليهم والبيان لأقوالهم فقد قيل في مثلهم (استعين على

(١) قال في الأصل: (النَغَم بفتحتين) جمع نغمة وهي الصوت يقال: فلان حسن النغمة إذا كان حسن الصوت في القراءة، كذا في الصحاح. تمت.

كل صناعة بأهلها).

نقل كلام الطوسي وشرحه حاكياً عن الفلاسفة

وقال في تجريد الطوسي وشرحه للقوشنجي فيما يتعلق بالعقول العشرة وما هو كالدليل للفلاسفة على هوسهم.

الفصل الثاني في الأجسام: **وهو قسمان**: فلكية، وهو الأفلاك بما فيها من الكواكب، وعنصرية وهو العناصر بما فيها من المواليد الثلاثة -أعني المعدنيات، والنباتات، والحيوانات- أما الفلكية فالكل منها يعني الأفلاك التي ليست بأجزاء لأفلاكٍ أخر، الأطلس الخالي عن النقوش يحيط بالجميع ولذلك يسمى بفلك الأفلاك، وبالفلك الأعظم وتحته فلك الثوابت، ثم فلك الكواكب السبعة السيارة على الترتيب المشهود في البيت السابق، وهذه الأفلاك هي التي لم يجوزوا أن تكون أولاً منها لأنهم وجدوا في بادي الرأي جميع الأفلاك متحركة بالحركة اليومية السريعة من المشرق إلى المغرب فأثبتوا لها فلكاً ثم وجدوا بنظر دون جميع الثوابت متحركة بحركة واحدة بطية من المغرب إلى المشرق فأثبتوا لها أخر.

وكذلك الكواكب السبعة السيارة ذوات حركات غريبة مختلفة غير متشابهة لقياس بعضها إلى بعض فأثبتوا لكل واحدٍ منها فلكاً آخر فصارت الأفلاك تسعة.

قال القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس في شرحه على الثلاثين المسألة للشيخ العلامة أحمد بن الحسن بن محمد الرصاص حاكياً لكلام الفلاسفة وما يتعلق به: والقول إن لهذا العالم صانعاً فاعلاً مختاراً وهو مذهب جميع فرق الإسلام وأكثر فرق الكفر من أهل الكتب، وكثيرٌ من عبدة الأوثان، والخلاف في ذلك مع الملحدة والفلاسفة والدهرية والطبائعية والباطنية، ثم اختلفت هذه الفرق الضالة على قولين، فالملحدة والدهرية والطبائعية والفلاسفة المتقدمون ينفون المؤثر ويقولون لا صانع

جملةً ولا تفصيلاً، ويقولون العالم قديم وما ثمة إلا ليل ونهار وشمس وأقمار وفلك دوار، وقد حكى الله تعالى مقالة الدهرية في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية: [الجاثية: ٢٤].

والقول الثاني وهو قول الباطنية والفلاسفة الإسلامية: إن أصل العالم علة موجبة وتلك العلة غير موصوفة بشيءٍ من صفات الإثبات لأنها لو وصفت تعددت وتكثرت وتلك العلة غير مختارة، والعالم ملازم لها في الوجود في القدم ملازمة شعاع الشمس لها.

قالوا: ثم إن تلك العلة أثرت في ذات يقال لها عقل فحصل لهذا العقل خلال ثلاث، عقل لباريه، وهو العلة الموصوفة، وصحة وجوده في نفسه وإمكان وجوده من باريه، وهذه الخصال تتفاوت عندهم في الرتبة والشرف أشرفها صحة وجوده من باريه، وأوسطها عقل لباريه وأدناها إمكان وجوده في نفسه، ولأجل هذه الخلال الحاصلة أثرت في ثلاثة أشياء لأجل الأشرف أشرف ولأجل الأوسط أوسط ولأجل الأدون أدون، أثرت لأجل عقله لوجوده من جهة باريه في عقل ولأجل عقله لا مكان وجوده في نفسه في فلك ولأجل عقله لباريه في نفس فلك، ثم حصل لهذا العقل من الخلال ما حصل للأول وأثر في مثل ما أثر فيه العقل الأول، ولم تزل العقول كذلك إلى أن بلغت عشرة والأفلاك تسعة والنفوس تسعاً والعقل العاشر هو المتولي لتأثير العالم من الإيجاد والإحياء والإماتة وسائر ما اشتمل عليه العالم منوط بهذا العاشر، فأما الذات المتقدمة وما يليها إلى العاشر فلا حظ لها في شيء من أمر العالم ولهم أقوال تخالف ذلك كلها متفقة أن الذي ينتهي إليه جميع العالم علة وأن العالم ملازم في وجوده وجودها في القدم وسموا هؤلاء فلاسفة إسلاميين لأنهم يقرون بظواهر الإسلام، وقيل لحدوث مذهبهم بعد بعثة النبي ÷.

[الفوارق بين الباطنية والفلاسفة]

أما الباطنية فلهم أقوال جملة من جملة أقوالهم قول يشابه هذا إلا أنه يفارقه من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم يقولون إن هذه العلة غير موصوفة بنفي ولا إثبات حتى أنهم قالوا لولا الضرورة لما نفاها الله والفلاسفة لم يتكلموا على النفي.

الثاني: أنهم يسمون العقل الأول سابقاً والثاني تالياً.

الثالث: أنهم يقولون العقل الثالث تحير لأنه لم يحصل له العلم من أول وهلة كما حصل لغيره من العقول من الخلال الثلاث، فحط في المنزلة العاشرة وسبقه ما بعده على سبيل العقوبة له فهو المنوط به أمر العالم عقوبة له ويسمون هذا العالم عالم الكون والفساد.

ومنهم من قال أمر العالم منوط بالعقل الثاني المسمى بالتالي، ويحكى عنهم أقاويل باطلة غير ذلك.

واعلم أن الكلام إنما هو في الأجسام أنفسها، وأما تراكيبها فلا خلاف في حدوث كثيرٍ منها كالحوادث اليومية. انتهى كلام ابن حابس.

قلت: **والوجه الرابع** من تفارق كلامهم كلام الفلاسفة أنهم ربما عبروا عن العقل الأول بالنور.

والخامس: أنهم شبهوا العقل بالشمس، والإنسان بالقمر، كما شبه أولوهم المجوس النار بالشمس فعبدوها لما غابت عليهم بالليل وهم شبهوا الإنسان بالقمر لما كان الإنسان محلاً لإلاههم النفس الجزئية الإنسانية المستفاد معارضها من النفس الكلية

الفلكية، كما أن ضوء القمر مستفاد من نور الشمس، ولأن النفس الجزئية أقرب من النفس الكلية.

السادس: أن بعض الباطنية النفسية أن الشمس لا يعرف محلها من الأفلاك عندهم وعند بعض الفلاسفة، وإنما ذكرت في الرابع تقريباً.

السابع: أنهم ربما عبروا عن العقل الأول بالحياة، ذكر كل ذلك في رسالة الإحسان في خلق الإنسان، ورسالة الصورة والهيولي، ولمح بذلك في رسالة شرح النفس.

[حقيقة العقل عند الباطنية]

واعلم أن حقيقة العقل عندهم جوهر مجرد عن المادة أي الهيولي في ذاته مقارن لها في فعله أي تدبيره وتصرفه وهو أي العقل الفعال يسمى المبدأ الفياض عند الحكماء، والعقل يطلق بالاشتراك عند الحكماء على معانٍ ثلاثة:

الأول: على النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا.

والثاني: على العقول العشرة المجردة .

الثالث: على القوة الناطقة للنفس الناطقة التي تدرك هذه الأشياء من جهة الاشتراك، والحاصل مما نقل الفلاسفة من الطرق الثلاث، وما اتصل بها أن العقول أو مرادفها عشرة روحانية وأن النفوس ومرادفها تسع وهي روحانية أيضاً وأن الأجرام تسعة، وأن العقل العاشر الفعال والمادة هي القابلة لنحو الكون والفساد وأن العالم الكبير روحاني وجسماني كما ذكرنا ، والروحاني جرياني وغير جرياني .

الأول: الجاري في الهيولي، والثاني: الساكن عالم الأرواح، وجوهري أيضاً، وعرض فالأول حركة النار وضياء الشمس، والثاني نور القمر المستفاد من نور الشمس،

والجسماني فلكي وعنصري، والفلكي آلي وغير آلي، وهو لطيف وكثيف، فاللطيف سماوي وغير اللطيف أرضي، واللطيف يطلق من جهة الإشتراك على ما يخرقه البصر كالماء والهواء والدخان، ويطلق على ما يداخل الأجزاء من خلف الحوايل كالنار والنور، ويطلق على ما يدرك والكثيف يطلق على ما لا يخرقه البصر، كالحجر والشجر والتراب، وأن الذي ينتهي إليه جميع العالم عندهم علة موجبة وأن أصول العالم قديمة لا التراكيب الفرعية اليومية والحوادث فمحدثة.

فعرفت جملة أن كلام الباطنية باطناً هو كلام الفلاسفة إلا ما استثني أو ما ألبسوا بعض معانيه قوالب ألفاظ أخر حيلاً وتوصلاً إلى إبطال الإسلام بكل وجهة ومحاولة لإثبات العلة وإيجابها وتدرجاً إلى نفي الصانع الفاعل المختار، ويأبى الله إلا أن يتم نوره وأن يخمد نارهم وشرهم في شرهم فلقد ظهر إلحاد الفلاسفة وكفرهم فما ضر كضرر من خفي كفره واستتر من هؤلاء الباطنية النفسية الذي غمر ضرهم أهل البدو والحضر، بلى قد كشف الله سرّهم وأطفأ شرهم ببركات أئمة الحق الطاهرين وأتباعهم في كل وقت وحين، وقد غر الباطنية كبراؤهم المجوس المبطلون ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧] وعن قريبٍ يستأصل الله جرثومتهم، ويخلي آثارهم.

قالت الحكماء: والإنسان هو العالم الصغير فنفسه جامعة لما في العالم الروحاني وجسمه جامع لما في العالم الجسماني، ألا ترى جملة أن الحواس عشر خمس باطنة يجمعها قول الشاعر:

خيال ثم فكر ثم وهم		وذكر ثم حفظ فهي خمس

والظاهرة خمس يجمعها قول الشاعر:

وأبصارٌ وذوقٌ ثم شم		وسمعٌ ثم خامسهن لمس

والغضب والشهوة، والسبع القوى الطبيعية وهي الجاذبة، والماسكة، والهاضمة،

والدافعة، والغادية، والنامية، والمولدة.

قال الرازي في بعض حواشي الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدَّثر:٣٠] هذه القوى التسعة عشر هي الزبانية الواقفة على أبواب جهنم، في الأولى في البدن المانعة للنفس الناطقة من معرفة الله على وفق زبانية جهنم، في الآخرة ووفاء العشرين هي الحياة الجامعة للعقل والنفس على أنواعها الثلاثة، وأجزاء الجسم ثمانية جواهر بعدد مراتب الجرم؛ لأن الجرم مرتبته من العقول العشرة، المرتبة الثالثة فهي وما تحتها إلى العاشر ثمان، فالجسم إذاً ثمانية جواهر في كون الإنسان كالعالم الصغير.

قال الشاعر الباطني: [من المتقارب]

دواك فيك ولا تشعر ... وداءك منك وتستكبر

وتزعم أنك جُرمٌ صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه تظهر المضمر

وهؤلاء الفلاسفة هم ممن يقول بأن الأجسام لا تخلو من الأعراض كما يقوله أهل الإسلام، وأن أجزاء الجسم ثمانية جواهر، ومن الفلاسفة القدماء من يقول إن أصل العالم جوهر غير متحيز، وهم أهل الصورة والهيولي، فالجسم عندهم مؤلف من الهيولي والصورة، فأنواع الجوهر عندهم خمسة، الهيولي والصورة، والجسم والعقل، والنفس، ويعنون بالهيولي كل جوهر قابل للصورة، ويعنون بالصورة كل شكل أو نفس يقبله الجوهر، وكما كانت أنواع الجوهر عند قدماء الحكماء تتألف من جوهرين عندهم وهما اقتران الهيولي بالصورة خمسة لأن كل جسم لابد له من هيولي وصورة، وزمان ومكان وحركة على اختلاف في حقيقة الحركة وقسمتها إلى حركة على جهة الاستقامة والاستدارة كما مر.

واعلم أن الصورة نوعان مقومة ومتممة، فالمقومة لذات الشيء هي التي إذا فارقت هيولاها بطل وجدان ذلك الشيء كالطول والعرض والعمق. فإذا فارقت الهيولي بطل وجدان الجسم والصورة المتممة للشيء هي التي تبلغ الشيء إلى أفضل حالاته التي يمكن البلوغ إليها، وإذا فارقت هيولاها بطل وجدان الهيولي كالسكون والحركة فإنها إذا فارقت الجسم لم يبطل وجدان الجسم، ومنهم من يقول أصل العالم جواهر غير متحيزة، واختلف الفلاسفة في الأعراض فمنهم من يقول إن الأجسام لا تخلو من الأعراض، ومنهم من ذكرنا ومنهم من نفى الأعراض[1] وحدوثها لأن أصل العالم عارٍ عنها ثم حلته، ومنهم من يقول بكمون الأعراض، ومنهم من ينفي الأعراض من الجسم رأساً.

وأما الصناعة المنطقية فهي المقولات العشر، واحد منها الجوهر، والتسعة أجناس الأعراض العالية وهي الكم والكيف والأين والمتى والإضافة والوضع والفعل والانفعال والملك، وقد جمع المقولات العشر قوله:

زيد[2] الطويل[3] الأزرق[4] بن[5] في بيته[6] بالأمس[7] كان[8] متكي
بيده[9] سيف لواه[10] فالتوى[1] فهذه عشر مقالات سوى

---

(١) في (أ): ومنهم من نفى الأعراض، ومنهم من ينفي الأعراض من الجسم، وأما الصناعة ...الخ.

(٢) الجوهر.

(٣) الكم.

(٤) الكيف.

(٥) الإضافة.

(٦) الأين.

(٧) المتى.

(٨) الوضع.

(٩) الملك.

(١٠) الفعل.

تفصيله ما قالوا أنا وجدنا الممكنة القائمة بذاتها من سماءٍ وأرض وإنسان وشجر وماءٍ ونار وريح وغيرها فالتمسنا اسماً جامعاً لها فوجدناه الجوهر وهو معرب كوهر وهو الأصل والمراد به عندهم الموجود لا في موضع، وما عدا الجوهر فرع أو صفة، ثم وجدنا بعد هذه الأشياء أسماء عارضة لها كالواحد والإثنين والطول والعرض، ومثلها فالتمسنا اسماً جامعاً لها فوجدناها الكم لأن هذه الأشياء تقع في جواب كم، والكم إما مقطوع أو منظوم، فالمنظوم ما كان بعضه لاصقاً ببعض كالخط والسطح والجسم التعليمي، ويسمى أيضاً الجهة[٢] والزمان والمكان، فالخط عرض يقبل القسمة في الطول ونهايته النقطة، والنقطة عرض لا تقبل القسمة أصلاً، والسطح تقبل القسمة في العرض والطول ونهايته الخط، والجسم التعليمي عرض يقبل القسمة في الطول والعرض والعمق ونهايته السطح.

والفرق بين الطبيعي والتعليمي أن الطبيعي جوهر قائم بذاته والتعليمي عرض قائم بالطبيعي، وأما الزمان فهو مقدار الحركة الاستدارية عندهم، والمكان إما سطح أو بعد مجرد عن المادة، والمقطوع ما كان بعضه مبايناً لبعض مثل العدد والألفاظ والكلام.

ثم وجدنا اسماً آخر يدل على الصفات كالبياض والسواد والحرارة والبرودة والثقل والخفة والحركة والسكون والروائح والأصوات والعلم والصحة والمرض والفرح والحزن والاستقامة والانحناء فالتمسنا لذلك اسماً جامعاً فوجدناه الصفة والكيف لأنها تقع في جواب كيف، ثم وجدنا اسماً آخر لم تدخل فيما ذكرنا كإبنٍ والأب والملك والمملوك، والنصف والضعف، والعلو والسفل، وما أشبه ذلك فالتمسنا اسماً جامعاً فوجدناه المضاف؛ لأنه ليس من ذلك الشيء إلا وهو مضاف إلى غيره ومعلق به، ثم

---

(١) الإنفعال.

(٢) في (أ): الجسم.

وجدنا بعد هذه الأشياء أسماء تجري في الكلام كقول القائل في البيت، وفي السوق وفي الإهاب فوجدناه الأين لأنها تقع في جواب أين هو، ثم وجدنا بعد ذلك أسماء أخر تجري في الكلام كقول القائل: في أمس وفي اليوم وفي غدٍ فسميناها متى لأنها تقع في جواب متى، ثم وجدنا اسماً آخر كالنعم، وكون الرجل ذا مال وذا أهل، فسميناها الملك والجدة، ثم وجدنا بعد ذلك أسماء أخر كالقيام والقاعد والمضطجع وغيرها فسميناها الصفة والوضع، ثم وجدنا أسماء أخر كقول القائل سجن ويؤثر فسميناها[1] الإنفعال.

بحث العالم الصغير المأخوذ في[2] قول أهل الصناعة المنطقية

ويمكن أن يدخل الشيء الواحد أمور كثيرة على وجوهٍ شتى كالعالم الصغير، فالرجل داخل في الجوهر فإنه جوهر جسماني تعليمي طبيعي وداخل في الكم فإنه إحدى عشر شبراً أو اثنى عشر، وداخل في باب الإضافة فإنه والد وولد، وداخل في باب الكيف فإنه أبيض وأسود، وداخل في المكان فإنه بفارس أو بيونان، وداخل في الوقت والأين فإنه في زمان الملك فلان، وداخل في باب الجدة والملك فإنه ذا مال وذا أهل، وداخل باب الفعل فإنه أكل وسجن، وداخل في باب الانفعال فإنه ينسجن، وداخل في باب الوضع فإنه قائم قاعد.

لكن الأنحاء التي فرقته شتى واجتمعت فيه المقولات العشر كالعالم الكبير والعقل الأول والثاني النفس فهما جوهران بسيطان لا يقبلان المقولات لأنهما معقولان عندهم

(١) في (أ): زيادة (فسميناها الفعل ثم وجدنا أسماء أخر تجري في الكلام كقول القائل يتسجن ويأتثر فسميناها الإنفعال ...الخ).

(٢) قال في (أ): بحث العالم الصغير المأخوذ من قول أهل الصناعة المنطقية: .... فانقطع ولوى السيف فالتوى. تمت

لا محسوسان، أو هما من أنواع الجوهر، وهذه الصناعة المنطقية الفلسفية أول من أدرجها في الإسلام وعربها المعلم الثاني أبو نصر الفارابي، ولما كان البحث فيها[١] عن الممكنات الجوهر[٢] والأعراض ولم يذكروا المؤثر وأن بهما إقامة البرهان على زعمهم وجعلوا الأشكال أربعة كالأركان الأربعة وصحة إنتاجها كالكون والصلاح وعدمه كالفساد وسموا الإدراك والتصور علماً والإذعان تصديقاً، وليس العلم منهما إلا أربعة: التصور والإذعان الضروريان، والتصور والإذعان المكتسبان الاستدلاليان وما عداهم ليس بعلم، راجت[٣] هذه الصناعة ومزجت بها الفنون، إذا قيل

ما حكم العلوم التي بها تفرد من بين الأنام الفلاسفة
فقل سفه والله إن خالفوا الهدى وإن وافقوا الحق المبين فَلَا سَفَه

وأما الباطنية فأقوالهم واستدلالهم صريحاً، ورمزاً مشيرة إلى القول بالعلة وتأثيرها وبوحدة الوجود، وبالعقول العشرة وبالقول بتأثير النجوم وطبائعها، وانتحال مذهب العليَّة باطناً وإن انتحلوا الإسلام ظاهراً تحيّلاً لهدم الإسلام عموماً وخاصاً للإلحاد في المعجزة العظما، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتأولوه بالتآويل الخارجة عن مدلول ألفاظه الذي نزل بها ودل عليها، وقالوا لكل ظاهر باطن لا يعرفه إلا إمامهم المعصوم، وقالوا بالتعليم منه ونفوا النظر والأخذ بما دلت عليه الأدلة نصاً أو ظاهراً أو مفهوماً، ومنهم من يعمل بالظاهر والباطن، وهم حذاق الباطنية قولاً لا عملاً، بل تعمقاً في الحيلة والتمويه، وذلك غير مخلصٍ لهم من الكفر سواءً توافق الظاهر والباطن أو تخالفا فاعلم ذلك.

---

(١) في (أ): فيهما.

(٢) في (أ): في الأعراض.

(٣) قال في الأصل: (جواب لما) تمت. يعني في قوله ولما كان البحث ...الخ.

[كفر الباطنية جملة وتفصيلا]

واعلم أن كفر الباطنية قد ثبت جملة وتفصيلاً بإجماع المسلمين بل بإجماع الكفار من أهل الكتب لنفيهم للصانع الفاعل المختار، ولإنكارهم النظر المعلوم من أديان الأنبياء" ضرورة، ولقولهم بالتعليم من دون رجوع إلى ما دلت عليه الأدلة بل من معصومهم وداعيهم وحدودهم بالتأويل الموافق للقول بالعلة والعقول العشرة وتأثير النجوم ونفي الحي القيوم، ولإحداثهم قول[1] ثالث وتأويل ثالث إظهار الإسلام والقول بالتأويل الباطل.

وأما تفصيلاً فلردهم كل دليل قطعي على حدته **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [فُصِّلَت:٤٠] إذا عرفت هذا فنقول أما تصريحهم بالقول بالعلة والعقول العشرة فستعثر عليه إن شاء الله تعالى.

وأما استدلالهم على علتهم بالزمن وما انتحلوه باطناً تأويلاً ومقابلة فبنحو قوله تعالى: **﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾**[2] [البقرة:١٦٣] فقال قدماء الباطنية فصول الآية سبعة تدل أربعة منها على أربعة روحانية، السابق، والتالي من الكبير، ومقابله من الصغير الأساس، والناطق، ويعنون بالأساس الحكيم الفلسفي، والناطق النبي، لأن النطقاء الأنبياء الناطقين بالظاهر والحكماء الفلاسفة القائلين بالحكمة الفلسفية، وربما قالوا الفلسفة هي التشبه بالإلاهية على قدر إمكان القدرة البشرية، قالوا وثلاثة من فصول الآية على مثلها جسمانية الطول والعرض والعمق وحروفها اثنا عشر حرفاً تدل تأويلاً على مثلها جسمانية وهي البروج الاثنى عشر،

(١) كذا في الأصل، والصواب قولاً ثالثاً وتأويلاً ثالثاً.

(٢) هكذا الآية، وفي الأصل: إلا هو العزيز الحكيم.

وتدل مقابلة على مثلها روحانية وهم الأئمة الاثنى عشر انتحالاً منهم لظاهر مذهب الإمامية الذي أقرب إلى نحلتهم الباطنية.

قالوا: والنفس الكلية الفلكية سكنت فتولدت منها البرودة واليبوسة وتحركت فتولدت منها الحرارة والرطوبة فتولدت عن هذه العناصر الأربعة أركان أربعة الماء، والنار، والهوى، والتراب، ثم أنبتت الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة في المخلوقات من الأجسام السيالة وهي أجسام الأركان الأربعة ومواليدها الثلاثة، النباتات، والحيوانات، والمعادن.

وأما الأجسام الفلكية فهي عندهم شديدة التماسك واليبس لأنها دائمة الحركة والدوران، فالحركة تولد الحرارة، والحرارة تولد اليبوسة، وإذا تناهت اليبوسة انطفت الحرارة، فلهذا كانت الأجسام الفلكية عندهم شديدة التماسك واليبس.

قالوا: والنفس الكلية هي المحركة للفلك المحيط وهو المحرك لسائر الأفلاك فالنفس الكلية علة في حركات الأفلاك، وحركات الأفلاك علة في سير الكواكب، وسير الكواكب علة في اتصال أنوارها ومقابلة بعضها لبعض، واتصال أنوارها ومقابلة بعضها لبعض من الشكل المحمود علة في الكون، ومن الشكل المذموم علة في الفساد، والكون هو إلباس الهيولي الصورة والفساد عدم إلباسه إياها.

وقال المتأخرون من الباطنية في مثال أخصر من هذا الاستدلال وهو الله لا إله إلا هو، إن الفصول السبعة دلت على السبعة الأفلاك السيارة تأويلاً، وعلى السبعة الأئمة مقابلة، والحروف اثنى عشر دلت على مثلها جسمانية البروج الاثني عشر تأويلاً، وعلى مثلها روحانية مقابلة، وهم المؤمن البالغ، والمؤمن المأذون، والمؤمن المحدود، والداعي المحصور، والداعي المطلق، وداعي البلاغ، والحجة، والباب، والإمام. ولعل العاشر

في الصغير النفس الجزئية الإنسانية وهي الإله عندهم .

قالوا: والخاتم الذي بيد المؤمن هو الذي بمثابة آلـة العهـد بـنقش أهـل الاسـتحالة لدخوله في دائرة الدعوة بما ينقش المواليد الآلة الفلكية، ولعل الموفية عندهم الأساس، وربما قالوا الناطق في دوره كالإمام.

ومن الجواب الجملي أن الحروف قبل التركيب لا تدل على معنى ولا ترمز إليه عند أهل اللسان موحدهم وملحدهم، وأمـا بعـد التركيـب فـإن اسـتعملت الكلمـة فـيما وضعت له فحقيقة وفي غيره لازمة مجاز، فدلالة اللفظ على المعنـى بتوسـط الوضـع لا بذات اللفظ فضلاً عن الخروج من المواضعة.

وقد رد كلام عباد بن سليمان الصيمري البياني المعتزلي أن الـدال عـلى المعنـى ذات اللفظ لولا تأويل السكاكي له بما حاصله أن الواضع لا يهمل مراعاة المناسبة بين اللفظ والمعنى مع أن هذا التأويل لا يطرد في جميع اللغات بل لا يطرد في لغـة العـرب بـل لا يطرد في جميع المشتقات فضلاً عن الجوامد.

وقول بعض الباطنية بالتأويل الباطن والظاهر كالكناية مغالطة باطلـة لأن الكنايـة باعتبار اللسان العربي إذ هي مسـتعملة في لازم مـا وضـع اللفـظ لـه مـع جـواز إرادة الملزوم، وهم يقولون بالتعليم لا بدلالة الألفاظ بتوسط الوضع ولا بالذوات، وأيضـاً فالتأويل إن وافق الباطن الظاهر فقد أغنى الظاهر، وإن خالفه فلم يعمـل بهـما مـع أن ذلك منهم مجرد حيلة لفظية، وإلا فقد عرفت بنحلة باطنهم الفلسفي.

ويسمون من لم يدخل في دائرة الدعوة الباطنيـة أهـل الاسـتحالة الـذين يظهـرون بالعهد وربما سموهم أهل الظاهر الكفرة وربما سموهـم الشياطين ويأجوج ومـأجوج، ويعنون بالمأذون المحدود من حُدّ له وأذن له ممن فوقه إذناً محدوداً، وبالمطلق من أذن له

من دون حد وأطلق له في الإذن، ويعنون بالداعي المحصور الذي لا أمر لـه مـع مـن فوقه بل هو محصور في جزيرته كالمرأة مع الرجل، ويعنون بالداعي المطلق الـذي يقـوم مقام داعي البلاغ سيما في أيام الاختفاء وأوقات الفترات، وداعي الـبلاغ المبلـغ دعـوة الإمام المستورة، ويجعلون المقابل من العشرة مثل التأويل من العقول العشرـة، والعـالم الصغير كالرجل مثلاً مقابل للكبير الفلكي.

قالوا: والمدُّ فوق لا إله في الفصل الرابع فيه رمزٌ إلى استمداد مـن تحـت الرابـع منـه وهو ومن فوقه من فوق الجميع.

قالوا: وهؤلاء المقابلون من المؤمن إلى الإمام وإلى الأساس يسمون عندهم الحدود، وكل عالٍ رب رتبـه وجـد لمـن تحتـه، والأعـلى رب رتبـه وجـد للجميـع، ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النازعات:٢٤] ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾[الطلاق: ١] وهـم أوليـاء الله وأحبته، والأسفل مرقاة إلى من فوقه ولا وصول إلى الأعلى إلا بالمرقـاة السـفلى، وهـم تراجمة العقل الأول والسلسلة المتصلة بعضها ببعض لا نجاة إلا بالتمسك بهـم، ومـن أنكرهم أو تخلف عنهم انعكست نفسه عند خروجهـا عـن أشـعة الأفـلاك هبوطـاً في الهاوية ومحل العذاب الأدنى من نحو الوقوع في المزابل وهي كل الحشرات يلـبس مـن كل جنس منها سبعين قميصاً وهي السلسلة التي ذرعهـا سـبعون ذراعـاً حـين يقـوم ظاهراً المهدي المنتظر [........][1] العذاب الأكبر وإن تمسك بالحدود أرباب المقابلـة متمسك وصعدت نفسه الجزئية إلى النفس الكلية في محل الرضى واستنشقت النسيم في واسع الفضاء زعماً منهم أن الأشياء ترجع إلى أصولها فالنفس الجزئية الإنسانية ترجـع إلى النفس الكلية الفلكية لأن جوهر النفس لا يفنى عندهم وهـو روحـاني[2] يسـتمد

(١) هنا كلمة لم تظهر في الأصل، وعليها تعليقة لفظها: النفس. تمت مؤلف.

(٢) في (أ): وهو روحاني من روحاني.

الروحاني من روائح الفضاء الطيب، كما أن الجسماني يستمد في الأولى من الجسماني.

[تحقيق حال الباطنية]

واعلم أن الباطنية انتحلت ظاهراً الإسلام ومذهب الإمامية وتتبعت من كل ملةٍ ونحلة من ملل الإسلام ونحل الكفر كل قول فاسد فيه وصلة لهم إلى نحلتهم الباطنة الفلسفية، ولهذا يحدث لهم في كل زمان ووقت وبلد نحلة، مقبولة وقد أخذوا من أقوال الجاهلية العندية أن جعلوا الحقائق تابعة لما عندهم، ومن قول السمنية إنكار مالم يدرك بالحواس، وإنكار طرق العلم عندهم فيها، وأخذت من قول التكافية أن النظر لا يفيد العلم لتكافي الأنظار وتدافعها، ويقولون بالتعليم من المعصوم والداعي ونحوهم، ويلزمهم إنكار الضروري والاستدلالي العلميين وإنكار الضروري سفسطة مع أن أكثر أدلة نحلتهم غير معلومة، وأخذوا من قول المانوية النبوية بإلاهية النور وأن جوهر النور حسن طيب الريح والعكس في الظلمة كما قالوه في النفوس الصاعدة وبضده في النفوس المقهقرة الهابطة، وأخذوا من مذهب المجوس وهو أصلهم أن العقل مشبه بالشمس والإنسان بالقمر، ولهذا قالوا بإلاهية النفس الجزئية الإنسانية والمجوس شبهوا النار بالشمس لما خفيت عليهم بالليل فعبدوا المشبه النار على جهة الاستمرار، وإلا فالمجوس هم عباد الشمس أصالة قال الله تعالى حاكياً : ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩﴾[النمل: ٢٣-٢٦] .

وتشبيه قدماء المجوس للنار بالشمس موافق لأصلهم الفلسفي وهو أن نور

الشمس والنار والكواكب ذاتي، ونور القمر عرضي مستفاد من نور الشمس، فلا وافقوا قدماءهم المجوس عبدة النيران ولا قالوا بما ورد به القرآن ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[يونس: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[نوح: ١٦].

عن ابن عباس وابن عمر أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض، وقولهم إن النفس الجزئية شفافة تنطبع فيها صور الأعمال الصالحة في ذات الناطقة، وصور الأعمال الباطلة في ذات النفس المظلمة الجاهلة، كما أن جرم القمر مظلم وسطحها شفاف مصقول كالمرآة التي تنطبع فيها الصورة.

قلنا: الوهم عندكم قوة من قوى النفس الجزئية وهي تتخيل ما لا حقيقة له وما له حقيقة فليس ينبغي أن يحكم بمتخيلاتها حق ولا باطل من دون أن تشهد لها أحد القوى الحساسة أو العقل أو أحد طرق العلم فأين الشهادة بذلك، فكيف إذا قام الشاهد ببطلان هذا الوهم نقلاً وعقلاً فإن النفس إذا تجردت عن الجسم انطفت وفنت وعدمت صورتها المقومة، وكيف يقوم ذات النفس اللطيف بالمعنى المعدوم أو يقوم المعنى بالمعنى، فما ذلك إلا قول من أعمى الله قلبه واشتد مرضه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[البقرة: ٨-١٠] إلا أن يكون أقوالهم بالنفس الروح الذي من أمر الله فإنه يبقى إلى النفخة الأولى ثم يقع به الموت النازل بغيره بالدليل، وأنكروا المعاد الجسماني والروحاني بل قالوا بإعادة الأشياء إلى أصولها، وقالوا بالتناسخ للأرواح إلى الهياكل، وأخذوا من

قول النصارى أن الله تعالى احتجب في هياكل الأئمة كما احتجب عيسى، فالأئمة الناسوتية حجب الأنوار اللاهوتية عندهم، وأنهم ينتقلون من صورة إلى صورة، وأن الأئمة واسطة بين الله تعالى وخلقه يحكمون ويتكلمون بما يرونه من دون استناد إلى أقوال الله تعالى، وأن الإمام خلق سائر المخلوقات، كما قالت المطرفية في خلق المواليد بفطرة الأركان وطبعها، وغير ذلك، والذي ألجأهم إلى تتبع الفاسد، وانتحال ظاهر الإسلام، هو أنه لما قوي الإسلام لم يبق لهم طاقة بمصادمة أهله قولاً وفعلاً، وإذا صرحوا المذهب المجوسي أفحمتهم حجة العقول، وبراهين النقول، وأقوال الفحول، من علماء الكلام والأصول، فعمدوا إلى الحيل توصلاً إلى الإلحاد، وإلحاق الجمل بالآحاد، فكلما نجم منهم ناجم قام لهم من حجج الله راجم، تصديقاً لقول الصادق المصدوق وخاتم النبيين والمرسلين «إن عند كل بدعة ... » و«أهل بيتي كالنجوم» ونحوهما، ومن تغريرهم وعميق حيلهم على اتباعه أخذ العهود الأكيدة عليهم في كتم أسرارهم، وعدم إفشائها إلى أحد إلا من وثقوا منه، وإظهار شيء تقبله عقول أهل الظاهر، فلا حرج ويوهمونهم أنهم ينصحونهم بأخذ الكتم وأن ما يلقونه إليهم هو السر المكنون، والعلم المصون، الذي عهدت به إليهم جدودهم، وبيت النبوة وأولياؤهم، وتلك العهود والنصائح التي يأخذونها ويؤكدونها على اتباعهم إنما خشية من ظهور فضائحهم وبواح كفرهم، وإلا فما مثلهم في العقوق، إلا كمثل طير الأنوق [اثنى عشر][1] فكل شكلٍ يميل إلى شكله ويشير إلى مثله، فمن جهة السكوت فإن سكتوا فعن حصر، وإن نطقوا فعن ضجر، ومن جهة التتبع فيتتبعون الفاسد من كل ما بطن وظهر، كما تتبع الأنوق مواضع القذر، وأما من جهة التحفظ والتحرز الشنيع فكما تتحفظ بشاهق الجبل المنيع خوفاً على نفسها وحفظاً لنحو بيضتها حتى أنه يقال في

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

شهير الأمثال: (أعز من بيض الأنوق)، وأي فائدة منه أو نفع فيه، إنما هو فرع جَلَّال نجس على كل حال، رجس ووباء وقشره هبا، وأما على جهة الحذر على نفسها وفرعها خشية من الهلاك (فلات حين فكاك)[1]، فإن صواعق الحجج تستخطفها في وكناتها في أقرب لمحةٍ من لمحاتها، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾[الحشر: ٢].

وأما من جهة الألوان فبياض في سواد ثيابهم وأبدانهم ظاهرها البياض والنقاء كإظهار الإسلام وباطنهم خالٍ عن الإيمان والنقاء، ومسودة بالكفر ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤].

وأما من جهة انحسار شعر وسط الرأس موضع مادة العقل فرمزٌ على عدم الإيمان بمادة قلوب هؤلاء الفرقة النفسية الأنوقية، ومن جهة صفوة المنقار والخدود فيه رمز إلى صفر الحدود وأن نفوسهم نحاس لم تصبغ بإكسير توحيد الصانع الفاعل المختار، فهذه سبع جهات سبع خبائث المعتقد وفصولهم سبع ومثلها مقابلة السبعة وحروف اثنى عشر حرفاً يخرج منها اثنى عشر تأويلاً في المشبه[2] ومثلها مقابلة في المشبة وذلك حدودهم، فإن قلتم إنما يعرف التأويل من الإمام المعصوم ومع المناسبة لا من غيره فكيف إذا كان المأوِّل غيره من أهل الاستحالة؟

قلنا: يكفي المشابهة ولو من وجهٍ سيما حيوان بحيوان، فالمناسبة كائنة وأين هو المعصوم في نفسه فضلاً عن تأويله؟ فأرونا صورته وإلا تجلى للجبل، وإذا وجدتموه فمن أين أخذتم التأويل من قلبه أو من لفظه؟ لا سبيل إلى الأول، والثاني له باطن غير

(١) لم تظهر في الأصل، وفي (أ): فلا تعين فكاك.

(٢) في (أ): في المشبهة.

الظاهر الذي ذكرتموه عنه فكل ظاهر عندكم باطن كيلاً لهم بصاعهم الخاسر وتمثيلاً بسادة جوادهم الخاسر ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[النحل: ٦٠]، ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[النساء: ٣٩] وعملوا بنحو النصوص من المفاهيم والظواهر.

الذي ورد الدليل عليها ونزل بها وعملوا بصحيح النظر على ما جبلته سليمات الفطر، يخوفون من مواضع الأمن، ويؤمنون من مواضع الهلاك، فقل في جوابهم أيها المخوف من إفشاء أسرارهم وفتح ضمائرهم وعقائدهم، ما قاله الملك الجليل حاكياً عن رسوله ونبيه إبراهيم الخليل ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: ٨١-٨٣] .

[الصوفية الحلولية والفروجية العلِّيَّة]

وأما الصوفية الحلولية والفروجية العلية فقد انتحلت ظاهراً مذهب بعض السنية وقالت: إن الله عزوجل عرض أو جسم لطيف يحل الصور الحسنة، وقالت أيضاً: إن معرفة الله، يعنون نحو النفس، هي العبادة لا القول والعمل، وإن طريق معرفة الله قول الشيخ والرياضة، فإذا حصل رياضة النفس على مقتضى قول الشيخ انتقش الله وانطبع في قلوبهم كما ينطبع الوجه في المرآة الصافية من الكدورات وهو كقول الباطنية بإلاهية النفس وتعليم المعصوم ووحدة الوجود واتحاد الحق والخالق والعارف بالمعروف والعابد بالمعبود ، وسميت حلولية لقولهم أن يحل في الصور الحسنة، وسموا بالفروجية لأن منهم من يقول بإلاهية الفروج؛ لأنه محل من موضع النفوس الجزئية وخروجها

منها وفيها وربما قالوا في الاستغاثة في الدعاء به منك وإليك يا فروج ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[البقرة:١٥] .

وقيل: نسبة إلى كبيرهم فروج بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الجيم، وقيل بتسمية فروج جمع فرج كما ذكرنا.

[المطرفية]

وأما المطرفية فانتحلت ظاهراً مذهب الهدوية وباطناً مذهب الفلاسفة العلية، وإن أقروا بالصانع المختار وإظهار الشرائع فإقرارهم سراب لمنافاته للوحدانية بإثبات شريك الباري فإنهم يقولون على تعداد فرقهم الثلاث إن الله تعالى صانع الأصول الأربعة الماء، والنار، والهواء، والتراب، وبعضهم زاد الريح، وبعضهم زاد الفضاء، فإنهم يقولون إن المواليد والحوادث اليومية حدثت من تركيب الأركان وفطرتها أي طبعها، وإذا لم يكن الله تعالى خالق[1] للمواليد بل حدثت بفطرة الأركان فليس بقادر وغير القادر عاجز والعاجز ليس برب.

دلك هذا على التعطيل ولا يخلصهم القول بالإحالة منه تعالى على الأركان ولا الاستحالة من الأركان إلى المواليد إذ لا صانع إلا الفاعل المختار لا الجماد، وأيضاً قالت المطرفية إن لله تعالى أربعين اسماً وإنها قديمة، وكل اسمٍ ذاته فمرامهم مرام الفلاسفة، بيانه أن العقول العشرة والنفوس التسع والأجرام التسع والبروج الإثنى عشر وما حواه فمنه وداخل فيه وهو عين القول بوحدة الوجود إذ وحدة العلة تقتضي وحدة المعلول، فعرفت أن أصول المطرفية أصول الفلاسفة والطبائعية، فالفلاسفة قالت بتأثير العلة وسائر العقول، والباطنية والصوفية والحلولية قالت بإلهية النفس،

(١) هكذا في الأصل، والصواب: خالقاً.

والصوفية الفروجية هبطت إلى الفرج، والمطرفية هبطت إلى أسفل سافلين إلى القول بتأثير أركان الطبائع وفطرتها في المواليد.

ومن أراد معرفة دعاة الباطنية وأصلهم وأولهم سلسلة متصلة إلى يومنا هذا، فعليه بـ(النفحات المسكية في السيرة المتوكلية)، وكذلك ابتداء ظهور مذهب المطرفية وذكر قدمائهم وقد ذكر فيها بعضاً، وقد كان انقطع مذهب المطرفية الشقية في أواخر أيام المنصور بالله عبد الله بن حمزة %.

قام الإمام المنصور بالله بالدعوة في شهر ذي القعدة سنة ٥٩٣هـ إلى موته في شهر ذي الحجة ٦١٣، وقيل يوم الخميس ١٣ في شهر محرم سنة ٦١٤، وكان موته رضوان الله تعالى عليه في كوكبان ودفن بها ثم نقل إلى بكر ثم نقل إلى ظفار ومشهده بها مزور، فحدثت الآن شناشن رثة وفروع أصولٍ إن شاء الله تعالى مجتثة ببركات آل رسول الله الذي ختم الله به الرسالة، وحفظ بهم واضح التأويل والدلالة ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[آل عمران:٨]،﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة:٢٠١].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

نقلت من خط القاضي العلامة محسن بن محسن القرشي عافاه الله تعالى، نقلها من خط المصنف الإمام حفظه الله تعالى بعناية الأخ العلامة وجيه الإسلام عبد الرحمن بن أحمد عشيش حفَّظه الله العلم الواسع، والعمل النافع، شهر جمادى الأولى ١٢٩٥.

وكتب حسن بن حسين الحوثي عفا الله تعالى عنه

تمت سماعاً قراءةً على مُصنّف هذا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين المحسن أمير المؤمنين حفظه الله ونصره وجزاه الله عن المسلمين أفضل الجزاء،

يوم الإثنين غرة شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩١هـ في المقام الشريف لما طلع بمحروس مدينة حوث وقد صححناها عليه قراءةً وتصحيحاً عليه أيده الله فما وافق هذه النسخة فهو المصحح المعمول عليها وما خالفها صححت عليها.

الحقير إسماعيل المرتضى وفقه الله لما اطلع سيدنا العماد يحيى بن محمد الشامي الشهاري قال شعراً: [من مجزوء الكامل]

لله در مؤلـف حـاز الكـمال وعـز قـدرا
أبـدى نصـائح مـن يريـد بشـامخات الشرع عـذرا
فلنصرك الشرع الشريف علـوت في الهـادين قـدرا
يـا حبـذا التـأليف قـد نصرتم لله نصرا

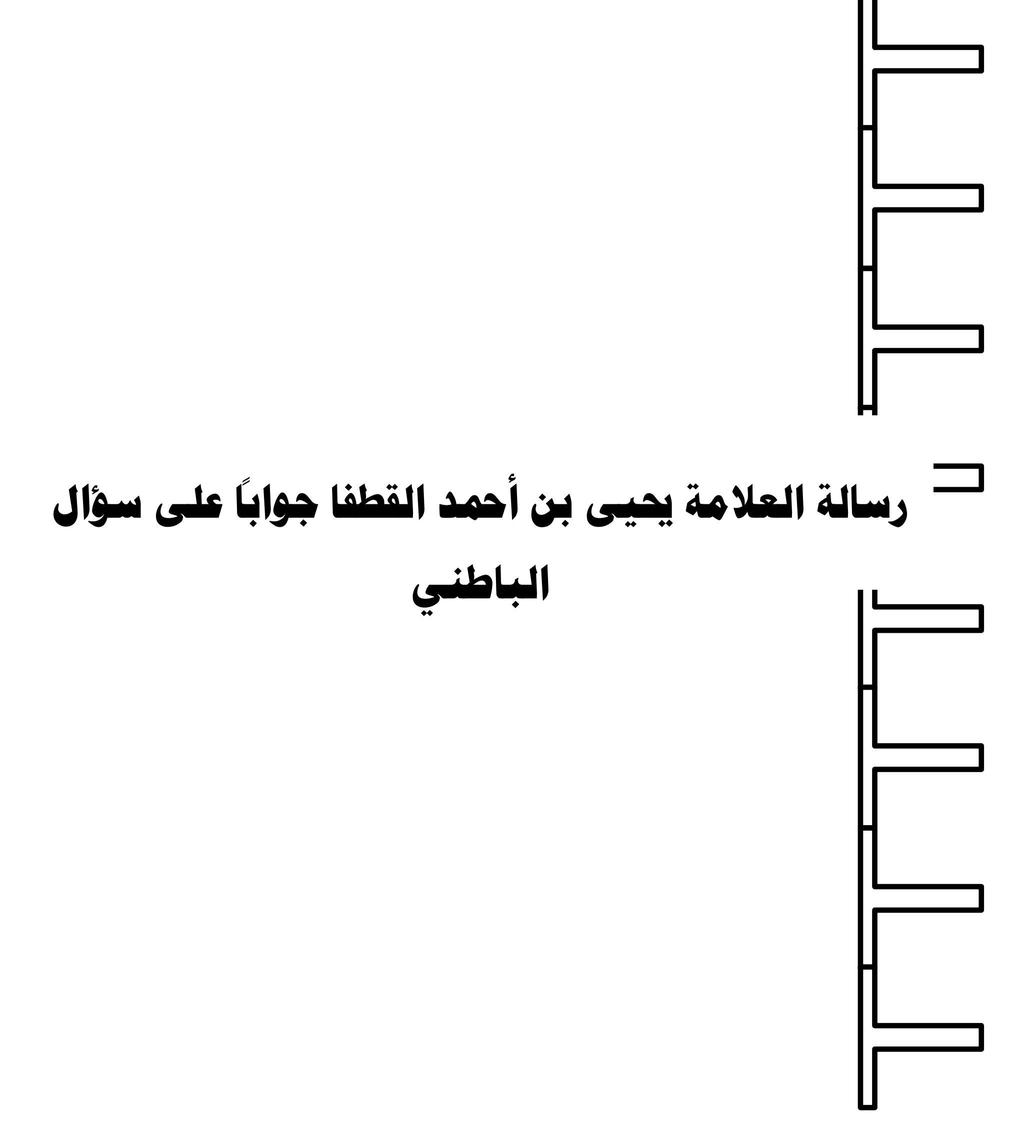
تم لي ولله الحمد والمنة تصوير هذه الرسالة المفيدة لوالدنا أمير المؤمنين المحسن بن أحمد من مجموع يحتوي على الثلاثين المسألة والسيف المسلول وكنز الرشاد.

بتاريخ ٢٨ شعبان سنة ١٤٢٩هـ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتب راجي عفو ربه

عبد الرحمن بن محمد بن محمد المتوكل عفى الله عنه



رسالة العلامة يحيى بن أحمد القطفا جواباً على سؤال الباطني

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفرد بالوجود، حيث كل شيء غيره معدوم، العالم بما سيوجده مما هو في العدم معلوم، يحمده خلقه حيث خلقهم بعد أن كان ولا كائن سواه، أبرز خلقه من العدم المحض حيث لا لهم مادة ولا مثال ولا وقت ولا مكان، بل خلق الكائن والمكان، والوقت والزمان، لا إله إلا هو عم علمه المعلومات، وثبتت قدرته على جميع المقدورات، الحكيم الذي لا يجوز عليه النقص ولا على حكمه النقض، وأصلي وأسلم على نبيه المفضال، من صدّع بعلمه ظلم الضلال، وكشف بنوره شبه الجهال، وعلى آله جبال الهدى، وأعلام التقى، ورضي الله عن أصحابه قافين أثره، والتابعين لهم في اتباع أمره.

وبعد فإنه لما ورد علي هذا السؤال ممن لا أعرفه بل وصل إلي كالضالة التي لم تنشد، فبقيت متطلعاً للسائل، فلم أقف من معرفته على طائل، فنظرت فيه وصعدت النظر وصوبت، وأرجعت النظر فأبصرت، فوجدته سؤالاً منفصلاً لم يترتب على أركان أدلة أصول دين الإسلام، فبنيت على عدم الإجابة وبعد خطر في البال، خلو الزمان عن من يعرف هذا الشأن، ويجري في شوط أهل هذا الميدان، فخشيت أن يطلع عليه بعض المبتدئين في هذا العلم قبل الرياضة في عرصات ذلك المكان، فَتَعْلَق بقلبه الشكوك في ثبوت ما ادعى أو نفي ما نفى فأجبت في صدره جواباً[(١)] لم أطنب فيه، والمقام مقام إطناب، ولم أوجز إيجازاً يخل بمواقع الخطاب، بل بين ذلك، فعززته بهذا البحث ليرجع إليه المطلع على ذلك الجواب فيما أشكل، والكل على حسب الطاقة والإمكان، والقصور وطول الاغتراب، والوقوف بين أهل الجهل والغفلة عن العلم والآداب، وأسأل من اخواني إسبال الستر على ما فيه من مخالفة أدب المناظرة، والغفلة في التحرير،

---

(١) سيأتي ذكر الجواب الأول بعد إيراده لفظ السؤال بعد الانتهاء من هذا الجواب الموسع.

وإصــلاح الفاســد، وتكميــل النــاقص، لينــتظم في ســلك مؤلفــات أولي الألبــاب، جزاهم الله خير جزاء بالزلفى وحسن مئاب.

فأقول: قال السائل: ما قولكم رضي الله عنكم في علم الله هل هو متعلق بمعلـوم أم لا؟ نقول علم الله متعلق بمعلوم وهو جميع مـا يعلمـه قطعـاً سـواءً كـان موجـوداً أو معــدوماً، فــما كــان معــدوماً فــالتعلق بــه حــال عدمــه، قــال تعــالى: ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ**﴾[الحديد:٣] فأثبت الأولية التي لا ابتداء لها والآخرية التي لا انتهاء لها، وقـال÷: «كان الله ولا شيء» وقال أمير المؤمنين %: «الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده».

وأقـول: قد أثبت المتكلمون حدوث العالم بالأدلة القاطعة، وكل منهم سلك طريـق تودي إلى اليقين فمنها دليل الآفاق، وهو الاستدلال بجملة العالم من حيث هو مجموع كما أفاده قوله تعالى، ﴿**وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ**﴾[البقرة:١٦٤] ومنهم من استدل بـالحوادث اليومية وهـو قولـه تعـالى: ﴿**وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ**﴾[البقرة:١٦٤] إلى قولـه ﴿**لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ ومنهم من استدل بدليل الأنفس وهو قوله تعالى: ﴿**وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[الذاريات: ٢٠، ٢١] وهذه الأدلة قد ذكرها صاحب الإيثـار وأراد ترجيحها على دليل الدعاوى فلذا نفى الكائنة واعترض القول بثبـوت الـذوات ولم يفرق بين الوجود والثبوت، وبهذا وقـع التخلـيط في القواعـد حتـى صـعب عـلى المبتدي معرفة الأصوب، وخفى عليه الأقرب، وكل دليل من الخمسة مـذهب جماعـة حسب نسبة الإمام المهدي وغيره فاطلبه من مضانه، وأما دليل الـدعاوي وهـو الـذي ورد عليه هذا السؤال فهو مـذهب الإمـام المهـدي والسـيد مانكـديم صـاحب شرح الأصول الخمسة والمؤيد بالله وأبو طالب وغيرهم من الأئمة المتقدمين، ومن المتأخرين

السيد الحسن بن أحمد الجلال، والسيد هاشم بن يحيى الشامي، ومن المشايخ القرشي، والعياني، والهادي بن إبراهيم الوزير، وغيرهم من علماء الزيدية.

وتركيبه أن قالوا: إن العالم محدث لأنه جسم وعرض ولم ينفك الجسم عن العرض والأعراض محدثة فيلزم من حدوث الجسم لملازمة العرض وإذا رأوا الدليل على الأكوان الخمسة وهي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والكون المطلق، فحدوا الحركة بأنها انتقال متحيز إلى متحيز، والكون في حيز بعد كونه في حيز آخر، وحدوا السكون بأنه الاستقرار في جهةٍ وقتين فصاعداً، والوقت مقدار رجع نكس الإنسان، والكون المطلق هو ما يكون عليه الجسم في ابتداء حدوثه ودلوا على هذا بما رسموه في كتبهم وقرروه بالأسئلة والأجوبة وأقرب ما يؤخذ ذلك من شرح القلائد للنجري وحاشيته للسيد هاشم بن يحيى الشامي والسيد أحسن بن أحمد الجلال.

وقول السائل: فإن قيل بمعلوم وهي الذوات.

قلنا: ما أردت بقولك الذوات هل هي ما علمه الله من مخلوقاته فإنه قبل حدوثها فتقول معلق بها حال عدمها واختلف الناس فيما تعلق به علمه تعالى فقال الإمام القاسم رضوان الله عليه ومن معه: بها أي بمخلوقاته وأنها معلومة معدومة وعند[ما][1] أراد إيجاد شيء منها أوجدها من العدم أما الأجسام فهو مختص بالقدرة عليه لاستحالة إيجاد جسم من جهة جسم آخر كما قرروه في هذا الدليل المتقدم.

وأما الأعراض فمنها ما اختص بالقدرة عليه كالموت والحياة والقدرة ونحو ذلك كما صرح به الإمام المهدي % في الدامغ.

وقال الإمام المهدي % ومن معه من المتقدمين والسيد حسن الجلال والسيد هاشم

---

(١) في الأصل: وعند أراد، وأثبتنا [ما] ليستقيم.

بن يحيى وغيرهم فقالوا: الذوات ثابتة في العدم بمعنى معلومة متميزة.

قال الإمام المهدي في الدامغ: مسألة: المعدوم من الذوات الجوهرية والعرضية معلوم ومعنى كونها ثابتة هي كونها معلومة متميزة، يصح القصد إليها وقال إن الثبوت لمن يكن بمعنى الوجود لأنه يوصف به المعدوم والموجود ومعنى الذات هو كل ما يصح العلم به على انفراده، والذوات التي اشتمل عليها العالم ثلاثة وعشرين نوعاً منها قسم واحد وهو الجواهر وهي أجزاء الأجسام حال تفرقها لأن الجوهرين إذا تركبا خطأ والأربعة سطحاً والثمانية جسم هذا عند المتكلمين وأما الأعراض فهي الإثنين والعشرين الباقية وهي الحياة والقدرة والعلم والإرادة والكراهة والشهوة والنفرة والاعتقادات والأصوات والطعوم، والروائح والألوان، والأكوان، والحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، والتأليف، والاعتماد، والفنا على خلاف فيه، والأنظار، والآلام، وقد اشتمل عليها وعلى غيرها دافع الأوهام في لطيف الكلام شرح مقدمة البحر المسمى رياضة الأفهام للإمام المهدي % ومعنى تسميتها ذوات من حيث أنها تحد وتعلم على انفرادها تقول العلم عرض أو أداة يصح لمن اتصف بها صحة الفعل وكذلك سائرها ويصح تسمية جميعها معانٍ ويطلق عليها لفظ الذات.

نعم: إذا عرفت ما تقدم فمسمى العالم ثلاثة أصناف جوهر وهو جزء الجسم لتركب الجسم الاصطلاحي من ثمانية كما تقدم وجسم وهو المنقسم طولاً وعرضاً وعمقاً.

الصنف الثاني: الأعراض المذكورة هنا، وعند اجتماعهما أي الصنفين فالجسم محلاً، والعرض حالاً، وهذه الأعراض تسمى صفات عند بعض المتكلمين فقط، وصفات موصوفات عند آخرين، إما[1] كونها صفات فمن حيث تبعيتها للأجسام وإما كونها

(١) في الأصل: إن ما، ولعل الصواب ما أثبت.

موصوفات فمن حيث تميزها في ذاتها، وهذا عند الإمام المهدي وأبي هاشم المعتزلي ومن وافقهم، وأثبت أهل القول الآخر وجماعة من أهل القول الأول صنفاً ثالثاً وهو النسب المسماه عند المتكلمين بالصفات كالكائنة والتابعة للكون، والقادرية التابعة للقدرة، والعالمية التابعة للعلم، والحياتية التابعة للحياة، إلى آخر الإثنين والعشرين المتقدمة فتقول مثلاً زيدٌ عالم فثم ثلاثة أمور مبتدأ وخبر فزيد مبتدأ والعالم خبر والرابطة النسبة وهو حصوله عالماً أو ثبوت العلم له، هذا عند النحاة أو تقول زيد محكوم عليه والعالم محكوم به عند أهل البيان، أو تقول زيد موضوع وعالم محمول وهذا عند المناطقة، فالنحوي يجعل ذلك من المتعلقات العامة وهو الحصول والثبات والدوام وغيرها مما يقدر، والمنطقي يجعل ذلك قضية وقد صرحوا بأن أجزاء القضية ثلاثة محكوم عليه ومحكوم به وحكم، وصاحب شرح المطالع جعل أجزاء القضية أربعة محمول وموضوع ونسبة وحكم، فالنسبة هي الرابطة عندهم التي استعير لها لفظة هو في قولنا زيد قائم فالتقدير زيد هو قائم، وهذا إنما هو على جهة التنبيه فخذ تحقيقه من مضانه وما فعلناه هنا إلا تبصرة لأجل لا يتهم أن الإمام ومن معه سلكوا في النسبة طريقاً غير مأهولة.

قال الإمام القاسم بن محمد % في الأساس في فصل الصفات: ومنها ثبوت الحيوان على حياته أي ومن الصفات فعد الثبوت من الصفات وهذه الصفات ليست موجودة إلا في العقل يعتبرها الواصف كما صرح به ابن الإمام في الغاية حيث قال والخلق اعتباري.

نعم: وإثبات اعتبار الواصف لها نفياً وإثباتاً نعم فجميع ما انطوت عليه هذه الأصناف هي الموجودة من جهة القديم تعالى إما بالأصالة كالذوات أو بالتبع الموصوفات كما في الصفات، وهي المعلوم له تعالى على قول جميع المسلمين أما على

الانفراد وهو أن يتعلق بها العلم متفرقة على كل جنسٍ جنس وبكل فردٍ فرد من كل جنس، أو تابعة لما اتصف بها وهي النسب المذكورة لأنها لا تستقل بالمعلومية بل من علم العلم علم ما يميز به وهي العالمية، وإذا علم الجسم علم ما يميز به وهي الجسمية وإذا علم العرض جملة علم العرضية وكذلك سائرها وهي الخاصة عند المناطقة والصفة الأخص عند المتكلمين.

فنقول: الله علم جميع المعلومات في العدم وهي معدومة عدم محض حقيقة علمه فخلق ما علمه جسماً جسماً من العدم المحض وما علمه عرضاً عرضاً من العدم أيضاً وما علمه تابعاً فقدرته عليه تابعاً للقدرة على متبوعه وتسميتها ذواتاً معلومة لا يقتضي وجوده[1] فإن ثمة أمور متفق عليها لم تكن موجودة وهي القيمة وأحوالها التي وصفها الشارع بما وصف فلو كان العلم بها يقتضي وجودها لكانت موجودة مشاهدة الآن وكذلك لو كان ما ثبت في علمه تعالى موجوداً لكان ما أخبرنا به ÷ من أشراط الساعة وظهور الدجال وأحواله موجودة مع الاتفاق على وجوب التصديق بذلك وكذلك ما ثبت في علم أهل الصناعات عند تصوره قبل إيجاده عند الوصف لكيفية مثاله النساخ عند أن يتصور الربع القطع.

والنصف والقطع حال شروعه وكذلك العمار عند تصوير الدار والخان والدائر في الارتفاع والطباق والطول والعرض وغيرهم فلو كان من تصور ذلك وجد ذاته وأنه لا يعلم ولا يتصور إلا الموجود للزم الدور وهو أن يتوقف ما أريد وجوده على تصوره وتصوره على وجوده، فافهم فمن هنا يعلم أن تعلق علم الله بالأشياء قبل وجودها لا يقتضي وجودها في العدم قال ÷ «كان الله ولا شيء».

---

(١) في الأصل: وجوه، وما أثبت لعله الصواب.

نعم: فنقول تعلق علم الله بالأشياء حال عدمها وأوجدها اختراعاً كما علمها فسبحان من عمت قدرته، وعظمت منته، **فإن قلت**: تعلق شيء وهو قدرة القديم تعالى بلا شيء.

قلنا: بل العالم قبل وجوده غيباً كما قدمنا لأن الأصناف المعدودة أولاً علمت له حال عدمها وعند أن أراد إيجادها أوجدها لأن الشيء هو ما يصح العلم به على انفراده سواءً كان موجوداً أو معدوماً كما قرر هنا وفي مواضعه.

فإن قلت: هل هذا السؤال يرد على جميع الأدلة المتقدمة.

قلت: لم يتوهم وروده إلا على دليل الأكوان المسمى بدليل الدعاوي وهو الخامس هنا.

و**قلنا**: يتوهم لأنه تشكيك ليس بنقض للدليل ولا معارضة له بل هو منفصل عن جميع أركانه وإنما هو سؤال عن الكيفية والسؤال عن الكيفية لا يكون إلا بعد تسليم إيجاد الفاعل المختار للعالم فليس هو من محل النزاع لأن حدوث العالم الذي هو محل النزاع قد سلمته الفلاسفة في الجملة ولكن نسبوه إلى العلة على سبيل الإيجاد فلما بطل الإيجاد أوردوا هذا السؤال تشكيكاً في ثبوت اختيار موجد العالم تعالى على أن مذهب الفلاسفة أن الكيفية والعلة القديمة التي يكنون بها عن القديم تعالى يكفي الظن في ثبوتها.

قال في شرح الإشارات قال قرقر بوس: أجمع الحكماء المتقدمون والمتأخرون أن العالم بالعلة القديمة جملي وصرحوا بأنه يكفي الظن في الكيفيات في كتبهم في ستة وثلاثين موضعاً.

نعم: إذا عرفت ما هنا فلنقل أوجد الله العالم ولا يلزمنا علم الكيفية لأنه لا يلزمنا العلم بكيفية الإيجاد ولا يقدح علينا ذلك في علمنا بحدوث العالم لأن قد علمنا بوجود

من أحدثه.

وألا ترى أن من رأى بناءً فإنه يعلم أن له بانٍ بناه مع عدم توقف علمه بكون له بانٍ على العلم بكيفية بانيه ولا بكيفية ابتداء العمارة في أي جهة وعلى أي صفة هل قائماً أو قاعداً أو منحنياً وهل بانيه سليم الحواس والجوارح أو فيه نقص أو عيب في ذلك بل نقطع بالباني من دون نظر إلى ما ذكرنا ولا التفات إليه ولا سيما فيما تقادم عهده كأهرامات مصر وإيوان كسرى والدار الحمراء في قصر صنعاء الموجودة الآن والجامع الكبير في صنعاء فإنا نعلم بأنها مبنية على أيدي البشر مع عدم العلم بما قدمنا.

فإن قلت: فما معنى الإيجاد لأن المعتزلة قالوا إنما كسى الموجودات صفة الوجود.

قلت: معنى الإيجاد الإخراج من العدم إلى الوجود فتعلق القدرة بالذات المعدوم لإيجادها فعند أن توجد تتصف بالوجود وهو معنى قولهم كساها صفة الوجود لأن الوجود صفة اعتبارية للموجود وإما لكون الموجود فما هو إلا بالفاعل يخرجه من العدم حال كونه معدوم إلى الوجود فيصير موجوداً يتصف بالوجود بعد أن كان معدوم يتصف بالعدم فافهم فإن قلت فمن صرح بما قلت.

قلت: السيد الحسن بن أحمد الجلال وغيره.

قال السيد المذكور: معنى ثبوت الذوات في العدم كون الذوات معلومة متميزة يتوجه القصد إليها لا بمعنى أنها موجودة فمعنى نفي صفة الوجود بمعنى أنها معدومة فكيف يقال بأنها لم تعدم لأنها ثابتة لأن الثبوت لم يكن مرادف للوجود عند من قال بثبوت الذوات في العدم وقال في موضع آخر في هذه الحاشية قوله -أي النجري-: ثابتان في الأزل، يقال ثبوتهما في الأزل بمعنى العلم بهما وصحة القصد إليهما لا بمعنى ظهور آثارهما فإنه غير حاصل إلا بعد إيجادهما فالوجود هو الذي يترتب عليه الآثار

وما للثبوت في الأزل إلا التمييز ليصح القصد إليها والله أعلم.انتهى بلفظه.

وقال في موضع آخر: معنى كون الذات أزلية بمعنى ثبوتها في حال العدم لا يمنع الحكم بثبوتها، وكذا ثبوت الغرض في القدم لا يمنع الحكم بحدوثه لأن معنى الثبوت كونه معلوماً متميزاً يتوجه القصد إليه لا غير فإحداث صفة الوجود هو معنى حدوثه الذي كان في الخارج انتهى.

نعم: إذا عرفت ما هنا علمت أن الأمر هول في إطلاق لفظ ثابت على المعدوم وأن كلام ابن الملاحمي والشيخ مختار في غير محل النزاع وأن التخليط ممن اعتمد على كلامهما حتى عرضت هذه الإشكالات كما نبهنا على ذلك سابقاً.

وقوله: فإن قيل بمعلوم وهو الذات فهذه الذات معلوم أنها ليست بأجسام ولا عرض ولكنها كيفية التكييف، وهي صورها وهو علم الله كيف ستوجد، وهذه صورة ثابتة في علمه جل وعلى.

أقول: نفي الجسمية والعرضية ممنوع لأن كلا القسمين إما موجوداً أو معدوم وقول القائل جسم معدوم وعرض معدوم قضية مقبولة صادقة تقول السماء والأرض أجسام وأعراض كانت معدومة قبل إيجاد القديم لها فعند أن أراد إيجادهما تعلق علمه بهما حال عدمهما فأبرزهما إلى الوجود فتعلق علمه بهما حال عدمهما تعلق شيء وهو قدرة القديم بالشيء المعدوم والثابت في علمه.

وقوله: ليست بأجسام ولا أعراض إن أراد موجودة فنعم وإن أراد معلومة لوجودها فهو الذي تقول ولا يتمشى نفي الجسمية والعرضية إلا على مذهب الفلاسفة حيث قالوا بقدم الجواهر الخمسة وهي العقل، والنفس، والهيولي، والصورة، والجسم التعليمي، وقد حققوها فكانت على مقتضى تعريفهم لها أجسام وأعراض قالوا

العقل ملك، والنفس فلك، والصورة رجعوا بها إلى تركيب الهيولا وهي الأخرى المتتنة والتصاقها حتى وقع منها الخط والسطح والجسم والصورة الموجب للاتصال وهو التأليف في لسان المتكلمين كما قدمنا وقد صرح بهذا القرشي والسيد هاشم بن يحيى الشامي.

وقوله: نعم فلما وجدت أعيان العالم فهل هذه الصورة وقع بها التجسم أم لا؟.

نقول: نعم وقع التجسم بالشيء المعدوم المعلوم ومعنى التجسم هو اختراع الجسم من لا شيء موجود بل من المعدوم المحض.

وقوله: إن كانت هي الموقوعة فقد تعلق بها الحدوث وبطل كونها أزلية.

أقول: ما معنى قولك إن كانت هي الموقوعة ما تريد بوقوعها هل وجودها حال العدم أو العلم بها حالة.

إن أردت الأول فلا قائل به ممن يعتد به بل الجميع قائلين بعدمها أو الوجود الكلي عند الفلاسفة ليس هو إلا بمعنى العلم لأنهم قالوا هو وجود في العقل لا في الخارج، وإن أردت الثاني وهو العلم بها لمنيتها فعند أن تعلق بها الحدوث وجدت فمسلم.

وقوله: وبطل كونها أزلية وإن أردت أزلية الوجود فممنوع وإن أردت أزلية العلم بها فأزلية العلم بها صفة راجعة إلى العالم بها لا إلى نفسها، بل هي ثابتة في علمه تعالى وثبوتها في علمه لا يقتضي أزلية وجودها كما قدمنا.

وقوله: ما الفرق بين الأزل والقدم.

قلنا: لا فرق وهو الوجود الذي لا غاية له في الماضي ولا ينتهي إلى حد فالقدم والأزل بمعنى واحد، وهذا الوصف مختص بالباري تعالى وصفاته الذاتية وهو كونه

حياً وقادراً وعالماً وموجوداً ونحوها كما هو مذكور في محاله.

فإن قلت: ما معنى هذه القدرة ونحوها في حقه هي ذاته لا غير وقد حققت هذا البحث في هذا المعنى في الهداية كتاب جمعته صحبة جواب سؤال في معنى الصفات ووقفته على صومعة الجامع المقدس بمدينة صنعاء بنظر الفقيه العماد يحيى بن عبد الله الأكوع فأطلبه منه فإن قد غاب عنه فعهدي به بيد سيدي أحمد بن حسين المطاع رحمة الله وعليه ورقة لدى سيدنا العماد المذكور ويطلب من ورثته لأن الزيدية لم يكن لهم همم فلذا تركت التحصيل والمكاتبة بالمذاكرة.

وقوله: أو كانت غيرها وهذه الأعيان ليست إلا منقوشة عليها.

أقول: هذه العبارة لم أجدها في لسان المتكلمين إلا أنها تتمشى على كلام أهل الهندسة في المثلث والمربع والمسدس وغيرها من أشكالهم لأنها هنا أفادت منقوش ومنقوش عليه ومنقوش بها فالأول كالخرم في الصرف والثاني الخرم نفسه والثالث الأدلة التي وقع بها الخرم وهي تجتمع في صناعة الشبابيك ونحوها أو النقش بالصباغات كما في المصنوعات والمروقات فإن أراد التصاق الصباغ المصبوغ فهو عرض وإن أردت تركيب الشباك وهيئته في الصورة المشاهدة فهي صفة اعتبارية إذ لو فرق صار العود حطباً والصورة متلاشية فالمنقوش والمنقوش عليه جسم وعرض مقدور للقديم تعالى فتحقق ما أراد بالمنقوش والمنقوش عليه ليجيب عليه.

وقوله: غيرها إن أراد الصورة وهي الهيئة فمن قبيل الصفات وإن أراد عرض على جسم أو جسم على جسم فلم يفهم عبارته ذلك، والله فاهم اللغات.

وقوله: فهذه الأجسام لها ذوات غير الذوات الأولى.

قلنا: لا نسلم التغاير بين ما علمه الله وبين ما أوجده إذا أوجد نفس ما علم والتغاير والتماثل هي من أحكام الوجود لأن حقيقة المتغايرين كل معلومين مختلفين لا يدخل أحدهما تحت الآخر، كيف والله علم ما أوجده وثبت في علمه جسماً وعرضاً وما ينسب إليهما فلا يقال الموجود غير المعدوم لأن الموجود موجود والمعدوم معدوم فيلزم على ما فرغ السائل أن الباري أوجد ما لا يعلم وهو ما أفاده قوله أو غيرها؛ لأنه إما أن يكون عالماً بالغير فقد أوجد ما علم، أو غير عالم به فقد أوجد شيئاً لم يعلمه تعالى، وهذا عين الجهل والخبط.

وقوله: أدى إلى التسلسل **نقول**: التسلسل إثبات أمور غير متناهية مترتب وجود بعضها على بعض في الوجود، وهنا لم يتأت لنا[1] هذا المعنى لأن التسلسل لا يكون إلا حيث تكون أحدهما علة الآخر لم يتصل سلسلة العلل في المعلولات فيكون كلما أشير إلى معلول فهو علة لما بعد معلول لما قبله وهلم جرا وهنا لم يكن إلا معلومات القديم وقد علمها حال عدمها بعلمه وأوجدها عند أن أراد إيجادها بقدرته فلا تسلسل.

وقوله: لم تكن هي حتى تكون[2] هي هي المعلومة المعدومة صارت موجودة بقدرة منشئها.

وقوله: ولو كانت هي فقد تعلق بها الحدوث وبطل.

قلنا: لم يبطل وقد أجبنا عليه أولاً ولعل السائل لم يمارس كتب الكلام ولا أداب البحث بل سمع قولاً فحكاه من دون نظر فيه فلذا تجد في كلامه من التهافت ما لا يوصف ولولا أن القصد الإفادة لا التشنيع لأبنت ذلك.

---

(١) لم تظهر الكلمة هنا في الأصل، وما أثبتناه تظنيناً والله أعلم.

(٢) في الأصل: تكو.

وقوله: وقع التسلسل أيضاً، قد تقدم بيان التسلسل وما يقع فيه إلى الإعادة لبطلان الآخر بالأول.

وقوله: وحيث هي غيرها فلا حاجة في إثباتها[1] لأنها غيرها وإثبات الغير ليعلم الغير لا حاجة له.

أقول: هي هي معلوم في العدم موجودة حال الوجود ولا يصح الحكم بالتغاير هنا وحقيقة الغيرين قد تقدمت.

وقوله: اتحاد الغير ليعلم الغير لا حاجة له.

أقول: هل انسد عليه طرق الأدلة كيف وقد خلق الله العالم ليكون دليلاً عليه تعالى، ﴿**وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ**﴾[الذاريات:٢٠]، وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾[الغاشية:١٧].

وقال ÷ : «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره» وقال أمير المؤمنين % «من تفكر في الخلق وحّد ومن تفكر في الخالق ألحد»، فلا دليل على الله أبين من خلقه والمستدل ليس إلا من يعقل فخلق من لا يعقل دليل لمن يعقل وهذه هفوة، وليس هذا موضع استيفاء ما فيها صحةً وبطلاناً فعد إلى باب النظر في كتب الأصول الدينية والفقهية.

وقوله: والثابت وهي الصورة لا تخلو إما أن يكون لله فيها تأثير أم لا، إن كان لله فيها تأثير صح صدقاً وإن لم يكن لله فيها تأثير أثبتنا قدمها.

أقول: ما أردت بقولك إن كان لله فيها تأثير هل إيجادها في حال كونها معدومة فهذا

---

(١) في الأصل: أثبا.

لا قائل به من المسلمين، ولا من الفلاسفة لأنهم قالوا صدر العقل الأول عن الله تعالى وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك إلى العاشر والصورة ما كانت إلا صادرة عن العقل العاشر هذا إذا أردت الصورة عند الفلاسفة وإن أردت معناها وهو التأليف فالتأليف عرض حل الأجسام بشرط الوجود، وكان التأليف معلوم معدوم لمن أوجده وأوجب المركبات في العالم عليه فافهم.

وقوله: فهل يثبت العجز والتشريك في القدم وإثبات الثاني أم لا.

وقوله: وإثبات الثاني حصل عن حقيقة الثاني المفروض وهو أن يكون متصفاً بصفات الباري جل وعلى وهذه محال.

وقوله: وهذا الثابت هل عدمه ثبوت أم لا.

أقول: هذا أمر عجيب حيث جعل العدم الذي هو نفي ثبوت والعدم لا يعقل إلا تبعاً للوجود.

فنقول: العالم قبل وجوده معدوم أي لا يوجد وعند أن وجد موجود أي ثبتت له صفة الوجود، **وقوله:** والله يعلم عدمه أم لا.

أقول: الله عالم ولا قصر لعالميته على معلوم دون معلوم كما قرر في مضانه وذكرناه في مسألة عالم.

وقوله: وهل العدم شيء أم لا.

نقول: العدم وصف اعتباري يعتبره الواصف في مقابلة الوجود فالوجود ملكة والعدم نفي والذي جرى في ألسنة العلماء أن المرجع بالعدم إلى النفي فإن نسب إلى نفسه فهو مقابل للوجود، وإن نسب إلى غيره فهو صفة للموصوف به.

نقول: العالم قبل وجوده معدوم والوصف لا يكون إلا لشيء ما يصح العلم به على انفراده، فهو شيء تابع لما وصف به كما قرروه في مسائل الصفات.

وقوله: إن كان عدمه ثبوت.

قلنا: هذا تفريع على غير أصل وقد أبطلناه قريباً لأن الثابت هو الذات المعلومة المعدومة أو الموجودة والعدم ليس بذات لأنه ما علم إلا تبعاً للوجود فافهم.

وقوله: والله يعلمه وهو لا شيء فيلزم تعلق علم الله بلا شيء.

نقول: ثبت علمه بكل معلوم كان ذاتاً وصفةً فتأمل.

وقوله: تعلق علم بلا شيء.

قلنا: كان الله ولا شيء فتعلق علمه بالعدم والمعدوم والوجود والموجود.

وقوله: ومعلوم أنه مخالف لعلمنا.

قلنا: نعم علمه ذاته وعلمنا عرض ولا يجوز عليه الجهل ويجوز علينا ونحن ننفك عن صفة العلم ولا ينفك عنها سبحانه وتعالى.

وقوله: فقد علم الله العدم فلا حاجة للثبوت.

قلنا: نعم لم نقل أن القديم محتاج إلى الثبوت ولا إلى المعدوم بل لما كان هو موجد العالم وثبت علمه بما أوجده قبل وجوده حكاه العلماء حالة فقال بعضهم هو عالم بما أوجده في العدم وقال بعضهم ما أوجده كان ثابتاً في العدم بمعنى معلوم كما قدمنا مراراً.

وقوله: وإن كان لابد من التعلق بمعلوم فهل يلزم الحاجة وإذا لزمت نفى العين.

قلنا: لم يقل أحد بأن القديم في عالميته وقدرته محتاج إلى شيء ومن حق الإلزام أن يكون لازم ولا يكون لازمه إلا إذا كانت مقدماته مسلمة فسبحان الغني عمن سواه.

وقوله: نعم وحد العالم يدخل فيه نحو النحلة وغيرها.

قلنا: قد أجاب القوشنجي شارح التجريد وشارح المواقف وسنقتصر على ما نقله السيد هاشم بن يحيى الشامي في حاشيته على القلائد قال السيد بعد أن ذكر مثل ما ذكره السائل والجواب لا نسلم عدم علم النحلة والعنكبوت بما يفعله لجواز أن يخلق الله فيهما علم بذلك الصادر أو يلهمها حالاً فحالاً ما هو مبدأ لذلك الفعل قال انتهى من المواقف وشرحه قال أيضاً وفي شرح التجريد للقوشنجي فإن قيل يتصور عن الحيوانات العجم أفعالاً متقنة محكمة في ترتيب مساكنها وتدبير معايشها كما للنحل وكثير من الوحوش والطيور على ما هو في الكتب مسطور، وفيما بين الناس مشهور، مع أنها ليست من أولي العلم.

قلنا: لو سلم أن موجد هذه الآثار هذه الحيوانات فلم لا يجوز أن يكون فيها من التعلم ما تهتدي به إلى ذلك بل قد يخلقها الله عالمة بذلك انتهى بلفظه وهو كاف في الجواب، ثم وأحسن ما يقال في حد العلم ما قاله الإمام القاسم بن محمد % في الأساس ما هذا لفظه: العلم إدراك تمييز بغير الحواس الخمس سواءً توصل إليه بها كما في حقنا أم لا كما في حق القديم تعالى، انتهى. ما وجد من الجواب ثم حرر المجيب السؤال الوارد المجاب عنه بلفظه بعد رقم الجواب فحسن أن نذكره كما فعل تتميماً للفائدة وتحيقاً للفظه ومعناه.

قال السائل:

[نص سؤال الباطني]

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما قولكم رضي الله عنكم في علم الله هل هو متعلق بمعلوم أم لا، فإن قيل بمعلوم وهو الذات فهذه الذوات معلوم أنها ليست بأجسام ولا أعراض، ولكنها كيفية التكييف وهي صورها وهو علم الله كيف ستوجد وهذه هي صورة ثابتة في علمه جل وعلا.

نعم: فلما وجدت أعيان العالم فهل هذه الصورة وقع بها التجسم أم لا؟ إن كانت هي الموقعة فقد تعلق بها الحدوث وبطل كونها أزلية وما الفرق بين القدم والأزل، فإن كان الأزل متأخر عن القدم أدى إلى الجهل قبل ثبوتها، وإن لم يكن فلا حاجة للفرق أو كانت غيرها وهذه الأعيان ليست إلا منقوشة عليها فهذه الأجسام لها ذوات ثابتة غير الذوات الأولى وهذه الذوات الأخرى هي لم تبرز مثل الأولى وأدى إلى التسلسل لأنها لم تكن هي حتى تكون هي هي، ولو كانت هي فقد تعلق بها الحدوث وبطل كما تقدم ووقع التسلسل وحيث هي غيرها فلا حاجة في إثباتها لأنها غيرها، وإثبات الغير ليعلم الغير لا حاجة له.

نعم: وهذا الثابت وهي الصورة إما أن يكون لله فيها تأثير أم لا؟ إن كان فيها تأثير لله صح حدوثها، وإن لم يكن به فيها تأثير أثبتنا قدمها فهل يثبت العجز والتشريك في القدم وإثبات الثاني أم لا.

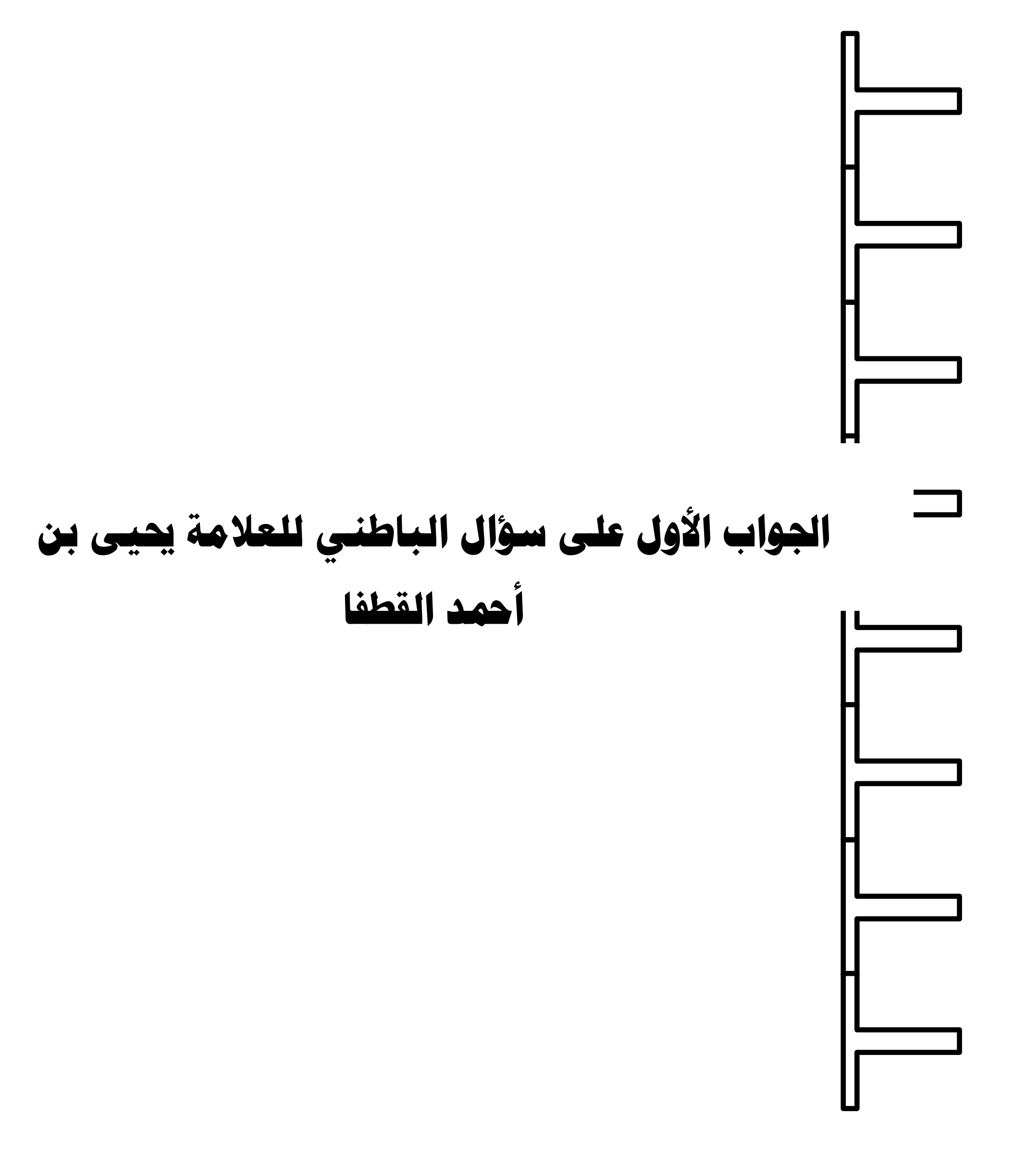
وهذا الثابت هل عدمه ثبوت أم لا والله يعلم عدمه وهل العدم شيء أم لا إن كان عدمه ثبوت والله يعلمه وهو لا شيء فيتعلق علمه تعالى بلا شيء ومعلوم أنه مخالف

عليها لأنا لا نعلم إلا الأجسام والأعراض وصورة المتصور وما كان موجوداً لا غير فلأجل هذا يصح منه أن يعلم لا شيء وإن كان عدم الثبوت ليس ثبوت وهو شيء والله يعلمه فقد علم الله بالقدم فلا حاجة للثبوت وإن كان لابد من التعلق بمعلوم فيلزم الحاجة لهذا المعلوم وإذا لزمت نافى الغبي[1] فطاش ذهني وضاع فهمي افتونا بالتحقيق جزاكم الله خيراً.

نعم: وحدود العلم يدخل فيها النحلة وغيرها من الطيور كالمسقيات وغيرها تفعل الأمور المحكمة كالبيوت والتحيل على أبوابها لئلا يتصل بها ثعبان أو نحوه مما يأكل أولادها من الطيور بصناعات محكمة فالنحلة تصنع مالا يمكنا صناعته وتعرف من الإشارات معرفة أهل العقول وأوقات العقود جزاكم الله خيراً عن المتعلمين، وأفاد بكم المسترشدين، وأحيا بكم آثار النبي المختار ÷ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. انتهى السؤال بلفظه ويتلوه الجواب الأول المختصر ثم عقبه ما نقلناه أولاً ولحفظ الجواب الأول.

---

(١) لم تظهر هذه الكلمة في الأصل.



الجواب الأول على سؤال الباطني للعلامة يحيى بن أحمد القطفا

الجواب: والله الموفق للصواب إن هذا السؤال سأل به الفلاسفة يريدون إبطال كون القديم تعالى فاعلاً مختار، وقد اختلف العلماء في وجوب الإجابة فيه، فأجاب بعضهم بأنا قد علمنا أن العالم وجد من جهة القديم تعالى، وأنه محَدث وعلمنا قدرة القديم تعالى عليه ، وعلمه به، وعلمنا أن القديم تعالى قادر، عالم، وحي، ومريد، وموجود، بالأدلة القاطعة، فهذا السؤال لم يكن وارد على شيء مما تقدم، ولم يشكك في شيء منه بل هو سؤال منفصل فلا يلزمنا الإجابة عنه، وبعضهم أجاب كالإمام المهدي والرازي وغيرهما فأجابوا بأنه سؤال عن كيفية تعلق القدرة والعلم، والكيفية يكفي فيها الظن لأنها لم تكن من القدر الأول الذي يلزم فيه العلم كما قدمنا، ولذا قال ابن الإمام في الغاية في بيان حكم الاختلاف، وأما خلاف لم يبلغ في دينك أي الكفر أو الاثم فقط كما وقع بين أئمتنا والمعتزلة في مسائل الصفات، وإثبات الذوات، فليس بقادح في العدالة اتفاقاً. انتهى بلفظه.

ولكن نقول حاصل هذا السؤال هو السؤال عن تعلق علم الله بالمعلومات هل هو متعلق بها أم لا.

فنقول: تعلق بها حال عدمها حيث لا موجود سواه وتسميتها ذات لا يقتضي وجودها لأن الذات والشيء إسمان لما يصح العلم به على انفراده سواءً كان موجوداً أو معدوماً، فعلم الجسم الذي سيوجد جسماً معدوماً، والعرض الذي سيوجد عرضاً معدوماً، والكيفية التي سيوجد الجسم عليها كيفية معدومة.

وقوله: وهذه صورة ثابتة في علم الله.

قلنا: نعم صورة ما تقدم والثبوت وصف الموجود والمعدوم وليس هو مرادف للموجود.

وقوله: وقع بها التجسم أم لا.

قلنا: لم يقع هي غير الجسم في العدم حتى تحدث على التجسم بل علم أعيانها معدومة، وأوجدها كما علمها، وأكسبها صفات الوجود، فقوله التجسم لا معنى له.

وقوله: قد تعلق بها الحدوث وبطل كونها أزلية.

قلنا: من قال من المسلمين بأن معلومات القديم أزلية بل قالوا إن معلومات القديم العالم وقد علمه قبل وجوده لا ينفك علمه به عن وجوده تعالى وعند أن وجد أبرزه إلى الوجود من العدم اختراعاً لما علمه قبل وجوده وحال عدمه ولا فرق بين الأزل والقدم في لسان المتكلمين وتجويز الجهل عليه تعالى ممنوع لعموم علمه تعالى.

وقوله: وإن كانت غيرها هنا أثبت التغاير بين الموجود والمعلوم والجواب هي التي كانت معلومة للعالم بها حال عدمها أوجدها وأنشأها كما علمها.

وقوله: صارت منقوشة.

أقول: أن النقش لا يكون إلا تجسم على جسم بالتوقيف كما في الشبابيك وغيرها أو بالزيادة كالسباع[(١)] وهذا لا مدخل له في هذه المسألة.

وقوله: فهذه الأجسام لها ذوات ثانية غير الذوات الأولى.

قلنا: لا بل الموجودة هي المعلومة الأولى المعدومة.

وقوله: وهذه الذوات لم تبرز مثل الأولى.

قلنا: قد أجبنا أن الأولى هي الأخرى.

وقوله: وأدى إلى التسلسل لا نسلم التسلسل لأن التسلسل إثبات أمور غير متناهية

---

(١) كذا في الأصل، ولعله يريد كالصباغ كما تقدم.

مترتب وجود بعضها على بعض وهنا ليس إلا الله تعالى وخلقه، فالله الخالق مخلوقه فلا ترتب.

وقوله: لأنها غيرها.

قلنا: لم تكن غير لها لأنها أشياء معدومة معلومة وما وجد هي هي كانت معدومة وصارت موجودة فافهم وارجع في كتب الكلام إلى معنى المماثلة والمغايرة لتعرف ذلك.

وقوله: وهذا الثابت هل لله فيه تأثير.

قلنا: في حال عدمها لم يكن تأثير وعند أن أراد إيجادها أوجدها ولا معنى إلى ما فرع به إلى قوله أثبتنا قدمها ما أدري من أين لزم القدم هل قد صح عنده وجودها وهل قد قال قائل ممن قال هي معلومة أو ثابتة بمعنى معلومة لوجودها حتى فرع عليها هنا هذا التفريع، بل قد أجبنا أنها معلومة معدومة.

وقوله: وهذا الثابت هل عدمه ثبوت أم لا نقل السائل من المعدوم إلى العدم نفسه فالعدم معلوم للقديم تعالى، وقوله هل العدم شيء.

أقول: إن العدم المقابل للوجود شيء معلوم تابع للعلم بمقابله وهو الوجود وأما العدم المنسوب إلى شيء فهو معلوم تبع لما نسب إليه نفياً أو إثباتاً.

وقوله: تعلق علمه بلا شيء.

قلنا: كان الله ولا شيء فتعلق علمه بالعدم والمعدوم والوجود والموجود.

وقوله: مخالف لعلمنا.

قلنا: نعم علمه تعالى ذاته وعلمنا عرض ولا يجوز عليه الجهل ويجوز علينا ولا ينفك عن صفة العلم ونحن ننفك عنها، سبحانه وتعالى.

وقوله: فقد علم الله العدم فلا حاجة للثبوت.

قلنا: نعم لم نقل أن القديم محتاج إلى الثبوت ولا إلى العدم والمعدوم بل لما ثبت كونه موجد العالم وثبت علمه بما أوجده قبل وجوده حكى المتكلمون حاله. فقال بعض: هو عالم بما أوجده وقال بعضهم: ما أوجده كان ثابت بمعنى معلوم.

وقوله: وإن كان لابد من التعلق.

قلنا: التعلق لم يكن شرطاً في الإيجاد فيلزم الحاجة إليه على فرض بل من غيره بالتعلق إنما عبر عن نسبة علمه بالمعلوم بالتعلق لأنه جعلها شرط في الإيجاد في العلم بالمعلوم.

وقوله: وحد العلم يدخل فيه النحلة وغيرها.

قلنا: قد أجاب شارح المواقف والقوشنجي شارح التجريد بأن خلق لها علماً بذلك على جهة الإلهام قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾[النحل:٦٨]..الخ وأحسن الحدود للعلم ما في الأساس للإمام القاسم % وهو قوله العلم إدراك تمييز بغير الحواس الخمس سواءً توصل إليه بها أم لا.

وقوله: أم لا كما في علم القديم تعالى والله أعلم.

قال المجيب وقد أصحبت هذا السؤال رسالة كالشرح للجواب فإذا لم يفد الجواب رجع السائل إليها انتهى.

نقل ذلك عن أمر مولانا إمام العصر وأن يجعل في السيرة المتوكلية لجمع الفوائد فيها كما قد وقع فيما سلف وبالله الاستعانة والتوفيق.

جواب الباطني حسن بن إدريس على رسالة الشهيد عامر بن علي

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أفقر عباد الله إليه، وأحوجهم لعفوه يوم يعض الظالم على يديه، حسن بن إدريس بن علي إلى الشريف عامر بن علي وفقه الله إلى الصواب والسداد، ومنحه التوفيق والرشاد، نخبره أنه وصل كتابه، وفهمنا خطابه، فما أهداه من التحية، وابتدأه من الدعوات المرضية، فإليه يعود أشرفها رسماً وكناً موافقة لقوله تعالى﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ**﴾[النساء:٨٦] وما لحظ إليه مما بلغه من جمعنا واجتماعنا، وأن ذلك ما هو الواجب، ولا النظر الثاقب، فنحقق له أنا لا نجاهد إلا من عصى السلطان ومنع الطاعة، وخالف أهل السنة والجماعة، ونبه الفتن النائمة، وأثار المحن المتكاتمة من الرعايا والعوام، الذين هم أقرب شبهاً بالأنعام، أتباع كل ناعق.

وأما علماء المذاهب، وأوعية العلوم الأطايب، فهم في جوامع الإسلام، ومدارس علوم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ولنصرة الدين مجتمعين، وإلى طاعة السلطان مسارعين، وكذلك أمراء الأشراف، من آل هاشم بن عبد مناف، أهل الجد والاجتهاد، الباذلين نفوسهم في الجهاد، وأعلاهم مقاماً وأظهرهم صيتاً وأعلاماً، الأمير على الدين أحمد بن محمد بن شمس الدين وأولاد عمه الكرام، الرؤساء الأعلام، أولاد المطهر بن الإمام، أهل العد والعدد، والقوة والمدد، وكذلك آل الإمام المنصور بالله المعترفين بطاعة سلطان الأمم وأمراء آل المؤيد المجتهدين المعترفين بمعنى الإمامة والإمام، ومن لا يجوز عليهم المجاز من الكلام، كل هؤلاء يعرف بولاية مولانا السلطان، شاكراً لما نالهم من الفضل والإحسان، وهل يجهل مقام مولانا السلطان الأعظم إلا من لا يفهم، وهاهو خليفة الله في أرضه، قائم بسنته وفرضه، حامي ثغور الإسلام على دين نبينا محمد %، عامر البيت الحرام، مقيم مناسك الحج والإحرام، ولولا أن يظن بنا غلواً في الكلام لزدنا في ما يجب لهذا المقام، ولأوسعنا المقال، على كل حال، ولعمري إن لوزيره

الأعظم، وأميره[1] المكرم، من الفضل العميم، والطول الجسيم، ما وسع السيد والمسود، مولانا ولي نعمتنا حسن باشا، بلغه الله من كل خير ما شاء.

وأما فخرك بأهل البيت، الحي منهم والميت، فكما قال الأول شعراً:

فإنك والفخار كذات مرط	لربتها وترفل في الإهاب[2]

وأما نحن فعبيد مولانا السلطان الأعظم، وخدام وزيره المكرم، نعتقد أن خدمتنا لإحسانهم شكراً، ولما اختصونا وجميع قبائلنا سهلاً ووعراً، منه النعمة الشاملة، والأيدي الهاطلة فقد[3] [قال] ÷: «من أسديت إليه نعمة فليشكرها وليذكرها».

واعلم أنه لا يهولنا في واجب الطاعة تهديد، ولا يطمعنا وعد ولا يروعنا وعيد، وأما ما ذكرت من علي بن صلاح فإنه قد أخذ وأعطى، والحرب سجال والأيام أدوال، وقلت إن إمامك مشغول بحرب الشام، وأنت تشعبت عليك الأمور العظام، من خلف وأمام، فما كان أغناك عن هذا المقام، وكان الأولى بك أن تدعو لمن أحسن إليك، وحمل المؤنة عنك «ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».

وأما ما ذكرت أنك ما قمت إلا بإشارة ربانية، وأحاديث نبوية، فإن كان عندك شيء من ذلك يقين فأخبرنا ما هذه الإشارات التي ادعيت، والأحاديث التي رويت، على أن للخبر عند أهل العلم شروطاً ولم يكن عندك منها شيئ، ولو لم يكن إلا أنك متشيعٌ مبغض للصحابة فكفى ذلك وإن كان للتمويه فمثلنا لا يغتر بالأقاويل.

هذا ولقد كان لك في المدعي الذي هو الحسن بن علي عبرة تغنيك، ولا يغريك

---

(١) في الأصل: مكتوب فوقها (وأمينه).

(٢) البيت للشاعر عطية بن عفيف.

(٣) في الأصل: من غير كلمة (قال).

العدة الكثير الذي كاثرتم به الرمال، وملأتم السهول والجبال، ثم مما نحقق لك أنا كتبنا جوابك، بعد وصول كتابك، وعرضناه على المسامع الشريفة الوزيرية، وقرئ في الحضرة الباشوية، وأخذنا الإذن الشريف بإبلاغه إليك، وعرضه عليك، مراعاة لسوابق النعماء، ومحافظة على شرط الوفاء، وشكراً للصلة العظمى، وأنت شرحت في كلامك إنما حملك على ذلك شفقة علينا، والنظر بعين المراعاة إلينا، فقد أوجبت علينا بذلك يداً، واستحققت منا رعاية وهدى، فإن عرفت المعنى، وفهمت المقصود منا، نلت حضك الأسنى، واستمريت عيشك الأهنا، وإن أبيت فقد أدينا واجب الأخوة الإيمانية، وتحرجنا من الحقوق الواجبة على الذوات الإنسانية، وذلك أني قد تحققت ما جرى من الأمور، وما حصل من الشرور، ثم إن لك في الفقيه يوسف الحماطي[1] وقد بينه العياني عبرة لا تخفى، فإن رأيت أن ترفق بنفسك، وترجع إلى صائب معقولك، ورأيت الرجوع إلى الطاعة، والمسارعة إلى ما عليه الجماعة، بلغنا بك ما أملت من الجوانب العالية، والعطفات السامية، لأن عفوهم أعظم من كل ذنب عظيم، ومولانا صاحب السيرة الأب الرحيم، يجعل العفو شكراً، ويعد أنه بالفضل أولاً وآخراً، وهذا القول من واجب النصيحة، ومحض المشورة الصحيحة، والله الموفق للصواب، والهادي إلى ما يرضيه من الأسباب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) القاضي العلامة الزاهد، التقي، العابد، يوسف بن علي الحماطي، ناصر الإمام القاسم بن محمد %، وله أيام معروفة في الجهاد والصبر،وحثَّ أهل البلدان على نصرة الإمام % حتى أسرته الأتراك، وسُجن بصنعاء، حتى مات شهيداً مسموماً سنة ١٠٠٧هـ، ودُفن بها.

القسم الثاني

رسائل الدعوة وما يتعلق بذلك

١- رسالة الإمام عليه السلام إلى كافة المسلمين يدعوهم لجهاد الباطنية بعد رجوعه من الحيمة.

٢- رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل صنعاء.

٣- رسالة الإمام عليه السلام إلى قبائل حاشد .

٤- رسالة الإمام عليه السلام في التحذير عن حسين الهادي.

٥- رسالة الإمام عليه السلام إلى الكافة يدعوهم إلى جهاد الباطنية.

٦- جواب الإمام عليه السلام على رسالة الإمام محمد بن عبد الله.

٧- جواب شيخ الإسلام القرشي على الإمام محمد بن عبد الله ورسالة العلماء إليه.

٨- رسالة السيد العلامة محمد بن القاسم إلى الديار القاصية نيابة وبأمر الإمام عليه السلام المسماة بـ(الموعظة الحسنة).



رسالة الإمام عليه السلام إلى كافة المسلمين يدعوهم لجهاد الباطنية

بعد رجوعه من الحيمةحررت في شهر شعبان سنة تسع وسبعين ومائتين وألف ١٢٧٩هـ

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الناصر لمن نصره، المبيد لمن جحده وكفره، والصلاة والسلام على رسوله الذي بعث بالهدى والنور، وعلى آله قرناء الذكر المبين سلالة خير داعٍ إلى الله وخير حجج على خلقه على ممر الدهور.

أما بعد..

فرسالتنا هذه إلى أهل الملة المحمدية، وأتباع العترة الزكية، وأنصار الدعاة الهاشمية، من العصابة الزيدية، وأولاد الحسين والحسن، القاطنين بقطر اليمن، وفقهم الله لسلوك طريق السداد، وسبيل الرشاد والإرشاد.

[عقائد الباطنية]

فإنا ندعوكم إلى جهاد هذه الطائفة الكفرية، والفرقة الباطنية القرمطية المجوسية، المنكرون لوجود الباري، القائلون بتأثير النجوم الدراري، النافون للنبوءات، والشرائع المشروعات، المستحلون نكاح البنات والأمهات والأخوات، وسائر المحرمات، الطاعنون في المعجزات الباهرات، فقد صح منهم ذلك جملة وتفصيلاً، وصدوا عن سبيل الله جيلاً فجيلاً، واتبعوا دين المجوس المهين، وهذيان ابن ميمون اللعين، وكان مذهبهم مكتوماً أشد الكتمان، ثم ظهر الآن، ولا يزال يظهر تارة ويخفى أخرى في كل زمان، إن خافوا ذلوا وكتموا وإن قويت شوكتهم أظهروه وألحدوا، وإفشائهم الانتظار، وتتبع الفرص والفترات في جميع الأعصار، وقد خدعوا العوام، والفجرة والعجزة الطغام، من أهل الحطام، بالحيل الخفيات، وبما يناسب طباعهم وعقولهم المضلات.

ومن حيلهم أن يلعن بعضهم بعضاً، ويظهرون في ذات بينهم عداوة وبغضاً، بالقول والأفعال، والأمر خلافه فلا يخرجون عن دين المجوسية، ولا يتبعون أحكام الشريعة المحمدية، إلا خوفاً وتقية، فقد هتكوا الحرم، واستباحوا المحرم، وأخذوا الجبايات في الطرقات، وأنزلوا بالمسلمين عذاباً ووبالاً، وجعلوا ديارهم خاويات قسراً وسبياً، وأموالهم نهبةً وفيئاً، ومع ما ذكرنا من المصائب العظمى، وعددنا من الطوام الكبرى، أنهم مخالطون للمسلمين في بلادهم ومساكنهم وناكحون منهم حقيقة لما هم عليه وإليهم، قد اتصلوا بالقرب والقرابات فترى القرمطي الكافر نسب المسلم وقريبه في بعض البلاد وهو لا يشعر بحاله، وقد عرفوا بالاتصال في طباعهم وسلكوا لكل فردٍ في الطريق التي تناسبه، وإلى كفرهم تقربه وتجذبه، لا يخفى عليهم من العورات خافية، ولا يدعون جهداً في خدع المسلمين، ولا يتركون لدينهم بقية فأي ضرٍ أبلغ من ضرهم، وأي شرٍ أكبر من شرهم، هم العدو فاحذروهم، فقد جذبوا بالمؤاخاة في العوام جمًّا غفيراً، وجمعاً كثيراً، حتى حالفهم وناصرهم، وصار حكمه لا محالة حكمهم.

[تحريض الإمام % على جهاد الباطنية]

فلعمري أن كل مسلم لا يهتم بجهادهم ولا يعين بمقدوره على منابذتهم، ليس له في رحمة الله نصيب، وأن كل مسلم أعاننا بمقدوره عليهم فكأنما أعان محمداً÷ على قتلاء القليب[1]، ألا فالهمة الهمة أيها المسلمون إلى الذب عن دينكم وأموالكم

---

(١) وهم قتلاء بدر (عتبة وشيبة وأمية بن خلف وغيرهم)، والقليب اسم لبئر بالقرب من (بدر) وضع فيه رسول الله÷ قتلاء المشركين.

وتجارتكم واسبابكم فماذا بعد هذه الضرورة تنتظرون، وبأي علة تعتلون، وبماذا على الله ورسوله تجيبون، وبأي عذرٍ تعتذرون، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يغرنكم إرجافهم، وقيلهم وقالهم، فهم أذل ذليل، وأقل قليل، مع العزيمة وصلاح النيَّة، وخلوص الطوية، فكم لهم من مخازي، ومن استهزأ بدين الله وشرائعه قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً، قال شاعرهم مادحاً لنبيهم علي بن الفضل لعنه الله ولدينهم وجاحداً للأحكام، وأركان الإسلام: [من المتقارب]

خذي الدف يا هذه واضربي
وغني هزاريك ثم اطربي

تقضى نَبِيٌّ بني هاشمٍ
وهذا نبيّ بني يعرب

لكل نبيٍّ مضى شرعةٌ
وهذي شريعة هذا النبي

إذا الناس حجوا فلا تحججي
وإن صوَّموا فكلي واشربي

ولا تمنعي نفسك الناكحين
من الأبعدين أو الأقربِ

وقد حطّ عنا فروض الصلاة
وحط الصيام ولم يتعبِ

أحلَّ البنات مع الأمهات
ومن فضله زاد حل الصبي

قال السيد العلامة يحيى بن إبراهيم فيما أخبرني به مكاتبة ما لفظه: وفي الحقيقة هم أعداء الدين خلف عن سلف، انظر إلى كتاب المقنع في أحكام الطاغوت فمؤلفه الذي جمعه جدهم إبراهيم بن محمد بن مكرم الداعي لعنه الله شعراً: [من البسيط]

هنــــاك لا ينفـــع الــــداعي ندامتــــه
وعـــضّ إبهامــــه في الوقـــت والحـــين
تبــــاً ليــــام فــــلا يغــــررهم طمــــع
إن الغــــرور خيــــالات الشــــياطين

ألا وإنا نحثكم أيها المسلمون: على قتالهم وجهادهم وهذه أنفسنا مع أنفسكم وأيدينا مع أديكم، وإياكم والتكاسل والتخاذل والتعليل، والتسويف والإشتغال بالمتاع القليل، فقد دب شرهم إليكم في سرهم وجهرهم، ونستعين بالله عليهم فإن لنا بمشيئة الله الكرة بعد الكرة عليهم حتى ينجز الله لنا وعده، ويعزّ جنده ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف:١٠٨] ﴿**وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود: ٨٨] .

حرر بمحروس حصن العراس في شهر شعبان سنة تسع وسبعين ومائتين وألف ١٢٧٩هـ.



رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل صنعاء

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل أهل البيت المطهرين نجوماً لهذه الأمة المرحومة يهتدى بهم في ظلمات الفتن والضلال، ورجوماً للشياطين من المتمردين العتاه ممن تاه في بيداء الوبال والخبال، والصلاة والسلام على خير داعٍ إلى الرشاد، محمد وآله الذين هم لن يزالوا يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إلى يوم التناد.

أما بعد.. فرسالتنا هذه إلى كافة من سكن بصنعاء اليمن من علمائها وعقالها وكبارها وصغارها، إعلاماً لهم وإن كانوا يعلمون أنكم تطوقتم بطاعتنا كطوق الحمامة، ودخلتم في طاعتنا طائعين غير مكرهين كما افترضه الله عليكم وعقولكم في صحة وسلامة، وقنعنا منكم بفعل المستطاع من الإنتماء والطاعة، وحفظ نفوسكم عن الدخول تحت أيدي أهل الخلاف والعناد والخلاعة، فأبيتم إلا النكوص على الأعقاب، والخروج عن دائرة الصدق إلى وخيم الخناء والكُذَّاب، وكان همنا إفراغ الوسع في صلاحكم، والجهاد الذي لستم عنه بمعذورين، للبغاة والناكثين، وعفونا عن كثير ممن يلزمكم من جملة المكلفين؛ لأن هذه المدينة مهبط أهل الإيمان ومحتد أهل البر والإحسان، وكنتم في يسر وأمان وحسن حال وصلاح شأن، فما أشبه حالكم بحال من وصف الله شأنهم في القرآن ﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾[النحل:١١٢] ونحن لا نسأم عن الدعاء إلى الله، والتذكير بأيام الله، فإن ترجعوا إلى الله وتداركو نفوسكم بالإياب إلى طاعتنا، واستدراك ما فات من دعوتنا، فباب المتاب مفتوح وإلا فالله بالمرصاد، ونحن بحمد الله على بصيرة من أمرنا في الإصدار والإيراد.



رسالة الإمام عليه السلام إلى قبائل حاشد

﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[الأحقاف:٣١، ٣٢] .

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ١٢٣] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾[الفتح: ٢٠].

الحمد لله الذي شرع لعباده الجهاد، وجعله سنام الدين والعماد، وأقام به سائر الفروض التي ترضي رب العباد، والصلاة والسلام على رسوله الداعي إلى سبيل الرشاد، وعلى آله الذين جددوا شريعته بالسيوف والصعاد.

وبعد.. فرسالتنا هذه إلى الكافة من خدامتنا وشيعتنا ومحبينا وأهل السابقة إلى الجهاد والرغبة في سبيل السداد، رجال حاشد عصيمي وخارفي وصريمي سلمهم الله من الأسواء، وجبلهم على البر والتقوى، سلام عليكم فإنا نحمد الله إليكم ونسأله لنا ولكم التوفيق والهداية إلى واضح الطريق.

أما بعد..

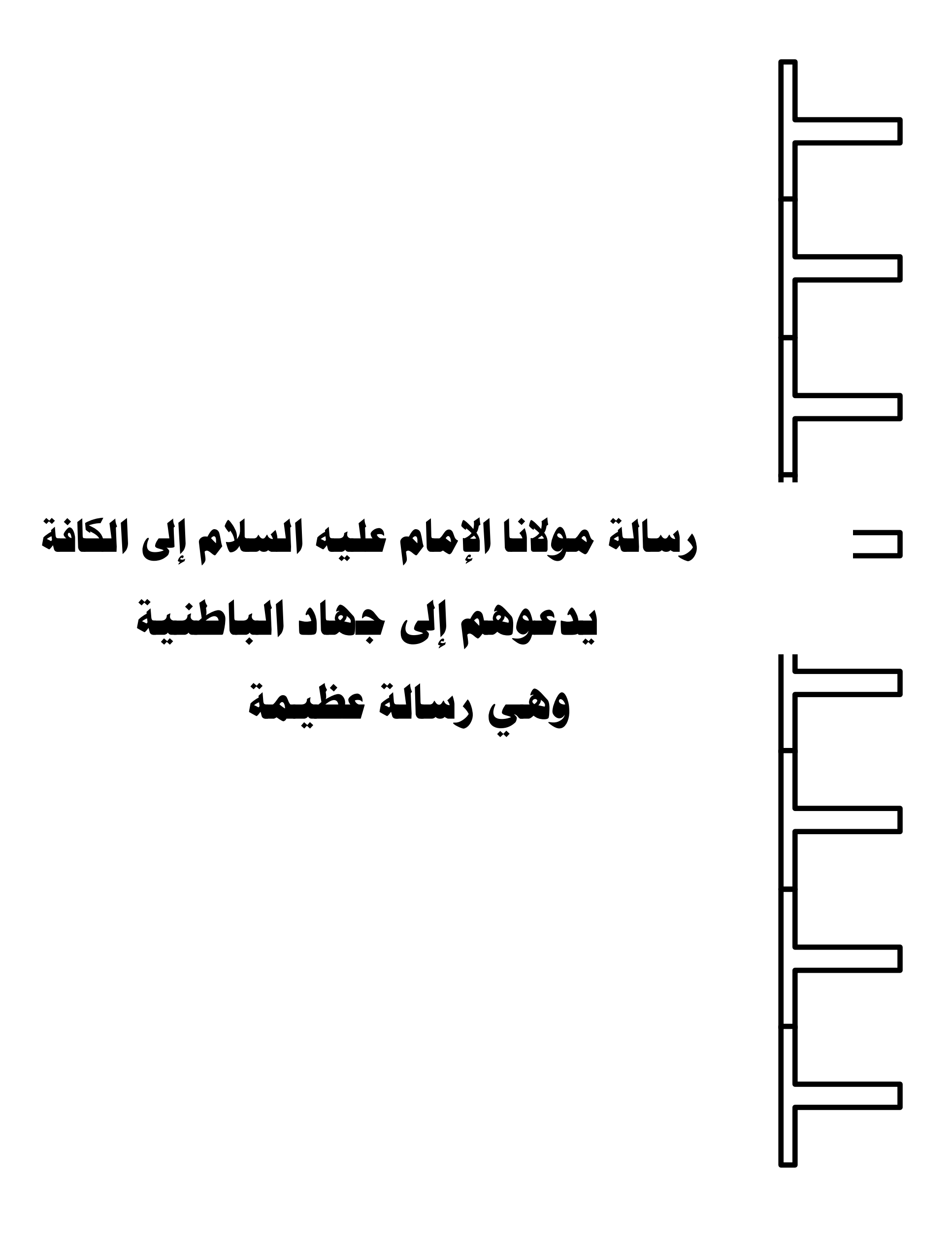
فقد قرعت أسماعكم الأخبار، واتصلت بكم المسار بما أوقع الله من النقمة على الفرقة الضالة المتزندقة الملاحدة الكافرة الجاحدة، والبلاد قد واجه أكثرها وصارت إلى الحوزة الإمامية، والمملكة المتوكلية، وبقي منهم بقية في معاقل وحصون معتصمون بها عن ريب المنون، وأنتم رؤوس القبائل، وأسود الجحافل، وقواد المحامل، وأهل

النصرة لأئمة الحق، من تأخر منهم ومن سبق، ولكم السوابق الحميدة، والمقامات العديدة، والمواقف الرشيدة، التي خلدت ذكركم في السير والدفاتر، وأعلنت مجدكم في المحافل والمنابر، ولكم بنا اتصال ورغبة وشفقة ومحبة، فأردنا لكم الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر في جهاد من عاند وكفر.

وقد بلغت إجابتكم المواعيد، وبلغتكم الدعوة الهادية، فأردنا شحذ هممكم السامية، وعزائمكم العالية، فبعثنا ولدنا الأغر الظنين، قرة العين اليمين، الطاهر الكريم، البر الحميم، صفي الدين أحمد بن المتوكل على العزيز الرحيم لتقوية عزائمكم القوية، وإثارة حميتكم العربية، ومن المعلوم لدينا أنكم أعظم شفقة ورأفة على ذرية النبي الأمين، وأولاده الأئمة الهادين، وأنكم ستجعلون وصوله وتبلغونه مأموله وترفعون قدره، وتشيدون ذكره، وتجتهدون في النفير الذي يملأ البقاع، ويضيق الأصقاع، ويغيض الأعداء ويسر الأودَّاء ويجيي الهم، ويكشف الغم، ويقوم به عزكم، ويرتفع به ذكركم، ويعلو به شرفكم، ويحيى به ما أسسه سلفكم، وما أرسلنا ثمرة الفؤاد، وفلذ الأكباد، إلا ثقةً منا بمحبتكم وتيقنا لأكيد رغبتكم وأنكم لا تهملوا أملنا فيكم، ولا تخيبوا ظننا في تلقيه بالقبول، وإسعافه بالمأمول، ولا تقصروا عن صنيع رجال أرحب فإنهم فعلوا فعل الكرام، وأعزوا وصول ولدنا عز الإسلام، وبلغ بهم المرام، وأنتم أكثر عدداً وأوسع بلداً، وأعظم في المودة، وأشد في المدَّة، وممن يدعى للمهمات، ويرجى للمعضلات.

ولا غنا بكم عن فضل الله ورحمته وثوابه وجنته وإحسانه ونعمته فإن جهاد هؤلاء الكفرة نعمة يختص الله بها من عباده الأخيار، ويرغب فيها من رغب في جنة تجري من تحتها الأنهار، وخاف عذاب النار، وطلب رضى الواحد القهار، ومع هذا فهو باب

معاش كبير، وتأثيل مجد خطير وتجديد دولة الحق المبين، وصلاح الإسلام والمسلمين، وقد قال نبينا وجدنا سيد المرسلين «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم» وأنتم أهل الشدة والوقائع السابقات، والصبر في المواطن الكبيرة، الحمائل الواضحة المنيرة، ونحن نثق بإجابتكم ونشاطتكم في هذا الشأن، وسبقكم إلى هذا الميدان، الذي هو غاية الإحسان، وإن شاء الله رجانا فيكم لا يخيب، وكل مخلوقٍ له في رحمة الله نصيب، **﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾**[يوسف: ١٠٨] **﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾**[التوبة: ١٢٩] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله المطهرين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. وقد انتهت.



رسالة مولانا الإمام عليه السلام إلى الكافة

يدعوهم إلى جهاد الباطنية

وهي رسالة عظيمة

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[التوبة:٣٨، ٣٩].

وبعد حمد الله الذي خلق العباد لطاعته، وأرشدهم إلى اتباع أمره بدلالته، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٦-٥٨] والصلاة والسلام على رسوله الذي أجهد النفس في جهاد من عاند الشرائع، وأنكر الصانع، وجحد التوحيد، وأنكر الوعد والوعيد، وعلى آله الذين نصبوا راية الجهاد لمن عاند رب العباد، وأعملوا للهاذم الحداد، وأعدوا العدة والعتاد.

أما بعد.. يا أمة الصلاة وأهل الدين التقاة مالكم عن التذكرة معرضين، وعن أمر الله معوجين، لا ينفع فيكم وعض الواعضين، ولا تذكير المذكرين، ولا أعددتم جواباً لسؤال رب الأرباب عن دينكم القويم، وصراطكم المستقيم، ولا نفعت فيكم العبر، ولا نجعت فيكم الموقضات وإنزال الضرر، وقد رأيتم البلايا، وشاهدتم الرزايا، وابتليتم بنقص الثمرات، وفساد الأقوات، ومحو البركات، فما ارتدعتم ولا انقطعتم ولا أنبتم، ولا وجلت قلوبكم، ولا نقصت ذنوبكم.

قامت حجة الله علينا، وسمعنا ما أنزل إلينا، فما وجدنا فسحة في إرخاء العنان، لأهل الكفر والعدوان، وتركهم يفسدون خير الأديان، ويلقون شنشنة الكفر والعصيان، وقد أنسوا من المسلمين الإنخداع إلى بُهتانهم، والإسراع إلى طغيانهم،

والجهالة بأديانهم، فوثبوا على بلاد الزيدية، واتخذوهم خَوْلاً ورعية، وآووا إلى الحصون، واعتصموا بها عن ريب المنون، وتأثلوا بالأموال، واعتضدوا بالرجال، ووجدوا لهم من أهل الجهالة من يرغب في الجعالة، ويترك دينه ظهرياً، وأوامر الله نسياً منسياً، ويساعد على ترك دينه بدنياه، وآخرته بأولاه، ويميل إلى النذر اليسير، والحطام الحقير، فوثبوا على ضعفاء المسلمين، وجرعوهم العذاب المهين، واتخذوا القرآن عضين، وابتغوا غير سبيل المؤمنين.

ونحن في نحورهم متجردين، ولثواب الله راجين، ندعوا أمة محمدٍ إلى فريضة الله التي افترض عليهم، وحجته التي ألقاها إليهم، وهم صمٌ عن الاستماع! وعميٌ عن الاتباع! لَاْهُوْنَ عن الفريضة العضماء! ساهون عن المنهج الأسما! يقولون شغلتنا أموالنا وأهلونا، ويتشبثون بالمعاذير، ويشيرون بالقوادح والتغيير، قد أفردونا للمحن! وجعلونا عرضاً للفتن! فأشبهوا من نفى الله مقالتهم، وأنكر فريتهم، إذ قالوا لنبيٍ لهم ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[المائدة: ٢٤]، وحجة الله قائمة، وأوامره لازمة، فأين الجهاد بالنفوس والأموال، والتجرد لرضا الملك المتعال، هؤلاء الباطنية الفجار على ما هم عليه من الكفر والبوار، متظاهرون مع داعيتهم الخبيث، متهالكون على نصرته بالجد والاجتهاد، معينون له بالرجال والزاد، صابرون على القتال معه في أشق الأحوال، يصبرون معه على القليل وهم على الكفر والتعطيل، وأهل الإسلام يتربصون بنا الدوائر! ويتوقعون من الظافر!؟ وإن فرط منهم إلينا من في قلبه أدنى إيمان، وحضر في بعض مواطن القتال ورجع علينا بالمن والإدلال، وتطلب المحال، وكأن هذه فريضة اختصصنا بها من بين المسلمين! وواجب أنزل علينا دون أهل الدين! والقوي على القتال منهم يلتمس الأموال! والضعيف عن مواطن النزال يضن بما بيده من المال!

ونحن على هذا صابرون، ولنصر الله منتظرون، ولعواطفه راجون، نكرر الدعاء ونبعث الرسائل، ونرادف الوسائل، ونطلب الحضور ممن صلح للقتال، وقوي على منازلة الأبطال، ومن عجز عن النزال، أعان بالأموال، فنحن حجة الله عليكم، ووديعته لديكم.

فيا أهل العدة والعدد، والقوة والمدد، قد قرعت أسماعكم رسائلنا، ووقرت قلوبكم دعوتنا، وعلمتم انتصابنا لجهاد هذه الطائفة الغوية، الضالة الباطنية، وظننا فيكم الخير والرغوب إلى طاعة علام الغيوب، كما أمركم تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩] فأرسلنا ثقاتنا من أهل العلم والصلاح إلى دياركم ونزلوا بأقطاركم، فحققنا عليكم بذلك المسافة فيما أوجبه الله على الكافة من إجابة الواعية، وحضور الجهاد لدينا على تباعد الناحية، لقول جدنا ونبينا ÷ «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم» فأمرناكم بقطع هذه الطائفة الباطنية في جميع البلاد، وأن تضعوا عليهم الآصاد فأجبتم بالإسعاد ووضعتم المياثيق الشداد، فنهض منهم طائفة يسيرة، وثلة حقيرة، لا يخاف منهم سطوة، ولا يرجى لهم نخوة، فلم يلقهم منكم صائح، ولا فاجأهم برق لائح، ولا وفيتم بالعهود، ولا رعيتم المياثيق والعقود.

فنحن نسألكم الوفاء، ونحتج عليكم بشريعة المصطفى.

فمن وافى فالله سبحانه يفي له بما وعد المحسنين، ويلحقه بعباده المؤمنين، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه والله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[الإسراء: ٣٤]، وكيف تنقضونه وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، فإن راجعتم دينكم ويقينكم ونظرتم إلى ما أعطيتم من العهود، وأكدتم من العقود، بما

أوجب عليكم من طاعة أئمة الحق من أهل بيت نبيكم الذين يحكمون بالحق وبه يعدلون وإلا رددنا الأمر إلى الله وهو بالمرصاد، وعليه التوكل والاعتضاد، وعذابه شديد، ومقامعه حديد، فيشاء لكم الوفاء بالبيعة، والتمسك بالشريعة، ونسألكم المياثيق والعقود، وتأكيد العهود، التي تقلدت بها أعناقكم، وتطوقت بها رقابكم، لا نعذر إلا من عذره الله في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[التوبة: ٩١] وأما من تمكن من الجهاد بالنفس والمال فهو غير معذور في جميع الأحوال، ولا مشكور عند الملك المتعال، وسنجاثيه الخصومة في المقام المبرور، يوم تبعث القبور، ويحصل ما في الصدور، فالبدار البدار، إلى رضا الملك الجبار، والروحة الروحة إلى جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، والمسارعة المسارعة إلى حظكم في نعيم الآخرة وعقبى الدار، فمن اعترض أو توانى أو اعتذر ولم يعذره الله فلا بارك الله في مثواه، ولا رحم مأواه، ولا جعله في حلٍ في دينه ودنياه، والله سبحانه يمحق رزقه ويشوه خلقه، ويصليه عذاب النار، وبئس القرار، ومن أجاب الواعية، وتاب إلى الرتبة السامية، فالله تعالى يحسن عاقبته، ويصلح دنياه وآخرته، ويبارك له في الحال والمال، ويصلح له جميع الأحوال، ويسكنه بحبوحة دار السلام، ويحسن له الختام، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨] ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأحقاف: ٣١] وحسبنا الله عليه التوكل وبه الاعتصام، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، والسلام على من أناب، واتبع السنة والكتاب، انتهت الرسالة.



رسالة الإمام عليه السلام في التحذير عن حسين الهادي

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين، الحمد لله الذي جعل شريعته الغراء واضحة البرهان، راسخة الأساس والبنيان، على مقتضى ما فطر الله به العقول، منزهة عن التمويهات والخرافات التي لا تروج إلا عند كل أحمق جهول، والصلاة والسلام على من أيده الله بالمعجز الباهر، والقرآن القاهر، على كل أفاك أثيم، الموصوف في التنزيل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤] وأمره بالتواضع لجليل هيبته وعظيم سلطانه، بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[الأنعام:٥٠] وعلى آله الذين لم يزالوا على الحق ظاهرين، الذين صدق عليهم قول جدهم الأمين «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل عن هذا الدين».

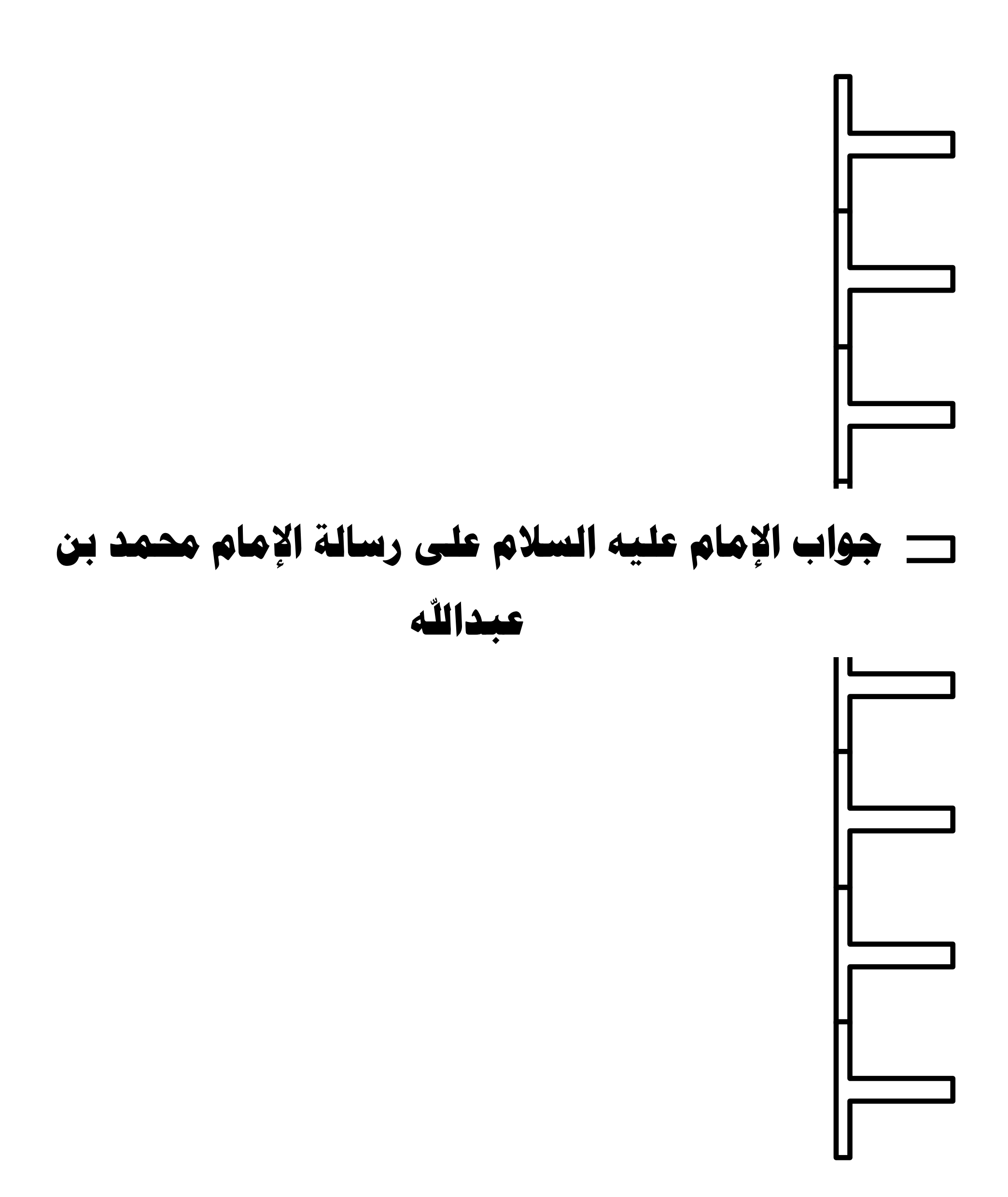
وبعد.. فهذه الرسالة إلى كل من وقف عليها من المكلفين، والكافة من المسلمين، إبلاغاً للحجة، وتبياناً لواضح المحجة ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:٤٢]، إعلاماً أن دعوتنا الميمونة لما طار ذكرها في الأقطار، وعمت البقاع والنواحي والأمصار، وتطوقت بها رقاب مَن في البسيطة من البوادي والقرار، كما جاء به أمر ربنا وصدع به جدنا المختار، صلى الله وسلم عليه وآله خيار الخيار، حتى نجم ناجم الدعوة المضلة ظهرت من جهة رجل يزعم أنه منا أهل البيت، فأغوى بها الهمج الرعاع وتلقاها أهل الجهل والأطماع، وأشاعها من أشاع، وأذاعها من أذاع، بالتمويهات الباطلة، والأقاويل التي هي عن حلية الصدق عاطلة، وما كان من حقه تشريد جماعة المسلمين، وتفريق كلمة أهل الدين، ومخالفة جماعة أهل البيت المطهرين، وإجابة دعوتنا لازمة، والحجة لنا عليه قائمة، وطريقة آل محمد عند

أهل العلم شاهرة ظاهرة، فمن تخلق بغير خلائقهم فقد تنكب عن الحق المبين، ومشى في غير سبيل المؤمنين، وجانب سيرة سيد المرسلين، وليس من طرائقهم هذه التمويهات بمعرفة كنوز الأرض، والمخاريق التي ملأت طولها والعرض، وإيهام علم المغيبات التي تفرد الله سبحانه بعلمها ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[النمل:٦٥]، وإظهار مصاحبة الجآن، والتكلم بما يكون وكان، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[النمل:٦٥] كيف ومقام الخلافة النبوية، والإمامة العلية، قليلة الراقي، صعبة المراقي، لا ينالها إلا من اتصف بالصفات العلوية، وأحرز العلوم الدينية، والمعارف العقلية والنقلية، وتخلق بالأخلاق النبوية المصطفوية، فكيف بمن نازعه في هذا المنصب الرفيع، والشأو المنيع، بعد سبق دعوته، ولزوم بيعته، وقدم المعارض كسير، وباعه قصير، وقد شق العصا، وبان عن الطاعة وعصى، فليتق الله كل من وقف على هذه السطور[(١)] وإن كان جاهلاً فليسأل أهل الذكر العلماء الصدور، فإن شفاء العي السؤال، والرجوع إلى طريقة الآل ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨] وحسبي الله وكفى ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انتهت الرسالة المباركة، وهي مع وجازتها كافية بالمراد، وافية بالمقصود لمن سلك محجة الإنصاف، وأراد الحق وطريقة الأسلاف.

---

(١) في الأصل: الصدور، ولعل الصواب ما أثبتناه.



جواب الإمام عليه السلام على رسالة الإمام محمد بن عبدالله

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الشريعة الغراء واضحة البيان شمساً ونهاراً، وفهمنا بتوفيقه في معاني القرآن أسراراً، ومن تأويل السنة النبوية أحكاماً وأنواراً، وتنزيهاً عن الخبائث إعلاناً وإسراراً، قفونا أئمة أطهاراً، وقدوة أخياراً، وطرقات صحيحات وأخبارا، ومناراً واضحاً بحمد الله وآثاراً، قمعنا بمنِّ الله أشراراً، وأحيينا شريعة غراء قولاً وفعلاً ، سراً وجهاراً، فهيهات أن نسلك بعد البصيرة سبيل الجاحدين، أو نتقحم بلا بصيرة في مهاوي الجاهلين، وسبيل المعاندين، أعداء الأئمة الهادين.

والحمد لله الذي جعلنا من زرع الخليل وإسماعيل، ومن نسل من كان خادمه جبريل الأمين وميكائيل، ومن قرناء الذكر المبين، ومن دعاة الأئمة الزكية، الظاهرة على البرية، سلكنا نهجهم الواضح، وهديهم اللايح، فلم نغدوا حيا، ولم نفر هرباً ، ولم نصدق كاذباً، ولم نُخِفْ بريئاً، صغيراً ولا كبيراً، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام:١٦٤] ولم نرفث حمقاً ولا هوى، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠، ٤١] ولم نلعن إماماً ولا عالماً، ولم نعن جاهلاً ولا ظالماً، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[الفرقان:٦٨]، ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[البقرة:٣٢]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٩] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف:٤٣].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير، ولا معين له ولا وزير، ولا ظهير، بل هو على كل شيء قدير، نعم المولى ونعم النصير، لا جور في أحكامه، ولا فحش في كلامه، وأشهد أن محمداً خاتم النبيين المنزل فيه وعليه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨] فهذه صفاته، وصفات من

خلفه من صفواته، وأن أخاه عليٌّ الوصي من بعده، سار سيرته، وقفا أثره، فهو للأئمة قدوة، وللصالحين أسوة، وأشهد أن فاطمة الزهراء، سيدة نساء الدنيا والأخرى، وأن الحسنين سيدا الشهداء، والإمامين قاما أو قعدا، وأن الإمامة في أولاد السبطين، الحسن والحسين، من كان منهم بأحكام الله عارفاً، ومما يسخطه خائفاً، ناهج نهج الأئمة، هداة الأمة، اللهم فكما جعلتنا من نسلهم، ووفقتنا لطريقتهم، فثبت أقدامنا على صراطهم، واحشرنا في زمرتهم، يا واسع المغفرة، يا ولي الدنيا والآخرة.

وبعد.. فإنا وقفنا على جواب سؤال ورد في شأن تحريم الزكاة على بني هاشم، أو ضح المجيب في بعض أطرافه ما هو الحق، وتعدى إلى أطراف أبانت ما هو عليه من الهذيان والحمق، وشهدت بخروجه عن الزهد والورع، وأبانت ما هو منطوٍ عليه من الحقد على الأئمة، والإستخفاف بالصالحين من دون مبالاة ولا جزع.

[تحريم الزكاة على بني هاشم]

فأما الطرف الأول: فقد وافق نقله ما هو معلوم من ضرورة الدين، فتحريم الزكاة على بني هاشم قضت به النصوص النبوية وقام به إجماع العترة المطهرين، اشتهر وظهر أيام النبي÷ والصدور الأول ظهور الشمس والقمر، فلا تحل زكاة العرب لبني هاشم بحال، ولا يقول بحلها أحد من علماء الآل، على الإجمال، فمن أحلها فقد خالف نهجهم، والنصوص الواردة ورد إجماعهم، وإنما وقع الخلاف في أمورٍ راجعة إما إلى تعميم أو تخصيص، أو خارج عن الجملة كتأليف الهاشمي، فأجازه منها بعضهم قياساً على تأليف الغني والفاسق.

ورد هذا القول من وجهين:

أحدهما: أن عموم القياس ضعيف إذ هو راجع إلى المعنى، وعموم القول قوي إذ هو راجع إلى اللفظ، فلا يؤخذ بالأضعف[1] مع وجود الأقوى.

وثانياً: بحصول الفارق إذ علة التحريم على الهاشمي أصلية لا تزول، وعلة نحو الفاسق طارئة وتزول فافترقا وانتفى القياس.

الوجه الثاني[2]: في حل أجرة المصدق الهاشمي، أجازه الإمام الحسن بن علي الأطروش لعموم أدلة حل الأجرة، وَرُدَّ كلامه % بأن دليل التحريم خاص ولا يعمل بالعام مع وجود الخاص.

[أقسام الحيل، وشروط القضاء]

الثالث[3]: في جواز التحيل، فاعلم هداك الله أن مهما بقيت زكاة فلا حل في كثير منها ولا قليل[4]، ثم اعلم بصرك الله بنور العلم أن الحيل قسمان، جائزة مشروعة، ومحرمة ممنوعة.

فالضابط في الحيل الممنوعة هي ما قصد بها إبطال مقصد الشارع كقصة أصحاب السبت، وحيلة الشفعة بعد ثبوت السبب وكل على أصله، والحيلة في الزكاة للغني الهاشمي والعربي.

والضابط في الحيل المشروعة هي ما قصد به الخروج عن عهدة الإثم، فإن انظم إلى

---

(١) في الأصل:الأعف.

(٢) هكذا في الأصل، ولعله (الطرف الثاني) لأنه قد ذكر الطرف الأول، وأما الوجه الثاني في الرد على مسألة في الطرف الأول فقد قدمه فتأمل.

(٣) هذا الطرف الثالث من أطراف الرسالة.

(٤) في الأصل: ولا قل، ولعل ماأثبت هو الأظهر.

ذلك قصد قربة كانت أبلغ في الجواز وذلك كقصة الضغث، وفتوى الوصي علي % في الحالف ليطأنَّ زوجته في نهار رمضان بالسفر بها إلى المدائن ثم ليطأ، والتحيل للهاشمي الفقير بإذن ذي الولاية، وهذا كلام أهل المذهب الشريف، الجاري تفصيلة على نهج الدين الحنيف، الذي لا يذمه إلا جاهل سخيف، أو ذو بغض وشنآن، لعترة محمد قرناء القرآن، ومن ذم أو خطأ مطلقاً فقد خطأ الله، وذم كتاب الله، وذم أيوب نبي الله، وذم محمداً حبيب الله وذم علي بن أبي طالب وخطأه وذم عترة رسول الله، فلا خلاف بينهم في تفصيل ذلك، والكتاب والسنة واردان بها هنالك، وإن اختلف النظر في أفراد مسائل فراجع إلى أمر وراء التفصيل، وكان الأنفع للمجيب أن يوضح البيان والدليل، كما أخذ الله على أهل العلم أو يقرأ على العلماء أو يسكت إن جهل، فالسكوت أبلغ سلامة إذ الخوض مع العلماء في الإفادة مندوب إليه قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه:١١٤] شعراً:

ولقد أقول لمن تحرش للهوى

عرضت نفسك للبلى فاستهدف

روينا بالإسناد الموثوق به إلى الوصي علي % أنه مر بقاضٍ.

فقال % : أيها القاضي هل علمت ناسخ القرآن ومنسوخه وحلاله وحرامه.

قال: لا، فضربه بالدرة.

وقال: هلكت وأهلكت.

وبالإسناد الموقوف[1] به المتصل إليه % أنه دخل مسجد الكوفة وفيه رجل معروف بعبد الرحمن بن دأب وكان صاحباً لأبي موسى الأشعري وقد حلق الناس

(١) كذا في الأصل، ولعلها الموثوق.

عليه يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهي والحضر بالإباحة.

فقال له: أتعرف ناسخ القرآن ومنسوخه.

قال: لا، قال: هلكت وأهلكت أبو من أنت؟

قال: أبو يحيى.

قال: بل أنت أبو عرفوني[1]، فأخذ أذنه ففتلها وقال: لا تقض في مسجدنا بعد اليوم.

فهلا باعد نفسه هذا المجيب عن الخلط والتخطئة وقرأ مع العلماء ثم بعد ذلك لا بأس أن يترقى إلى الترجيح والإعتراض لكن على قاعدة أهل العلم أو ليسكت فمن سكت سلم أو ليتبع الأئمة ففي علومهم واتباعهم الهدى والنور، ثم طمح به قلمه في ذلك الجواب إلى قول يلزم منه تخطئة الأئمة وتجهيلهم، والناجح بأقواله عليهم، وأن الإقطاع والإذن منهم بقبض الزكاة لمصرفها من أهلها أو من بعض محالها، وأن تلك الإقطاعات عندهم بروايته عنهم من المصالح المرسلة وقد تحاد العارفين أن يأتوه فيها بدليل، فلم يجدوا إلى ذلك من سبيل.

فنقول: اعلم أنه لا يقبل بالإسناد مسألة قياساً إلى إمام أو عارف إلاَّ من عارف معتبر لا من غيره سيما إذا كان ذلك الغير أفعاله تخالف أقواله وكان علمه وجاده، فلا قبول ولا إفادة، فكون وضع الأئمة في الإقطاعات من القياس المرسل ونسبه ذلك منهم إليهم فيلزم تجهيلهم أو جهله حيث لم يعرفوا الدليل أو عرفوه ورفضوه، صانهم الله من الرذائل ومن نسبة قول هذا القائل، فهم قرناء الكتاب العارفون بالخطأ

(١) كذا في الأصل، وفي بعض الروايات «أبو عرقوب».

والصواب.

[حكم الإقطاعات]

والحق أن الإقطاع إذا رآه الإمام لا يخلو إما أن يكون لمسوغ شرعي ظاهر فهو من الصرف الشرعي، سواء كان من يد الإمام أو المصدق أو رب المال أو من محله وفي محله، إلا أن الإذن من المحل لا يجب الاستمرار عليه من الإمام ولا ممن يعده فيصح الرجوع عما لم يملكه المصرف إذ هو صرف وإذن لا تمليك مستمر ولمن بعده التقرير والرفع أيضاً سواء وجد السبب المسوغ للأول مع الآخر بعينه أو غيره كذلك فلا يجوز أن يعترض على فعل الأئمة أو يستبدل به أو لم يعرف الوجه، إذ لا ظاهر للفعل بل ترد أفعالهم المحتملة إلى أقوالهم الصريحة كذلك إذا كان المأذون له في الظاهر غير مصرف رد إليها من نحو تأليف الهاشمي وقد عرفت ما فيه أو صرف أو تحيل سائغ أو نحوذلك وذلك واضح للمتدرسين فضلاً عن المبرزين وكل ذلك من ثمرات أدلة الشرع التفصيلية.

ومن الإستظهار لفعل الأئمة قصة الأبيض بن جمال الماربي وفد على رسول الله÷ فأقطعه الملح المشهور بمأرب فلما ذهب لينفذ بيده قال يا رسول الله إن هذا الملح كالماء العذب لا يمنع منه من ورد إليه فاستقاله النبي÷ واسترجع الكتاب من الأبيض بن جمال، روى القصة البخاري وأبو داود وابن هشام ومحمد بن محمد بن سيد الناس في السيرة المسماة عيون الأثر وفي رواية المهدي لدين الله أحمد بن الحسين % في جوابه على أولاد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة % من قصة الأبيض بن جمال قيل أتدري يا رسول الله ما أقطعته، قال: لا، قال العذب الذي لا ينفد فاسترجع رسول الله÷ كتاب

الإقطاع.

وقصة زيد الخيل بن مهلهل الطائي وفد على رسول الله÷ فجعل له إقطاع فيد من أرض طي فوصل بلده وقد أصابته الحمى ثم هلك، فأخذت زوجته كتاب رسول الله÷ ورمت به في النار، ذكره ابن هشام في السيرة النبوية.

فهل ما دل عليه الدليل الشرعي التفصيلي، وما علم حكمه بالدليل، وما شاركه فيه حكم فرعه من القياس المرسل، معاشر علماء الأصول، أو من جملة ما فضله الله به من العلم على كثير من عباده المؤمنين، ومع ذلك فإن هذا المجيب المخطئ للأئمة والنافي للتصويب إلاَّ قوله، قد خطأ غيره في أشياء قد فعلها هو وأبلغ منها قطع الطريق والميرة وأخذ المعونة في حق الخالق والمخلوق، وأقطع بمرأى ومسمع، وقتل الرهائن لنكث غيرهم بزعمه، وفيهم صغير غير مكلف، ولم نجد لقتله له ولهم فيما أعلم دليلاً ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[الإسراء:٨٥] غير أنَّا سمعنا الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾[فاطر:١٨] وإلزام ذي القسامة والعاقلة جناية الغير، وما فعله وارد على خلاف القياس، فإن زعم أنه فعله في ولايته الصحيحة دون غيره.

فنقول: ما شأن[1] فعل وقتل ونفذ وحوَّل في بلاد خولان الشام، وخرج من طاعة الإمام أحمد بن هاشم سلام الله عليه وأمضى الحدود وأخذ الواجبات، وحول وأقر، وأرسل إلى بيته من الواجبات ما أرسل، وأخذت في الطريق بمرأى ومسمع.

فإن قال كانت لكذا، فما أجاب فهو الجواب فنعوذ بالله من الحمق والهوى والتهافت على انتقاص الأئمة الهادين واحتقار المؤمنين.

قال: استهزاء بنا وأستاذه.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها ما شأنه.

قلنا: الأخذ عن الأستاذ والأستاذين والاستفادة خير من الوجادة.

وقال أيضاً: استهزاء بنا وإمامه.

قلنا: قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ**﴾[القصص: ٥٥] وكأنه مستحل لسب الأحياء والأموات، مفتٍ نفسه أنه لا خطاب عليه من بارئ البريات، وهيهات هيهات فإن الله بالمرصاد، ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[فُصِّلَت:٤٦] حرر في شهر صفر سنة أربع وثمانين ومائتين وألف ١٢٨٤هـ.

انتهى جواب مولانا أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، المتوكل على الله صاحب هذه السيرة % وهو كما ترى جواب مفيد، وعقد في صدر الحجج فريد، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا.

جواب شيخ الإسلام القرشي رضوان اللّٰه عليه
على الإمام محمد بن عبد اللّٰه الوزير
عليه السلام

ونذكر هنا نبذة أجاب بها شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل القرشي رحمة الله عليه ورضوانه أجاب بها على السيد محمد بن عبد الله الوزير وعلى من سأله عن شأنه وكيف كان أمر تنحيه عن هذا المقام قال رحمه الله:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ختم بنبينا محمد÷ سلسلة الإرسال، وكمل الهدى بما أنزل عليه من الفرقان، وجعله معجزة باقية على ممر الدهور وتغير الأحوال، وحرس شريعته الغراء بعترته الطاهرة وجعلهم لأهل الأرض أمان من الغرق في بحور الضلال، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد المصطفى وعلى آله نجوم الإهتداء، وقرناء القرآن بلا اختلاف ولا انفصال.

أما بعد.. فهذه رسالة شافية، ولبيان ما يجب من الحق وافية، سألنيها بعض الإخوان، لأوضح فيها السبب الذي هو عظيم الشأن، من قيام مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله حفظه الله، وتنحي مولانا عز الإسلام محمد بن عبد الله الوزير عافاه الله، وإن كان الوجه في ذلك أشهر من أن يذكر، ولكنه ربما خفي على من كان شاسع الدار، ومغرباً عن الاطلاع على الحقيقة أو طرق عليه شبهة من الناس من ليس من مراعاة الدين في إقبال ولا إدبار.

[مسألة الإمامة]

وليعلم الناظر أولاً أن مسألة الإمامة من أخطر مسائل الدين وأعظمها لأن الإمامة تابعة للنبوءة في الوجه الذي وجبت لأجله، لأن الأئمة% يقومون مقام الأنبياء% في تبليغ الشريعة وإحياء ما اندرس منها، ومقاتلة من عَنَدَ عنها؛ لأنه يترتب عليها طاعة الله وطاعة رسوله والقيام بإحياء الشرائع والجهاد والحدود والموالاة والمعاداة وغير

ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩] وأولي الأمر أئمة الهدى بإجماع أهل البيت %، وقال÷: «من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية» رواه أئمتنا %، ورواه أحمد في مسنده، وصححه جمهور المحدثين كيف وقد قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾[الإسراء:٧١]. روى الإمام علي بن موسى الرضا % في صحيفته بإسناد متصل عن آبائه% عن علي % قال: قال رسول الله÷ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾[الإسراء:٧١] ندعو كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فقال علي % في نهج البلاغة «وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه» وهكذا قول الأئمة سلام الله عليهم.

قال القاسم بن إبراهيم % : واعلم أن أفرض الفرائض وأوكدها فرض الإمامة لأن جميع الفرائض لا تقوم إلا بها، وسُئل أعني القاسم % عن إمام شاك في مسألة الإمامة هل تجوز الصلاة خلفه إذا كان موافقاً في غيرها من الدين؟... إلى قوله فمن اشتبه عليه فرض الإمامة وما حكم الله به من ذلك على الأمة ولم يدر أفرض الله عليه ذلك أم لم يفرض؟ ولم يعلم من ذلك ما يلزمه فهو ضال غير مهتدٍ، وأمره في ذلك مسخوط عند الله غير مرضي، لأن الله سبحانه كلفه العمل، فجهل من ذلك ما قد علم، فعليه أن يتعلم ما جهل، فإن لم يفعل كان ضالاً ولم يكن مهتدياً ولا براً، ولا يجوز أن يأتم في الصلاة إلا بكل برٍ زكيٍ إلى آخر كلامه %، ومثله كلام حفيده الإمام الهادي إلى الحق %، ولو استوفينا كلام الأئمة في ذلك لطال الشرح وفي ذلك كفاية، لمن له من ربه أدنى هداية، إذا تحقق ذلك فتعجب من أحوال أهل العصر فإن جمهورهم لا يرفع إلى ذلك رأساً، ولا يخف من الله لذلك نكساً ولا بأساً.

واعلم أن الإمام لما كان خليفة الرسول عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام وجب

أن تكون صفاته على صفات من استخلفه، وهو النبي÷، ولهذا ذكر أهل العلم شروط الإمامة في مصنفاتهم، وإذا كملت في شخص استحق الإمامة، ووجبت طاعته على الخاصة والعامة، وأوجبوا على كل مكلف البحث والنهوض إلى مدعي الإمامة، ليعرف كمال الشروط فيتبعه، أو عدمها فيجتنبه، وذكروا أنها متى كملت الشروط وقام ودعا فليس له أن يتنحى إلا لأنهض منه، فتلخص أن من قام ودعا وليس بكامل الشروط ووجد من هو أنهض منه وجب عليه أن يتنحى بل لا يجوز له البقاء، قال أهل العلم تختل بذلك عدالته فتبطل إمامته.

ولما قام مولانا عز الإسلام بحثنا عن الشروط بمقدار الإستطاعة ولما كان بعض الشروط لا تظهر يقينا إلا بالمحارسة مثل الشجاعة والسخاء والتدبير، على أن الصحيح ما ذكره الإمام الأعظم خاتمة المحققين، يحيى شرف الدين، % في الأثمار أن الشرط أن تكون هذه الأمور في الإمام غرائز أي خليقة تخلق ويطبع عليها، لا لو كانت اكتسابية، كأن يكون المتسمي بالإمام متكلفاً بها على جهة الإكراه كانت عليه أمور ذلك كله.

ولما وقعت الملازمة والإختيار لِمولانا عز الإسلام انكشف ما انكشف وآل الأمر إلى إجماع من يعتد به من العلماء الذين لهم التفات إلى مسألة الإمامة، ومراعاة لطريق الخلافة النبوية والزعامة؛ لأن غيرهم إما لا حقيقة عنده من الإمامة فهو إمّعة إذا سمع الناس قالوا بإمامٍ قال معهم خطباً[1] وجزافاً، ورجل لا يرد يد لامس فهو لا يراعي في دين الله وفاقاً ولا خلافاً، فاجتمع الخلص من العلماء، إلى مولانا المتوكل على الله حفظه الله بعد طول طلب الأكمل ومباحثةٍ لما عسى أن يوجد أجل وأفضل فاتفقت الكلمة

(١) كذا في الأصل، ولعلها خبطاً، والله أعلم.

من الكل من العلماء وأهل البصائر، بل اتفق الموالف والمخالف في وقت الدعوة على كماله، وأنه أحق بها لعدم نظيره ومثاله، واستحق الإمامة لوجهين:

الأول: أن الشروط غرائز ظاهرة مكشوفة.

والثاني: كونه أنهض في المقصود من الإمامة من الدعاء إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبث الدعوة في الآفاق، والاهتمام بصلاح العامة من دانٍ وقاص، وكم صلح من خلقٍ ببركة هذا الإمام الأعظم أيده الله، ثم التأهب للجهاد، وإخافة أهل البغي، وتحريض الناس على القتال، والإستنفار بالقبائل على كل حال، وحل المشكلات وإبطال الشبه ويرد السؤالات بأحسن الأجوبة، مقامه مقام حلم وعلم، لا يذكر فيه أحدٌ بسوءٍ قد جبل على كرم الطباع، والرحمة والشفقة للعامة، وملازمة الدعاء إلى الله لهم بالتوفيق والهداية، طعامه مبذول للوافدين، منفقاً مطعماً ما أمكنه للسائلين، وغير ذلك من طرائق الأئمة الراشدين.

وأما مولانا عز الإسلام فقد قمنا بحقه، واحترمنا جانبه، ولا نحب أن نذكره إلا بخير كما علم الله، وقد علم المتحفظون من العلماء أن عدم استحقاق الشخص للإمامة لا ينقص من قدره، ولا يهضم جانبه وفضله، فلكلٍ قدره وجهده، ولم يجعل الله الإمامة لخليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن اختبره بالكلمات فقد قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[البقرة: ١٢٤] ولقد قال÷ لأبي ذرٍ ٥«إياك والإمارة فإنها يوم القيامة حسرة وندامة» فهل نقص ذلك من فضل أبي ذر..

وإني والله لما عرفت عدم الكمال، كتمت ذلك أياماً خشية انفضاض الجميع وتقلب الأحوال، حتى وصل إليَّ بعض العلماء يذكر ما قد صح لي ، ثم توارد العلماء إليَّ إرسالاً

حتى وصل إليَّ خواص مولانا عز الإسلام واحداً فواحداً، وأن منهم الـذي لم يفارقـه صباحاً ولا مساء، فلما عرفت إجماعهم واتفاقهم على ما عندي وأمنت الفساد، أظهرت ما في نفسي، وكان ما قد علمه الناس .

فإن قلت: عليك أن تظهر موجب تنحي مولانا العزي.

قلت: أنا لا أحب إلا أن أذكر ما يرفع شأنه، ويعظم جنابه، ولكنـي أذكـر مـا رقمـه العلماء بلفظه ورسمه، وهو لدي وأسماؤهم مرقومة عندي ولفظه:

[رسالة العلماء إلى شيخ الإسلام]

بعد الحمد لله والثناء عليه، وبعد.. فإنه لما كـان مـن الواجـب، والحـتم الـلازب، إيضاح المقام، لما أجمع عليه العلماء الأعلام، وأهل الحل والعقـد في مدينـة شـبام، مـن انعزال إمامة المنصور ونصب الإمام المتوكل في المنصب العام وذلك ينحصرـ في خمسـة أطراف:

الأول: أنه ظهر عجزه وضعفه عن القيام بأمر الخلافة وانتشرت عليه الأمور، وفسـد عليه الجمهور، وحينئذٍ وجب عليه التنحي لأنهض منه.

الطرف الثاني: التبري وإحلال النـاس عـن بيعتـه وإقـالتهم في مكتوبـات متعـددة، ومواقف مترددة، حتى اجتمع عليه العلماء وبكتوه وحاجوه في أمورٍ واستقالوه بيعتهم فأقالهم صريحاً ووضع مسبحته وخرج من[1] بينهم ولم يرعوي لكتاب ولا لسنة.

(١) في نسخة: من بيعتهم.

الطرف الثالث: أنهم نقموا عليه تفويض سيدي محمد بن محمد[1] وأنه لا يجوز ولايته لشيء من أمور المسلمين، ووقع الإجماع منهم على ذلك فلم ينجع عنده بل كان المتصرف في جميع الأمور الخاصة والعامة وليس لأحد فعل سواه ولم ينفذ كلام أحد إلا أياه.

الطرف الرابع: أنه انكشف فقدان ثلاثة شروط من شروط الإمامة التي هي معظم مقصود منها وعلمت يقيناً وهي الشجاعة والكرم والتدبير، وأجمع على ذلك العلماء ومن يعرف الحقائق من المميزين[2].

الطرف الخامس: ما وصل من بيت المال من طعام ومدرهم[3] وغيرهما لم يعلم مصيره ولا أثره ومضى على المسلمين الحصار المشهور والشدة التي أمرها غير منكور، وجميع ما هو للعسكر من جوامك، وما هو للمتعلقين بمصالح بيت المال باق فوق القائم، وصرح المنصور بقلمه أنه لم يصر إليهم شيء والمقبوضات من زكاة وغيرها متيقنة ومع هذه الأمور فالفتنة قائمة على ساقٍ، والمسلمون قد ضاق عليهم الخناق، وخشينا الافتراق، وإلى من لا يصلح قد تطاولت الأعناق، لولا التدارك لحفظ المقام، وصيانة بيضة الإسلام، لحصل التنازع ولاتسع الخرق على الراقعي ويشهد الله وخلقه أن ليس لنا غرض دنيوي، وأنه عن جميع الأوهام بري.

هذا ولم نظهر إلا التبري فقط وأضربنا عما سواه، وخرج مجللاً مكرماً معظماً حمل الموجود من بيت المال ولم يترك للقائم إلا أماكن خاوية والديون ووقع الإستغراق لما كان والبطر والتفريط بما يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، انتهى ما حرره العلماء بلفظه.

---

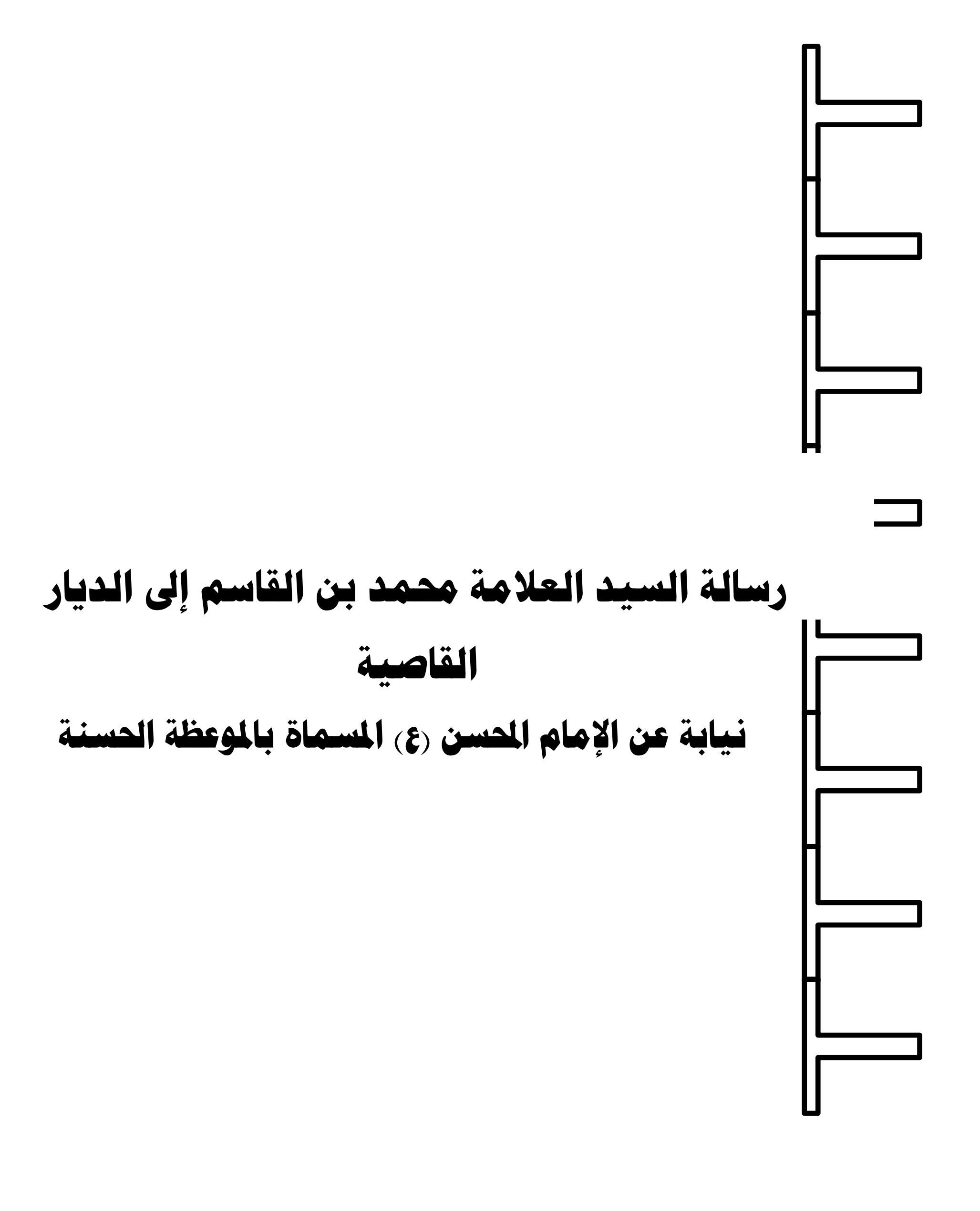
(١) يعني به السيد محمد بن محمد الوزير.

(٢) في نسخة: المتميزين.

(٣) المراد، الدراهم.

وكأني بقائل يقول: فأنت الذي شايعته وبايعته، ابتداء فما عدا مما بدا.

فأقول: أجل، قد كان ذلك وقد أبلغنا الجهد في إحياء معالم الدين بإعانته، ودعونا الناس إلى طلعته وفي ذلك الوقت كنت معتقد إمامته، لا أستجيز أن أخالف قيد شبرٍ عن طريقته، حتى انكشف ما انكشف فوجب العمل على مقتضى كتاب الله وسنة رسوله، وقد أشرنا سابقاً أن بعض الشروط لا تتحقق قطعاً إلا بالملازمة والإختبار وقد وقع التحري في الإبتداء والبحث، وعلى الجملة أنا لم ندخل بحمد الله إلا بعلم وبصيرة من أمرنا ولم نخرج إلا بعلم وتوفيق من ربنا، على أنا لسنا بأول من اتفق له ذلك فإن العالم قد يرى رأياً فينكشف له الصواب في غيره، وقد اتفق معنا من هو خير منا وهم قدوتنا وأئمتنا، فإن الأمير الحسين صاحب الشفاء والتقرير وأخاه المنصور بالله الحسن بن بدر الدين، ذا الفضل الشهير، ومن مال إلى رأيهما من علماء عصرهما بايعا للحسن بن وهاس ثم انكشف لهما الخطأ وأظهروا البراءة، وللأمير الحسين في ذلك رسالة، كذلك وقع مع القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران شارح الأثمار، كان مبايعاً للحسن بن عز الدين ثم بايع الإمام شرف الدين %، كذلك السيد العلامة إبراهيم بن أحمد بن عامر الشهيد -رحمه الله-، والقاضي العلامة حافظ الزيدية أحمد بن سعد الدين المسوري وغيرهما من علماء عصرهما، بايعوا أحمد بن الإمام القاسم بن محمد % ثم انكشف لهم أن الإمام المتوكل على الله أكمل فبايعوه، فكفى بهؤلاء الجهابذة أسوة وقدوة، والمعامل الباري المطلع على الضمائر، والعالم بخفيات السرائر، تمت الرسالة.



رسالة السيد العلامة محمد بن القاسم إلى الديار القاصية

نيابة عن الإمام المحسن (ع) المسماة بالموعظة الحسنة

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (*)

الحمد لله الذي فتح لأصفيائه باب الدعاء إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ومنح قلوب أوليائه التلقي بالقبول على مرور الأعوام والأزمنة، وجعلهما فريضتين لازمتين وواجبتين متساويتين، وإن تباعدت الديار والأمكنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مذعنة بأنه الواحد القاهر، الأول الآخر، الباطن الظاهر، الخالق الفاطر، الذي لا تدركه النواظر، ولا تحجبه السواتر، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، ولا تظاهيه هيئة العناصر، وهو الحي القيوم السميع البصير، القادر العليم الحكيم، فأفعاله جارية على قانون الأحكام، الباهر الصادق في الأقوال، العادل في الأفعال، فلا يرضى القبيح ولا يفعله، ولا يصدر عنه في النواهي والأوامر، كلف عباده اختياراً ولم يكلفهم اضطراراً، وهداهم النجدين، ومكنهم من الفعلين، ودعاهم إلى الخير الوافر، صادق الوعد، والوعيد، ما يبدل القول لديه وما هو بظلامٍ للعبيد، لا يثيب[1] أحداً إلا بعمله، ولا يعاقبه إلا بذنبه، من كل برٍ وفاجر.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المختار لتبليغ رسالته واستيداء شكر نعمته، ختم به أبواب النبوات، وأيده بالآيات البينات، والمعجزات النيرات، في حله ورحلته، بعثه على فترة من الرسل، ودرس من السبل، فنسخ بملته جميع الملل، ومن جاهد في الله بالقول والعمل، حتى استقام الحق واعتدل، وخاب الباطل وبطل، وحتى اختار الله له رفيع درجته بدار كرامته ÷ صلاةً وسلاماً يثبتان دواماً ويكونان لحقوقه قواما، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته، وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل

(*) هذه الرسالة المسماة بـ (الموعظة الحسنة) هي دعوة الإمام المحسن % إلى البلاد القاصية المغرب العربي وما جاورها، ألفها السيد العلامة محمد بن القاسم بأمر الإمام % كما ذكر ذلك مؤلف سيرته.

(١) في الأصل: لا يثيبت.

الصديقين المنزل منه بمنزلة هارون من موسى إلا نبوءته، وعلى سيدة النساء، خامسة أهل الكساء، سليلة الرسول وبضعته، وعلى ولديها الإمامين قاما أو قعدا سيدا شباب أهل الجنة، السعداء ولدي المصطفى وعصبته، وعلى عترتهم الأطهار المصطفين الأخيار، سفن النجاة، وقرناء الكتاب وتراجمته، ورضي الله عن الصحابة الراشدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، القائمين بما أوجب الله عليهم من حق طاعته، وبعد..

فلما رأينا قواعد الدين الحنيف قد أشرفت على الانهدام، ومعالم الشرع الشريف قد أشفت على الاندراس والإنعدام، وتعطلت الشرائع والأحكام، واستحل الحرام، وظهرت البدع والمنكرات، وعمت المظالم والبليات، وبدت نواجم الكفر والضلالات[1] في جميع الجهات، واعتور الإسلام وأهله المصائب والنوائب والآفات، وصار حاله كما قال النبي ÷: «بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً وطوبا للغرباء» فعند ذلك عول علينا العلماء الأعلام، ومن يرجع إليهم النظر والإبرام، وألزمونا الحجة في القيام بأمر الإمامة العظماء، والتسنم لهذا المنصب الرفيع الأسمى، فلما لم نجد عما راموه منا معدلاً، وما ألفينا للإعتذار مدخلاً، جردنا العزيمة غيرة لدين الله تبارك وتعالى، وقمنا بهذا الواجب العظيم تعظيماً له وإجلالاً، وكرننا الدعاء إلى كافة العباد، وبعثنا الكتب والرسائل إلى أقطار البلاد، وحرضنا على فريضة الجهاد، والسلوك في سبيل الرشاد، فأجابنا بحمد الله الجم الغفير، وأهرع إلى دعوتنا الصغير والكبير، ثم لا زلنا نبذل النفوس والنفيس تطلباً لإعزاز الدين والذب عن شريعة سيد المرسلين، وإحياء سنة الجهاد التي هي طريقة الأنبياء والأئمة الراشدين، ونتنقل لطلب النصر من بلاد إلى بلاد، ونركب متون الأغوار والإنجاد، ونكرر الوقائع بأهل الزيغ والإلحاد، وأهل

(١) في نسخة (من جميع الجهات).

البغي والفساد، حتى نعش الله أمر الدين، وأعلا نوره، وأشرقت في سماء المجد بدوره، وكشف عن وجه الإسلام ستوره، وانتظمت للمؤمنين الأحوال، وكفى الله بعض تلك الأهوال، ونحن إن شاء الله على ذلك المنوال، من غير كلالٍ ولا ملال بعون الله الكبير المتعال.

وهذا وإن كانت تلك الدعوة المباركة قد عمت الأقطار، وظهرت ظهور شمس النهار، وسار بها الركبان في الأسفار، لكنا أردنا أن نخص بهذه الدعوة ونبعث بهذه الرسالة إلى أصحابنا وأشياعنا وأعضادنا إن شاء الله وأتباعنا أهل الديار الحجازية ومن قطن بمحروس الصفراء من الزيدية، وأهل بدر وخيبر[1]، ومن قطن بوادي الفرع بجبل الرس الأزهر مهابط البركات والأنوار، ومقر الأئمة السابقين الأخيار، ومن ائتم[2] بهم من أهل تلك الديار، ممن شملتهم نبوة جدنا[3] المختار، وعترته الأطهار، وصلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وكذلك إخواننا الأشراف الكرام بمحروس مكة المشرفة والمدينة المنورة وكافة الأشراف آل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب " القاطنين بجهة الغرب الأقصى بمدينة فاس أسبغ الله عليهم أنعامه ووفر لديهم الكرامة.

وننهي إليكم سلاماً يفوح نشره ويلوح في أوج المعارف بدره، وندعوكم إلى الدعوة النبوية، والسيرة العلوية، والطريقة المرضية، الجامعة غير المفرقة، والعادلة غير الجائرة، وإلى الدخول في زمرة من قد شايعنا وبايعنا على العمل بكتاب الله وسنة رسول الله، نحيي ما أحييا، ونميت ما أماتا، وأن تكون أيديكم مع أيدينا، ولكم ما لنا وعليكم ما علينا، من

---

(١) في نسخة: وأهل وادي الفرع.

(٢) في نسخة: ألمَّ.

(٣) في الأصل: دعوه.

إقامة أركان الإسلام التي هي صوم وصلاة، وحج وزكاة، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وما يتبعها من الإتيان بالواجبات، واجتناب جميع المقبحات، والأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن الفحشاء والمنكر، والتغيير على الظالمين، ومثاغرة الكافرين، والجهاد في سبيل رب العالمين، كل أحد بمستطاعه وما يقدر عليه، ﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأحقاف: ٣١] وقد أردنا أن نذكر في هذه الرسالة أبواباً نفع الله بها في أبواب الدين ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات: ٥٥] ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨].

الباب الأول

في ذكر شيء من الأدلة فيما يجب للمحقين من الأئمة من وجوب الإجابة والحقوق على كافة الأمة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال: ٢٤، ٢٥] دلت على وجوب إجابة إمام الحق إذا دعا إلى سبيل الرشاد؛ لأن الإمام قائم مقام الرسول ÷ بالإجماع.

قال أبو بكر الصديق بمحضر من الصحابة الراشدين رضي الله عنهم عند قتال أهل الردة: (والله لو منعوني عقالاً أو قال عناقاً مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ÷ لقاتلتهم) [(١)] وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: ٥٩] وأولي الأمر أئمة الحق بالإجماع.

قال صاحب الكشاف رحمه الله: والمراد أمراء الحق؛ لا أمراء الجور فإن الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم.

وقال الإمام يحيى بن حمزة % في الانتصار: واعلم أن الواجب على الأمة هو نصرة الإمام ومؤازرته ومعاضدته وإعانته على ما في وجهه من المكالف، ويحرم عليهم خذلانه

---

(١) في نسخة: عليه.

ويلزمهم أن يطيعوه فيما أمر الله أن يطيعوه فيه فينقادوا لأمره، ويمتثلوا لطاعته، وينهضوا إذا استنهضهم لقتال عدوه، ولا يكتموا عنه شيئاً من النصائح، ويحدثوا له النصيحة من أنفسهم سراً وجهراً، والأصل في هذه الأمور كلها قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩] وأولي الأمر هم الأئمة بإجماع الأمة.

وروى زيد بن علي عن آبائه عن علي % أنه قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل بايع إماماً عادلاً فإن أعطاه شيئاً من الدنيا وفِيءَ له وإن لم يعطه لم يفِ[١]، ورجلٌ له ماء على قارعة الطريق يمنع سائمة[٢] الطرق، ورجل حلف بعد العصر لقد أعطي في سلعته كذا وكذا فأخذها الآخر مصدقاً له بيمينه وهو كاذب».

وأما من امتنع من بيعة إمام عادل فقد قال الهادي % في الأحكام: طرحت شهادته وسقطت عدالته، ومنع نصيبه من الفيء، أما وجوب البيعة إذا طلبها الإمام فلما فيها من قوة أمره وتوهين أمر من يخالفه ويعاديه ولما فيه من انتظام الأمر وجمع الشمل وهي من جملة الطاعة، وقد قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩] فكيف وقد اشتملت البيعة على هذه المصالح الدينية، ولأن رسول الله ÷ كانت له بيعتان قبل[٣] خروجه من مكة بيعة النساء وبيعة العقبة، وبايع بعد خروجه من مكة بيعتين، بيعة الرضوان وهي بيعة الشجرة، وهي في عمرة الحديبية، وبايعه بعض أصحابه على الموت، وقيل على أن لا يفروا. انتهى كلام الانتصار.

وقال ÷: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» رواه في الانتصار، وهو

(١) في نسخة: لم يفِ له.

(٢) في نسخة: سابلة.

(٣) قال في حاشية في المطبوع على هذا الكلام ما لفظه: ينظر في كلام الانتصار فبيعة النساء بعد خروجه من مكة وبيعة الرضوان هي بيعة الشجرة وبيعة الحديبية. تمت. مولانا مجد الدين المؤيدي رحمه الله.

متلقى بين الأمة بالقبول، ذكره نجم آل الرسول الإمام القاسم بن إبراهيم %، وقال ÷: «من مات وليس له إمام فقد حرب[1] من ربقة الإسلام» وقال ÷ : «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم، وقال÷ «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله وخليفة كتابه وخليفة رسوله».

وقال أمير المؤمنين علي %: (وإنما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاه على عباده، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه).

وعن النبي ÷ أنه قال: «لخليفتي على الناس السمع والطاعة ما استُرحموا فرحموا، وحكموا فعدلوا، وعاهدوا فوفوا، ولمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وعنه ÷ «أن الجنة لا تحل لعاصٍ ومن لقي الله ناكث بيعة لقيه وهو أجذم، ومن خرج عن الجماعة قيد شبراً وهو معتمداً فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس بإمام جماعة ولا لإمام جماعة في عنقه طاعة[2] بعثه الله ميتةً جاهلية».

وعنه ÷ «تمسكوا بطاعة أئمتكم ولا تخالفوهم فإن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله سبحانه وإن الله تعالى إنما بعثني لأدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فمن خلفني في ذلك فهو وليي، ومن ولي منكم شيئاً وعمل[3] بغير ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وعنه ÷ «من أهان سلطان الله أهانه الله».

---

(١) في نسخة: فقد خرج.

(٢) في نسخة: مات ميتة جاهلية.

(٣) في الأصل: فعمل.

وعنه ÷ أنه قال: «السلطان فيء الله في أرضه، من أكرم سلطان الله أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله أهانه الله».

وعنه ÷ «ليس للمرء إلا ما طابت به نفس إمامه» من آخر حديث قد مر.

وعن علي % أنه قال: (حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله عزوجل وأن يعدل في الرعية فإذا فعل ذلك فحق عليهم أن يسمعوا وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعا، وأي إمام لم يحكم بما أنزل الله فلا طاعة له).

وعنه ÷ أنه قال: «من نزع يده عن طاعة الإمام بعثه[1] الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وهو مفارق للجماعة مات ميتة جاهلية».

وعنه ÷ «الوالي العدل ظل الله في أرضه من نصحه في نفسه وفي عباد الله حشره الله في وفده يوم لا ظل إلا ظله، ومن غشه في نفسه وفي عبادة الله خذله الله يوم القيامة ويرفع للوالي العدل في كل يوم وليلة عمل ستين صديقاً كلهم عبدٌ مجتهد».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ÷: «إنما الإمام جُنَّة يقاتل به» أخرجه أبو داود، وقد أخرجه البخاري ومسلم والنسائي بالمعنى.

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ÷: «الغزو غزوان فأما من ابتغاء وجه الله سبحانه، وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وباشر[2] الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهته أجرٌ كُلّه، وأما من غزا فخراً ورياء وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لم يرجع بالكفاف» أخرجه أبو داود والنسائي، وهو في رواية الموطأ بالمعنى، وأخرجه الترمذي من رواية أبي سعيد قال: قال رسول الله ÷: «أحب الناس إلى الله يوم القيامة

---

(١) في الأصل: جاء.

(٢) في نسخة: وياسر الشريك.

وأقربهم[1] إليه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم مجلساً إمام جائر».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ÷: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني» وفي رواية أخرى مثله، وفيه «وإنما الإمام جُنَّة يقاتل من ورائه ويتقي به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً وإن قال بغيره كان عليه منه وزراً» أخرجه البخاري ومسلم، وأخرج النسائي الرواية الثانية، وفي آخر البخاري مثله، وفي آخره «نحن الآخرون السابقون» ثم ذكره.

وعن ابن عمر أن رسول الله ÷ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» أخرجه الجماعة إلا الموطأ.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ÷: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومهرمك، وأثرة عليك» أخرجه مسلم والنسائي.

هذا وغيره مما ورد في الآيات البينات، والأحاديث المنيرات، والسنن المشهورات، والأخبار المأثورات، مما تضيق عنه الأوراق، وتطوق به الأعناق، من رواية المؤالف والمخالف، قدشحنت بها كتب علماء آل الرسول وشيعتهم الجهابذة الفحول، وغيرهم من علماء الإسلام حفاظ المنقول، وقد قضى جميع ذلك بمنطوقه ومفهومه، وخصوصه وعمومه، وفحواه وإشاراته، ولحنه وعباراته، بوجوب إجابة أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، من أهل بيت المصطفى، أمان أهل الأرض من الهلاك والردى، ولزوم طاعتهم ونصرتهم ومودتهم وإعانتهم وتعظيمهم والكون في حزبهم وجماعتهم، وموالاة من

(١) في الأصل: وأدناهم.

والاهم، ومعاداة من عاداهم، والانتماء إليهم، والجهاد بين أيديهم، وبذل ما جعل الله ولايته إليهم، وغير ذلك من الحقوق التي تجب لهم كل ذلك تعبداً لله تعالى، وقياماً بحقه وحق رسوله وما يجب لقرابة رسول الله ÷ وثمرة ذلك كله عائدة إلى الأمة، ونازلة بهم كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[يونس: ١٠٨].

إذا تقرر هذا فنقول إن أكثر الناس قد تعاموا عن هذا الواجب العظيم، والتكليف الجليل الفخيم، وتساهلوا به وتغاضوا عنه، وفرطوا فيه، وهو كما قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[المؤمنون: ٧٠] ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف: ١٠٣] ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠] إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦] ولو مسألة من المسائل الفرعية أو حكماً من الأحكام الشرعية ورد فيه ما ورد في حق الإمام واشتهر ونقل عنه علماء الإسلام لسارعت الأمة إلى تاركه بأنواع المذام وتحكموا[1] بهلاكه بالألسنة والأقلام، فما ظنك بهذا الحكم القطعي، والواجب الأصلي، الذي تدور رحى الإسلام عليه، وتستند المصالح الدينية إليه، وتنسد الثغور، وتدفع به الشرور، وتنتظم به أحوال الجمهور، وتقوم به فريضة الجهاد الذي هو سنام الدين وسنة الأنبياء والخلفاء الراشدين، ويتم به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فينتصر المظلوم، ويتوصل المحروم، وتقام الحدود، ويرتدع الظالم العنود، وتنفذ الشرائع والأحكام، ويميز الحلال والحرام، ويعبد الله تعالى في كل مقام، وتأمن السبلات، وتؤتى الواجبات، وتجتنب المقبحات، وتنزل البركات.

---

(١) في نسخة: وحكم بضلاله.

وعلى الجملة فما من واجب من الواجبات ولا مصلحة من المصالح إلا وهي معولة عليه ومستجدة منه، والله أعلم بمصالح عباده.

واعلم أن الخليفة لما كان قائم مقام من استخلفه اشترط أن يكون فيه صفاته حتى يقوم بها استخلف فيه، وبهذا اشترط في الإمام أن يكون بصفات النبي ÷ من المنصب الشريف، والتقوى، والورع، والشجاعة، والسخاء، وحسن التدبير، والعلم النافع، بحيث يتمكن من فصل الواردات، وحل المشكلات، وأن يشهر نفسه ويدعو إلى سبيل ربه، ويباين الظالمين، ويقرب أهل الدين، ويقسم بالسوية، ويعدل في الرعية، ويسير سيرة من استخلفه، كما جاء في الأدلة الشرعية، فمتى كان كذلك وجبت إمامته، وتحتمت طاعته على القريب والبعيد، والأحرار والعبيد، ومتى كان على خلاف تلك الصفات فلا طاعة له ولا إجابة، ولا يجوز بيعته ولا القتال معه.

وإنَّا بحمد الله لما قمنا بهذا الأمر دعونا الأمة إلى ما فيه صلاحها ورشادها، وخيرها وسدادها، وامتثلنا أمر ربنا عزوجل فيما أوجب علينا، وحملناهم الحجة فيما أوجب عليهم وأودع من الأمانة لديهم، وأشهدنا الله عزوجل وملائكته بأنَّا لم نأل جهداً في الصلاح والفلاح والاستصلاح ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

الباب الثاني

في ذكر طرف من فضائل العترة " ووجوب التمسك بهم وما يتبع ذلك

اعلم أنه قد صح عن النبي ÷ قوله: «ستفترق أمتي إلى نيف وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقةٍ واحدة» هذا حديث مقطوع بصحته؛ لأنه متلقى بالقبول عند جميع الأمة لا يختلفون أنه قد ورد بطرق عديدة، ويصدقه الواقع، فإن الأمة افترقت بعد نبيها÷ فرقاً شتى.

قال العنسي في المحجة البيضاء: انتشر مذهب الخوارج في زمن علي % وفي زمنه كان حدوث مذهب الغلاة والمفوضة وهم الذين مهدوا مذهب الباطنية، وفي ضمنه في زمن معاوية ظهر الجبر والتشبيه، ثم تزايدت مذاهب الجبرية وصاروا فرقاً كالأشعرية، والكلابية، والكرامية، والضرارية، وظهر في ضمن ذلك في آخر دولة بني أمية مذهب الإمامية، وتزايد في أيام بني العباس، وظهر في أيام التابعين مذهب المرجئة، وأكثره [1] بمذهب الإمامية، والجبرية، وظهر مذهب المعتزلة في أيام واصل بن عطاء وتزايد وصارت لهم رئاسة عظيمة بميلهم في العدل والتوحيد إلى مذاهب العترة الزكية، واستقامت الزيدية على المذهب الذي كان عليه زيد بن علي % وسائر العترة "، وهي الطريقة التي مات عليها النبي ÷، ومات عليها علي % وأبنائه الحسنين ×، والجماعة الوافرة من الصحابة والتابعين. انتهى.

---

(١) في نسخة: ولحق أكثرهم بمذهب الجبرية والإمامية.

قلت: فحقيق لمن وقر في قلبه ذلك، وقرع سمعه ما هنالك، أن يجتهد في طلب الفرقة الناجية عند مداحض الأقدام، والطريقة الموصلة إلى السلامة والاغتنام، فيجعلها إمامه وقائده، وعصمته ورائده، فيفوز بالنجاة عند الزحام، عند مواقف الأشهاد، ومناقشة العباد ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وقد بين الله تعالى ورسوله ÷ الفرقة الناجية بآية المودة والتطهير، وآية المباهلة وغيرها من الآيات الدالة على أنها العترة الطاهرة الزكية ومن تابعها في دينها من سائر البرية، وبما ورد في الأربعة المعصومين خاصة، وبما ورد فيهم وفي سائر العترة " عامة، من ذلك قوله ÷: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وهذا الخبر متواتر مجمع على صحته، وقد ذكره الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان في حقائق المعرفة متصلاً بما قبله، قال: قال رسول الله ÷: «افترقت أمة أخي موسى إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت أمة أخي عيسى إلى اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي من بعدي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة» فلما سمع ذلك المسلمون ضاقوا به ذرعاً وضجوا بالبكاء وأقبلوا عليه وقالوا: يا رسول الله كيف لنا بعدك بطريق النجاة وكيف لنا بمعرفة الفرقة الناجية حتى نعتمد عليها؟ فقال÷: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» قال: والأمة مجمعة على صحة هذا الخبر، وكل فرقة من فرق الإسلام تتلقاه بالقبول، انتهى.

فبين ÷ أنه قد ترك في أمته خليفتين وحبلين ممدودين باقِيَيْن ما بقيت هذه الدار، لا يفارق أحدهما صاحبه حتى يردا على النبي المختار، صلى الله عليه وآله الأخيار، فهما

عصمة اللائذين، ونجاة الطالبين، وعمدة الموحدين، وأمان المسلمين.

أحدهما: وهو الأكبر كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض، طرفه بيد الله وطرف بأيدينا كما جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث، وهو المعجزة لنبينا ÷ الباقية إلى انقطاع التكليف، المحفوظ عن الزيادة والنقصان والتحريف الذي ﴿**لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ**﴾[فصلت: ٤٢] وكما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾[الحجر: ٩] وقال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ**﴾[البقرة: ٢].

والثقل الآخر: عترة رسول الله ÷ وهم أهل بيته قد جعلهم الله تعالى تراجمة الكتاب وخلفاء رسول الله بدلاً عنه في حمل الشريعة إلى أمته، وحراستها عن التغيير عن سنته، وأقامهم مقامه، فيما تحتاج إليه الأمة في أمر دينها إلى يوم القيامة، وفي الذب عنها باللسان والسنان، والدعاء إلى دين الملك الديان، فهم سفن النجاة ، وباب حطة وباب السلم، وأمان أهل الأرض، ورزقهم الله علم جدهم رسول الله ÷ وفهمه، وخلقهم من لحمه ودمه، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ونوّه بفضلهم وتقديمهم وأوجب على عباده جميعاً مودتهم واتباعهم وتقديمهم ونصرتهم، والتعلم منهم، والكون في حزبهم، والاهتداء بهديهم، فإليهم في الفزع الإنتهاء، وبهم في الأصول الاقتداء، وأعد لمن ناواهم أنواع العقوبات، وأصناف الجوائح المؤلمات، كما جاء ذلك كله في الآيات البينات، والأحاديث المتكاثرات، منها ما نقل وبلغ حد المتواتر، ومنها ما هو متلقى بالقبول كم هو ظاهر، ومنها ما اشتهر في الدواوين الكبار بطرق أئمتنا "، وغيرهم من علماء الأمصار، ومنها ما روي بأحاديث مسلسلة الإسناد، بالأسانيد الجياد، ولابد أن نشير إلى طرف يسير في هذه الأوراق لقصد التنبيه والإذكار، إذ حصر

فضائلهم وخصائصهم تستغرق الأسفار، وتستوعب المجلدات الكبار، ومن أحب الاطلاع على ذلك فليراجع مؤلفاتهم ومؤلفات شيعتهم ومؤلفات سائر علماء الإسلام في فضائلهم يجد شفاء الأوام، غاية المرام، فمنها هذا حديث الثقلين، ومنها قوله ÷ «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى، ومن قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»، وهذا في الحديث مجمع على صحته عند علماء الآل وشيعتهم وأهل التحقيق من غيرهم، وقد روي بطرقٍ عديدة من جهة الموالف والمخالف، وهو وأمثاله صريح في نجاة المتبع لهم وهلكة المخالف لهم، وقوله ÷ «أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء» رواه الإمام أبو طالب، والإمام أبو عبد الله الجرجاني ×.

وقوله ÷ «أهل بيتي فيكم كباب حطة» رواه الإمام أبو عبد الله الجرجاني.

وقوله ÷ «فأين يتاه بكم عن علم تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة حتى صار في عترة نبيكم» رواه الإمام المهدي % في الغيث، وبعضهم وقفه على أمير المؤمنين علي %، وفي أمالي المرشد بالله % بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ÷: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطة من دخله غفر له» وفيه بالإسناد إلى موسى ابن جعفر عن أبيه عن جده عن علي % عن رسول الله ÷ قال: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء فويل لمن خذلهم»[1] وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ÷: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب الشيطان» أخرجه الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس قال

(١) في نسخة: وعاندهم.

رسول الله ÷: «من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنَّة عـدن التـي غرسـها ربي فليتول علياً من بعدي وليوال وليّه وليقتدي بأهل بيتـي مـن بعـدي فـإنهم عـترتي خلقوا من طينتي ورزقوا علمي وفهمي فويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتـي القـاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي»

وفيه عن زيد بن أرقم قال: قال رسـول الله ÷: «إني فـرطكم وإنكـم واردون عـليَّ الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، قالوا: وما الثقلان يا رسول الله، قال: الأكـبر كتـاب الله طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكو به فلن تضلوا ولن تزلـوا والأصـغر عـترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض وسألت لهما ذلـك ربي فـلا تقـدموهما فتضلوا وتهلكوا ولا تعلموهما فإنهم أعلم منكم».

وفي مجموع زيد بن علي عن علي % قال: لما ثقل مرض رسول الله ÷ والبيت غاص بمن فيه قال: «ادعوا لي الحسن والحسين فدعوتهما فجعل يلـثمهما حتـى أغمـي عليـه، قال: وجعل علي يرفعهما عن وجه رسول الله ÷ ففتح عينيه وقال: دعهما يتمتعـان منـي وأتمتع منها فإنه سيصيبهما بعدي أثرة، ثم قال: يا أيها النـاس إني خلفـت فـيكم كتـاب الله[(1)] وعترتي أهل بيتي فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي والمضـيع لسـنتي كالمضـيع لعترتي أما إن ذلك لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وعنه ÷ «أنه بايع الناس على أن يطيعوا ويسمعوا له في العسر واليسرـ وأن يمنعـوا رسول الله ÷ وذريته من بعده مما منعوا منه أنفسهم وذراريهم».

قال علي %: فوضعها والله في رقاب القوم وفا بها من وفى وهلك بها من هلك.

---

(١) في نسخة: «كتاب الله وسنتي وعترتي».

وعنه ÷ «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وقاتلهم وعلى المعين عليهم أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم».

وقال ÷: «من سود علينا فقد شرك في دمائنا».

قال الهادي %: التسويد هاهنا التكثير فمن كثر بماله أو بنفسه وأعان بقوله وبفعله على محق من آل رسول الله ÷ فقد شرك في دمه.

وعنه ÷ أنه قال: «أنا شفيع لثلاثة يوم القيامة، الضارب بسيفه أمام ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه».

وعنه ÷ أنه قال: «من أحب أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعد ربي فليتول علي بن أبي طالب وذريته الطاهرين أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة».

وفي حديث آخر «أعطاهم الله فهمي وعلمي وهم عترتي خلقوا من لحمي ودمي إلى الله أشكوا من ظالمهم من أمتي».

وقوله ÷ «قدموهم ولا تقدموا عليهم وتعلموا منهم ولا تعلموهم ولا تخالفوهم فتضلوا ولا تشتموهم فتكفروا».

وروى الناصر للحق % بإسناده عن سعيد بن خيثم قال: سألت زيد بن علي% عن هذه الآية ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣] فقال%: الرد إلينا نحن والكتاب الثقلان فالرد منا وإلينا.

قال الناصر %: ويؤيد ذلك أنه قرن طاعته بطاعة رسوله فوجب أن يكون في الصفوة مثله فالرد إلى الرسول الرد إلى سنته، والرد إلى ولي الأمر الرد إلى ذريته؛ لأنه

قال: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي».. إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وأما آية المودة وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣] فإنها دالة على أن مودتهم واجبة فيكونوا على الحق وإلا حرمت مودتهم لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ...﴾ إلخ [المجادلة: ٢٢] وكونهم على الحق يقتضي وجوب متابعتهم لعدم الواسطة بين الحق والضلال لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس: ٣٢] والمراد بالقربى أهل البيت؛ لأنه ÷ فسرها بذلك، وكذلك أمير المؤمنين علي %، وفهم ذلك الصحابة كما رواه في شواهد التنزيل بالإسناد إلى علي % قال: فينا آل محمد آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن، ثم قرأ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣] وفي أمالي المرشد بالله من طريقين إلى ابن عباس رضي الله عنه.

وأخرجه ابن حنبل قال: لما نزلت الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣] قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وأبناهما» ذكره في الكشاف في تفسير هذه الآية، وفي شواهد التنزيل مسنداً من نحو ثمان طرق إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن حنبل في مسنده، والثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي الشافعي في مناقبه وغيرهم.

وأمّا آية التطهير وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣] فإن الله تعالى أخبر مؤكداً بالحصر بإرادته إذهاب الرجس عن أهل البيت " وتطهيرهم تطهيراً تاماً، وما يريده الله من أفعاله واقع قطعاً، والرجس المطهرون منه ليس إلا ما يستخبث من الأقوال والأفعال ويستحق عليه الذم والعقاب،

وإذا قد طهرهم الله عن ذلك كانوا على الحق، وإذا كانوا على الحق وجب اتباعهم إذ لا واسطة بين الحق والباطل كما سبق، ولا يصح أن يكون المراد بأهل البيت أزواجه ÷ لأن الأهل إذا أضيف إلى البيت لم يتبادر منه الأزواج، ولأنه ÷ قد بين المراد به في أحاديث كثيرة بالقول المتواتر، ويؤيد ذلك أن سؤال أم سلمة رضي الله عنها لم يقع إلا بعد أن قضى دعائه لأهل البيت وهم أهل الكساء " في جميع الأخبار، وقولها بعدما قضى دعائها صريح في خروجها عنهم إذ قد حصل البيان بقوله ÷ «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» ونحوه كما في الروايات، وأما اختلاف روايات هذا الحديث فيجب أن يقال كما قال الشيخ محب الدين الطبري الشافعي في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: الظاهر أن هذا الفعل تكرر منه ÷ يدل عليه اختلاف هيئة اجتماعهم وما جللهم به، ودعائه لهم، وسؤال[1] أم سلمة، وتحقق ما قاله في الذخائر، وروايته عن عائشة وزينب، ولا يلزم التنافر في الآية الكريمة؛ لأن أكثر المفسرين والرواة على أن الآية لم تنزل في نساء النبي ÷، ولا شك في حسن تخصيصهن بالذكر وتمييزهن بخطابه تعالى بما يرفع قدرهن، وتعليل ذلك باتصالهن برسول الله ÷ وبأولاده الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا مع أن التفسير المرفوع إلى النبي ÷ هو الذي يجب الرجوع إليه لقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤] فكيف وقد روي حديث الكساء بطرقٍ متكاثرة يحصل التواتر بدونها، ونقله الجم الغفير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من حفاظ المحدثين ولفظه في رواية أبي طالب % في أماليه بالإسناد إلى أم سلمة رضي الله عنها «أن النبي ÷ أخذ ثوباً فجلله على علي وفاطمة والحسن والحسين " ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣] فجئت لأدخل معهم فقال: مكانك

(١) في نسخة: وجواب أم سلمة.

إنك على خير».

وفي رواية «أنتِ ممن أنتِ منه وأنتِ على خير»، وفي رواية «أنتِ إلى خير أنتِ من أزواج رسول الله ÷».

وروي حديث الكساء في كتاب المحيط بالإمامة من طريقين، وأخرجه مسلم والترمذي بطرقٍ كثيرة، ورواه في كتاب شواهد التنزيل الحاكم الحسكاني المحدث رحمه الله من طرق عديدة، والحاكم الجشمي رحمه الله في كتاب تنبيه الغافلين من ثلاث طرقٍ، وفي كتاب درر السمطين للزربذي الشافعي، والواحدي في أسباب النزول من طريقين، وفي مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي قال رواه الطبراني، وفي الشفاء للقاضي عياض، وفي ذخائر العقبى كذلك بطرق متعددة، وأحمد في المناقب، وفي كتاب المصابيح لأبي محمد البغوي وغيرهم، ففي بعضها بلفظ الأمالي كما ذكرنا، وفي بعضها عن أبي سعيد نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[الأحزاب: ٣٣] في نبي الله ÷ وعلي وفاطمة والحسن والحسين " فجللهم رسول الله ÷ في كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قال: وأم سلمة على الباب فقالت: يا رسول الله وأنا، قال: «وأنتِ إلى خير» وفي بعضها قال: وأنتِ من صالحي نسائي، فلو كان قال: نعم كان أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس».

وفي بعضها عنها رضي الله عنها قالت: نزلت هذه الآية في بيتي وفي البيت سبعة، جبريل، وميكائيل، ورسول الله ÷، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأنا إلى باب البيت، وساق الحديث.

وبعضها عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رسول الله ÷ أربعين صباحاً إلى باب علي % بعدما دخل بفاطمة فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الصلاةَ يرحمكم الله

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم».

وفي بعضها نحوه عن أنس، وفي بعضها عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[طه: ١٣٢] كان رسول الله ÷ يجيء إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: «الصلاة يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» إلى غير ذلك، ولو استقصينا ما في هذا الباب من الأحاديث لخرجنا عن المقصود، وفيما ذكرناه إرشاداً لما أغفلناه، فإن قيل التنصيص على علي وفاطمة والحسن والحسين يخرج من يوجد من أولاد الحسنين.

قلنا: ليس المراد من التنصيص إلا إخراج من يتوهم دخوله في أهل البيت من الأزواج والأقارب وتخصيصهم ببيان كونهم أهل البيت؛ لأنه لم يوجد من أهل البيت وقت نزول الآية غيرهم وإلا فشمول أهل البيت لمن سيوجد كشمول الأمة، ويوضح ذلك قوله ÷ «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» وغيره مما سبق في صدر الباب.

وقد روي عن زين العابدين علي بن الحسين × أنه قال لرجل من أهل الشام (أما قرأت الأحزاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣] قال ولأنتم؟ قال: نعم).

فإن قيل قد ثبت أن علياً % من أهل الكساء فيكون[1] أولاده غير الحسنين× من أهل البيت كأولاد الحسنين داخل في معنى الأهل والعترة.

---

(١) في المطبوعة: (فإن قيل قد ثبت كون علي % من أهل الكساء فدل أن يكون أولاده من غير فاطمة كأولاد الحسنين داخلين في معنى الأهل والعترة).

قلنا: إنما كان أولاد فاطمة عترة للنبي ÷ لقوله «كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم إلا بني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما» ونحوه، وليس كذلك أولاد علي من غير فاطمة×.

وأما آية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[آل عمران: ٦١] فإنه ÷ لم يخرج إلا بعلي وفاطمة والحسنين "، علمنا أنهم المرادون بالأبناء والنساء والأنفس، وقد قرنهم ÷ بنفسه فكان حكمهم في هذه المرتبة الجليلة وهي الإبتهال والدعاء إلى الله سبحانه بهلاك الكاذب حكمه، وهو ÷ رأس الناجين يوم القيامة.

وقد روي حديث المباهلة عن ابن عباس، والحسن، والشعبي، والسدي، وابن إسحاق وغيرهم، وروي أنه ÷ سُئل عن بعض أصحابه فذكرهم بخير فقال له قائل: فعلي فقال ÷: «إنما تسألني عن الناس ولم تسألني عن نفسي» حكاه الحاكم رحمه الله في تنبيه الغافلين.

قلت: وكفى بهذا القول النبوي فخراً للوصي أمير المؤمنين %، ولقد خصه الله من الفضائل والفواضل ما لم يخص به أحداً من أمة نبيه ÷ وشاركهم في غيرها حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد ÷ في غير آية وما ذكر علياً إلا بخير.

وقال الإمام الحاكم أبو سعيد المحسن بن كرامة الجشمي رحمه الله في كتابه تنبيه الغافلين بعد ما ذكر حديث الثقلين قال: هذا غير ما أشار ÷ إلى أمير المؤمنين آخذاً بيده مشيراً إليه بعينه مبيناً حاله غاية الإعضام ومميزاً له بين الخاص والعام، فمرةً يقول «تمسكوا به فإنه على الحق والحق معه» وتارة يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وتارة

يقول: «علي مني وأنا منه» إلى غير ذلك مما يطول ذكره، كما نص على فضله خاصة وفضل أهل بيته عامة، فقد نطق القرآن ونزلت الآيات في مآثرهم، وبين ÷ بقوله وفعله، وميَّزه من بين أمته، أما القول فكثير منه ما قاله يوم الغدير بأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة، ومنها جعله منه كهارون من موسى، ومنها ما رواه حذيفة في علي أنه خير البشر، ومنها ما رواه أبو ذر وعمار رضي الله عنهما عن النبي ÷ أنه قال لعلي % «من أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني» ولقوله «علي مني وأنا منه» وكقوله «أوحي إليَّ في علي أنه إمام المسلمين وسيد الثقلين وقائد الغر المحجلين» إلى غير ذلك مما يطول تقصيه.

وأمَّا الفعل فإنه لم يؤمِّر عليه أحداً قط، وما بعثه في سرية ولا جيش إلا أمَّره عليهم وأمرهم بطاعته وحذرهم عن مخالفته وكان صاحب الراية[1] في غزواته حتى سأله جابر بن سمرة يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة فقال: «وما عسى أن يحملها إلا من حملها اليوم علي بن أبي طالب» وأخذ برآءة من أبي بكر ودفعها إليه وقال: «إنه لا يبلغها عني إلاَّ أنا أو رجل مني» وأخرجه عند المباهلة وأجراه مجرى نفسه لما آخا بين أصحابه وقال: «هذا أخي في الدنيا والآخرة» وزوجه ابنته سيدة نساء العالمين مع كثرة خطابها من سادات العرب وقال لها: «زوجتك أعلمهم علماً وأقدمهم سلماً» ولا نقم منه طول صحته ولا أنكر عليه شيئاً من قوله وفعله بل أنكر على من شكاه معرضاً عنه قائلاً: «مالكم ولعلي، علي مني وأنا منه وهو مولى كل مؤمن ومؤمنة».

هذا وما كان عليه من صغره إلى كبره فإنه غسله عند ولادته وسماه، وفي حجره المبارك رباه ولما بعث كان أول من أجابه، وصلى معه، وكان كاشف الكرب عن وجه رسول الله ÷، وذاباً عن الدين ابتغاء وجه الله سبحانه وكان جامعاً لخصال الكمال من العلم والزهد والشجاعة والسخاء، وما كان عليه من أخلاقه المشهورة وفضائله

(١) في نسخة: «لوائه».

المعروفة، انتهى كلام الحاكم رحمه الله، ولله القائل[1] حيث يقول:

وتركـــت مـــدحي للـــوصي تعمـــداً
إذ كـــان فضـــلاً مســـتطيلاً شـــاملا

وإذا اســـتطال الشيـــء قـــام بذاتـــه
وصـــفات ضـــوء الشـــمس تـــذهب بـــاطلا

ولقصر عنان القلم في هذا الباب، لتعذر الاستيعاب، والقصد التنبيه والتذكير لمـن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

(١) وهو المتنبي.

الباب الثالث

في أمهات مسائل من أصول الدين لا يعذر في جهلها أحد من المكلفين على سبيل الجملة والاختصار

اعلم أنه يجب على كل مكلف معرفة الله حق معرفته ويعرف توحيده وعدله وحكمه وصدق وعده ووعيده وما يتبع ذلك من النبوة والإمامة ونحو ذلك، والأصل في وجوبه العقل والشرع، أما العقل فهو أن كل عاقل يقضي بوجوب شكر المالك المنعم ولا يمكن توجيه الشكر إليه إلا بعد معرفته وهو سبحانه وتعالى لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، ولا يمكن معرفته إلا بالنظر في آياته والتفكر في صنعه.

وأما الشرع فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿**فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ**﴾[محمد: ١٩] وقوله تعالى: ﴿**فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾[هود: ١٤] وقوله تعالى: ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...**﴾إلخ [آل عمران: ١٨] .

ومن السنة قول النبي ÷ «من أخذ دينه عن التفكر في الآء الله والتدبر لكتابه العزيز والتفهم لسنتي زالت الرواسي ولم يزُل، ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال وقلدهم فيه مالت به الرجال من يمين إلى شمال وكان من دين الله على أعظم زوال».

وقال ÷ لمن سأله عن غرائب العلم قال: «وما صنعت في رأس العلم حتى تسألني عن غرائبه؟ قال السائل: وما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: معرفة الله حق معرفته،

قال: وما معرفة الله حق معرفته، قال: أن تعرفه بلا مثل ولا شبيه، وأن تعرفه إلهاً واحداً أولاً آخراً ظاهراً باطناً لا كفؤ له ولا مثل» وغير ذلك.

والمعنى أن تعرف ذلك بالنظر والاستدلال الموصل إلى العلم؛ لأن التقليد في أصول الدين قبيح مذموم ولا يأمن أن يقلد المخطئ أو الكافر وتقليد الكافر في كفره كفر بلا شك، وقد ذم الله سبحانه التقليد في كتابه وعلى لسان نبيه ÷؛ لأنه لا يفيد إلا الظن، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾[يونس: ٣٦] وقد قال تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[يونس: ٦٦] وقد قال تعالى ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾[الإسراء: ٣٦] وقال تعالى حاكياً عن الكفار ﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾[الجاثية: ٣٢] إلى غير ذلك من الآيات، والتقليد مذموم على الإطلاق، وإنما أبيح للجاهل في المسائل الفرعية العملية لضرورة الجهل لما كان كل مجتهد فيها مصيباً أومخطئ معذوراً على اختلاف المذهبين، ولأنه قد ضل كثير من الناس في مسائل الاعتقاد فمنهم من شبه الله بخلقه مع قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١] ومنهم من قال برؤيته تعالى بعد قوله ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣] ومنهم من أضاف قبيح فعله إلى ربه بعد قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾[الأعراف: ٢٨] ومنهم من جوَّز عليه تعالى تعذيب الأنبياء بعد قوله تعالى ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[الكهف: ٤٩] إلى غير ذلك من العقائد الفاسدة، التي هي عند الله كاسدة، فحينئذٍ يجب على المكلف أن ينظر لنفسه ويحصِّن عقيدته ليفوز بالسلامة والنجاة، ويكون من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وجملة ما نذكره هاهنا ثلاثة فصول، الأول: التوحيد، الثاني: العدل، الثالث: الوعد والوعيد.

الفصل الأول

في توحيد الله عزوجل

ومعنى التوحيد ما قال الوصي %: التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه، وصدق %، فإن من توهم الله أو كيفه أو مثَّله فلم يوحده وفيه عشر مسائل:-

المسألة الأولى: أن تعلم أن لهذا العالَم صانعاً صنعه، وخالقاً دبره وأحكمه، والدليل على ذلك أنَّا وجدنا عليه أي العالَم أثر الصنعة الرصينة المحكمة والفطرة العظيمة المتقنة، والتأليف والتركيب، والاتساق والترتيب، ووضع كل شيء في موضعه مع الإحكام والتدبير العجيب، ومن لازم ذلك كله الحدوث وكل مُحدَث لا بد له من مُحدِث ضرورة، لاستحالة وجود بناء لا باني له، وأثر من دون مؤثر، فعلمنا بذلك أن الله تعالى هو الذي أحدث العالم وكونه وأحكمه ودبره ومن العدم أخرجه.

ودليل ثانٍ: وهو أنا علمنا أن في الجسم عرضاً غيره، وعلمنا أن ذلك العرض محدث، وعلمنا أن ذلك الجسم لم يخلُ عنه، وعلمنا أن ملازمته إياه تستلزم حدوثه فعلمنا أن له محدِثاً وهو الله تعالى.

ودليل ثالث: وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة:١٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات:٢١] وغيرها من الآيات المثيرة لدفائن العقول وهي زهاء خمسمائة آية في كتاب الله تعالى.

فإن قيل كيف تصح الدلالة على إثبات الصانع الحكيم، بآيات القرآن الكريم، ومعرفة صحته مترتبة على معرفته؟

قلنا: يصح ذلك من وجهين:-

أحدهما: أن تلك الآيات مثيرة لدفائن العقول ومعنى ذلك أنها منبهة للعقول على كيفية الاستدلال عليه تعالى لما كان من غريزتها وفطرتها الإقرار به تعالى ومعرفة الطريق الموصلة إليه كُشف لها إذا تكدرت أو تدنست عن تلك الطريق.

وثانيهما: لما تواتر لنا القرآن وعلمنا إعجازه، وخرقه العاده، وإذا قد تحدى به العرب فلم يأتوا بسورة من مثله بل اختاروا على معارضته الحتوف ومعانقة العسالة والسيوف، أوجب ذلك الحكم بصدقه وصدق من جاء به وصار كسائر المحدثات التي لا يقدر عليها البشر؛ فحينئذٍ يصح الاستدلال على إثبات الصانع به وتوحيده وعدله ووعده ووعيده وجميع ما أنزل الله فيه بأوضح الدلالات، وقد قال تعالى ﴿**هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾[إبراهيم:٥٢] .

المسألة الثانية: أن الله تعالى قادر، والدليل على ذلك أنه قد صح منه الفعل والفعل لا يصح إلا من قادر، وقد قال تعالى ﴿**وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:٢٨٤].

المسألة الثالثة: أن الله تعالى عالم، والدليل على ذلك أنه قد صح منه الفعل المحكم وهو لا يصح إلا من عالم ضرورة، وذلك ظاهر في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، فإن فيه من الترتيب الغريب، والصنع العجيب، ما يزيد على كل صناعة محكمة في الشاهد، وقد قال تعالى ﴿**وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٨٢] .

المسألة الرابعة: أن الله تعالى حيٌّ، والدليل على ذلك أن الجماد لا قدرة له ولا علم ولا حياة ضرورة، وقد ثبت أنه قادر عالم فثبت أن يكون حيّاً، وقد قال تعالى ﴿**لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ** ﴾[البقرة:٢٥٥].

المسألة الخامسة: أن الله تعالى سميع بصير والسميع البصير في حقه تعالى بمعنى عالم بالمسموع والمبصر لاستحالة السمع في حقه تعالى بما سيأتي أنه تعالى ليس كمثلـه شيء، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[الشورى:١١] .

المسألة السادسة: أن الله تعالى قديم لا أول لوجوده، والدليل على ذلك ما ثبت منه أنه تعالى الصانع الحكيم، والصانع الحكيم لابد أن يكون قـديماً وأولاً للمصـنوع ضرورة، وقد قال تعالى ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾[الحديد:٣] .

تنبيه: وصفات الله تعالى الذاتية هي ذاته تعالى لا غيرهـا بمعنـى أن الله تعـالى عـالمٌ بذاته قادر بذاته ونحو ذلك؛ لأنها لو كانت زائدة على الـذات للـزم أن يكـون مـع الله قديماً وهو باطل، ويلزم أن يشبه المحدثات؛ لأن صفاتها زائدة على ذواتها كالحيـاة فينـا مثلاً فإنها غير الحي لانتفاء الصفة مع بقاء الذات والله تعالى ليس كذلك وليس كمثلـه شيء.

المسألة السابعة: أن الله تعالى لا يشبه الأشياء؛ لأنه لو أشبهها لكان محدَثاً مثلهـا، وقـد ثبت أنه قديم فيجب أن لا تشبهه؛ لأن المثلين لا يكون أحـدهما قـديماً والآخـر محـدَثاً، وقد قال تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾[الشورى:١١] .

تنبيه: وإذا تقرر أن الله تعالى ليس كمثله شيء فيجب أن ينزه عن جميع صفات الأجسام والأعراض مثل الحدوث، والفناء، والجوارح، والأعضاء، والتحيز، والاستقرار، والرؤية، والنزول، والصعود، والكون في جهة، والغم، والسرور، والألم، واللَّذة، وأن يكون حالًّا أو محلاً، أو غير ذلك؛ لأن تلك جميعها من صفات الأجسام والأعراض وأنه بخلافها ومتعالى عنها، وما ورد في بعض الآيات الكريمة مما يوهم ظاهره التشبيه فهو من المتشابه، والواجب تأويله بما يصح معناه، ونرده إلى الأدلة القطعية من العقل والمحكم من

السمع، وقد قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ - أي أصله الذي يرد إليه- ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[آل عمران:٨] فالوجه في قوله تعالى ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن: ٢٧] أي ذاته، و﴿يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤] أي نعمته، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧] أي بقدرته وقوته، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِىٓ﴾[طه:٣٩] أي بعلمي، و﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزُّمَر:٥٦] أي الجانب الذي لله، وهو الطاعة، و﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥] أي استولى، و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾[المجادلة:٧] أي علمه وسلطانه، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ﴾[الأنعام:٣] أي حافظ ومدبر، وعالم، و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[النحل:٥٠] أي قوته وقهره، و﴿نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[القيامة: ٢٢، ٢٣] أي منتظرة لرحمته ونحو ذلك، وهذه المعاني كلها شائعة في لسان العرب، بل معدودة من البلاغة فيجب الحمل عليها لما قضت به حجج العقل والآيات المحكمة التي لا احتمال فيها مثل قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٞۖ﴾[الشورى:١١] ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص:٣، ٤] ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣] وإذا وجب الحمل على المجاز مثل ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾[الإسراء:٢٤] بقرينة العقل وجب هنا.

فإن قيل إذا نفيتم عن الله تعالى صفات خلقه فما تقولون في مثل موجود حي قادر عالم، وهل هذا مما يطلق عليه تعالى وعلى غيره أم لا؟

قلنا: قد بينا أن صفات الله تعالى ذاته وأن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات فلا اشتراك بينها في ماهية ولا حقيقة؛ ولأن المخلوق موجود بإيجاد فهو موجَد وقادر بإقدار فهو مُقْدَر ونحو ذلك، وهذه عين المخالفة بين المخلوق والخالق، وأما الوقوف على كنه ذاته

تعالى فمستحيل، كما قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾[طه:١١٠] وكما قال الوصي %: (باينهم بصفته رباً كما باينوه بحدوثهم خلقاً)، وقوله %: (من فكر في المخلوقات وحَّد، ومن فكر في الخالق ألحد)، أو كما قال.

المسألة الثامنة: أن الله تعالى غني لا يجوز عليه الحاجة؛ لأن الحاجة من صفات الأجسام والله تعالى ليس بجسم ولا يشبه الجسم، وقد قال الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾[محمد:٣٨] .

المسألة التاسعة: أن الله تعالى لا يُرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، والدليل على ذلك أنا وجدنا المرئيات أجساماً وأعراضاً لا غير، وكلها محَدَثة والله سبحانه ليس بجسم ولا عرض ولا محدَث، فوجب أن لا يُرى، وقد قال تعالى ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٠٣] وقال تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣] فنفى الرؤية على جهة الاستغراق، وهذه المسألة في الحقيقة فرع على السابعة كما لمحنا إلى ذلك.

المسألة العاشرة: أن الله تعالى واحد لا إله غيره، أي لا مشارك له في إلاهيته، والدليل على ذلك أنه لو كان الله تعالى ثانٍ لأظهر صنعته وقدرته ودل على نفسه وأتتنا رسله ولكان يلزم الفساد في السماوات والأرض وما بينهما لاختلاف مراديهما إذْ أراد أحدهما فعلاً والآخر ضده ونحو ذلك، فلما انتفى ذلك كله علمنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقد قال تعالى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ..﴾[الإخلاص: ١، ٢] إلى آخر السورة، وقال تعالى ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] لتناقض مراداتهم و﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾[المؤمنون: ٩١]، فيميز صنعة كل واحد منهم، ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ بالقهر والغلبة ويعجز المغلوب، والعاجز ليس بإله لما تقرر أن الإله قادر

والغالب هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم القاهر.

الفصل الثاني

في العدل

ومعناه ما قال الوصي %: العدل أن لا تتهمه، وصدق %، فإن من اتهم ربه فلم ينزهه لم يصفه بعدل، وفيه عشر مسائل:-

المسألة الأولى: أن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل القبيح كالظلم والعبث، والدليل على ذلك أنه قد ثبت أن الله تعالى عالم بقبح القبيح غني عنه، وما هو غني عنه فلا يفعله ولأنه صفة نقص، وهو من صفات المحدثات والله تعالى لا يشبهها ولا يتصف بها، بل أفعاله كلها حسنة جارية على طبق الحكمة، وقد قال تعالى ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف:٤٩] وقال تعالى ﴿**مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ**﴾[النساء:١٤٧] الآية وغيرها.

المسألة الثانية: أن أفعال العباد حسنها وقبحها منهم لا من الله تعالى؛ لأنها خالصة ومنتفية بحسب اختيارهم وذلك معلوم بالضرورة، ولأنها لو كانت من فعله تعالى لما أمرهم بالطاعات ونهاهم عن المعاصي، كما أنه لم يأمرهم بالطول والقصر والألوان، لما كانت من فعله تعالى، ولكان ذلك قبيحاً؛ ولأن الله تعالى قد نسب أفعالهم إليهم فقال تعالى: ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[الصف:٢] و﴿**جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[السجدة:١٧] ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾[العنكبوت:١٧] وغيرها.

المسألة الثالثة: أن الله تعالى لا يقضي بالمعاصي.

[معاني القضاء]

والقضاء يطلق على معانٍ منها.

١- بمعنى الخلق كما قال تعالى ﴿**فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[فُصِّلَت:١٢].

٢- وبمعنى الإلزام كما قال تعالى ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ**﴾[الإسراء:٢٣].

٣- وبمعنى الإعلام كما قال تعالى ﴿**وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾[الإسراء:٤] ويجوز أن يقال الطاعة بقضاء الله تعالى بمعنى إلزامه لا بمعنى خلقه لها؛ لأن صحة الأمر بها والنهي عن تركها ينافي خلقه لها ضرورة، ولا يجوز أن تكون المعاصي بقضاء الله تعالى بمعنى خلقه؛ لأنه لو خلقها فيهم لم يحسن نهيهم ولا عاقبهم عليها، كما أنَّ ألوانهم لما كانت بفعله تعالى لم ينههم ولم يعاقبهم عليه، ولا يجوز أن يكون من قضائه بمعنى الإلزام؛ لأنها قبيحة وباطل والله تعالى لا يأمر بالقبيح والباطل، قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ**﴾[غافر:٢٠] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ..**﴾[النحل:٩٠] الآية وغيرها.

وإذا كان كذلك فلا يجوز إطلاق القول بالمعاصي بقضاء الله وقدره لما فيه من إيهام المعنى الفاسد.

تنبيه: فاعلم أنه يجب الجزم بأن الله تعالى لا يصد عن طريق الحق ولا يفعل ما يحول بين المكلّف وبينها، وما ورد في ظواهر الآيات الكريمة ما يوهم بذلك فهو من المتشابه، فيجب تأويله كما مر، ورده إلى قواطع المحكم المطابق لحجة العقل .

[معاني الهدى]

فالهدى يطلق على أحد معانٍ:

١- الدعاء إلى الخير كما قال تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[فصلت: ١٧].

٢- ومنها زيادة البصيرة والتنوير كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[محمد:١٧] .

٣- ومنها الثواب كما قال تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾[يونس:٩] .

٤- وبمعنى الحكم والتسمية كما قال الشاعر:

مـا زال يهـدي قومـه ويضـلنا

جهـراً وينسـبنا إلى الكفـار

فمعنى قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الصف:٧] أي لا يزيدهم بصيرة ولا يثيبهم ولا يحكم لهم بالهدى ولا يسميهم به ولا يجوز أن يكون بالمعنى الأول؛ لأنه رد لما علم من ضرورة الدين لدعاء الله تعالى الكفار وغيرهم.

[معاني الضلال]

والضلال يطلق على أحد معانٍ أيضاً.

١- منها الإغواء عن طريق الحق كما قال تعالى ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[طه:٨٥].

٢- ومنها الهلاك كما قال تعالى ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾[السجدة:١٠].

٣- ومنها العقاب كما قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[القمر:٤٧].

٤- وبمعنى الحكم والتسمية كما في البيت بمعنى قوله تعالى ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[إبراهيم:٢٧] أي يهلكهم أو يعذبهم أو يحكم عليهم أو يسميهم به، ولا يجوز أن يكون بالمعنى الأول إذ هو ذم لله تعالى وتزكية لإبليس وجنوده، وذلك كفر.

[معاني الفتنة]

والفتنة كذلك بمعنى:

١- المحنة لقوله ÷ «سيأتي من بعدي فتن متشابهة كقطع الليل المظلم فيظن المؤمنون أنهم هالكون فيكشفها الله بنا أهل البيت».

٢- وبمعنى الإختبار كقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[العنكبوت:٣].

٣- وبمعنى الإضلال كقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[الأعراف:٢٧].

٤- وبمعنى العذاب كقوله تعالى ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[الذاريات:١٣] ويجوز أن يفتن الله تعالى المكلفين أي يختبرهم بالتكاليف والشدائد ويفتن العصاة بمعنى يعذبهم لا بمعنى يضلهم عن طريق الحق؛ لأنها صفة نقص والله يتعالى عنها.

[معنى الختم والطبع]

والختم والطبع بمعنى التغطية وبمعنى العلامة، ولا يجوز أن يقال إن الله تعالى طبع على قلوب الكفار بمعنى غطا عليها، [قال] بعض العدلية ويجوز بمعنى جعل علامة،

والمختار أن الطبع والختم والعلامة والغشاوة والحجاب في مثل قوله تعالى﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[التوبة:٩٣] ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾[الجاثية:٢٣] ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[فُصِّلَت:٥] عبارة عن سلب تنوير القلب الزائد على العقل الكافي، شبّه تعالى سلب التنوير بالختم والطبع، وشبّه حالهم حيث لم يعملوا بمقتضى ما سمعوا وأبصروا بمن في أذنيه وقر وفي بصره غشاوة وبينه وبين الناصح حجاب لا تبلغ إليه نصيحته، والتزيين التحسين، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[الأنفال:٤٨] أي المعاصي، و﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[الأنعام:١٠٨] أي الطاعات زينها تعالى بما وعد عليها من الثواب والسلامة من العقاب.

والقضاء قد مر معناه في صدر المسألة.

[معاني القدر]

والقدر على أحد معانٍ:

١- منها القدرة والإحكام لقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩] أي كل شيء مخلوق لنا فهو تقدير منا.

٢- وبمعنى العلم كقوله تعالى ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾[الشورى:٢٧].

٣- وبمعنى القدرة كقوله تعالى ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[الرعد:١٧] وبمعنى الإعلام كقول العجاج:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر ... في الصحف الأولى التي كان سطر (١)

٤- وبمعنى الأجل كقوله تعالى ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[المرسلات:٢٢].

---

(١) في الأصل: التي كان ينتظر، وفي نسخة: التي كان سطر ولعلها الصواب والله أعلم.

٥- وبمعنى الحتم كقوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨] ويجوز أن يقال الواجبات بقدر الله بمعنى حتمه لا بمعنى خلقه، ولا يجوز أن يقال المعاصي بقدر الله تعالى بمعنى خلقها أو حتمها خلافاً للمجبرة.

[معاني قدَّر]

وقدّر مشدداً على معانٍ أيضاً:

١- منها بمعنى خلق كما في قوله تعالى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[فُصِّلَت:١٠].

٢- وبمعنى أحكم كقوله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢].

٣- وبمعنى بَيَّن، تقول قدر القاضي نفقة الزوجة.

٤- وبمعنى قاس، يقال قدرت ذاك على ذا.

٥- وبمعنى أفرض القول قدر ما شئت.

ويجوز أن يقال إن الله تعالى قدر الواجبات.

بمعنى فرضها وقدر الطاعة والمعصية بمعنى بينها، مقيداً لا بمعنى خلقها، خلافاً للمجبرة قالوا قال الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦].

قلت: يعني خلقكم والحجارة التي تعملونها أصناماً.

نعم وما كان من فعله تعالى فهو بقضائه وقدره، وعليه يحمل الحديث «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره» سمي شره شراً مجازاً لنفرة النفوس عنه كالأمراض والنقائص، والإيمان به اعتقاد أنه من الله تعالى بحكمة ومصلحة يعلمها.

واعلم أن المجبرة هم القدرية لقولهم أن المعاصي بقدرة الله تعالى، ونحن ننفي ذلك، والنسبة في لغة العرب من الإثبات لا من النفي، كما يقال ثنوي ولكثر لهجهم به، وقد صح عند أهل الإسلام قوله ÷ «القدرية مجوس هذه الأمة» وفي الحديث «وهم خصماء الرحمن وشهود الزور وجنود إبليس» وهذه الأوصاف صادقة عليهم، أما خصومة الرحمن فإذا احتج على العصاة قالوا أنت الذي خلقت فيهم العصيان، وأما شهادة الزور فإذا خاطب الله الشياطين بما أضلوا عباده قالوا أنت الذي أضللتهم، فلا يجدون شاهدا إلا هذه الفرقة ومن شابه قولها من المجوس، وأما كونهم جنود إبليس[1] فهم الذين يتعصبون له في قوله ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾[الأعراف:١٦] وقد قال ÷ «صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي وهم القدرية والمرجئة.

قيل: ومن القدرية؟ قال: قوم يعملون المعاصي ويقولون إنَّ الله قدرها عليهم.

قيل: ومن المرجئة؟ قال: الذين يقولون أنَّ الإيمان قول بلا عمل» وهذا صريح في أنهم هم القدرية، وقد روي غيره في هذا المعنى جنبنا الله الوبال ومراتع الضلال.

المسألة الرابعة: أن الله تعالى لا يكلف أحداً من عباده مالا يطيقه؛ لأنه قبيح، وقد ثبت أن الله تعالى لا يفعل القبيح، وقد قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦] والوسع دون الطاقة.

المسألة الخامسة: أنَّ الله تعالى لا يثيب أحد إلا بعمله ولا يعذبه إلا بذنبه؛ لأن إثابة من لا يستحق الثواب تعظيم له وهو قبيح لا يجوز على الله تعالى، وتعذيب من لا ذنب له قبيح أيضاً لأنه ظلم والله تعالى لا يجوز عليه القبيح والظلم بحال، وقد قال تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[النجم:٣٩] وقال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

(١) في نسخة: فلأنهم.

أُخۡرَىٰ﴾[الأنعام:١٦٤] وغيرها.

تنبيه: وحقيقة الثواب هي المنافع المستحقة على وجه الإجلال والتعظيم، وتخرج عنه الأعواض والتفضل فإنها حسنة عند كل عاقل وإن كانت لا تسمى ثواباً، وحقيقة العقاب هي المضار المستحقة على وجه الإهانة وتخرج عنها المضار النازلة على أولياء الله تعالى وعلى غير المكلف فإنها بحكمة ومصالح علمها الله تعالى ولا يسمى عقاباً.

المسألة السادسة: أن الله تعالى لا يريد شيئاً من معاصي عباده ولا يرضاه ولا يحبه لأن الرضا والمحبة يرجعان إلى الإرادة وإرادة القبيح قبيحة والله تعالى لا يفعل القبيح كما مر، ولو أراد تعالى منها شيئاً لما حسن تعذيبهم على فعلها، وقد قال تعالى ﴿**وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ**﴾[الزمر:٧] ﴿**وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ**﴾[غافر:٣١] ﴿**وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ**﴾[البقرة:٢٠٥].

المسألة السابعة: أن جميع الآلام التي لم تقع من فعل المخلوقين فهي من فعل الله تعالى بحكمةٍ وصواب، والدليل على أنها من فعل الله تعالى أنها من جملة الأعراض المحدثة ولم تكن من فعل المخلوقين فوجب أن تكون من فعل الله تعالى، وأما كونها بحكمة وصواب فقد ثبت أن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل الظلم والعبث فوجب الحكم بأن جميع أفعاله تعالى بحكمةٍ وصواب وإن لم يعرف وجه الحكمة كالاعتبار والتعريض على الصبر على البلاء وللعوض[1] منه تعالى وقد يكون تعجيل عقوبة لمن يستحقها قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ**...﴾ [الشورى:٣٠] الآية وغيرها.

المسألة الثامنة: أن هذا القرآن الذي بيننا كلام الله تعالى وقد علم ضرورة أن النبي ÷

(١) في الأم: والمعرض.

كان يخبر أنه كلام الله لا كلامه، وقد قال الله تعالى ﴿وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾[التوبة:٦] ولا شك أنه القرآن.

المسألة التاسعة: أن القرآن محدث لأنه مرتب منظوم، وما هذا شأنه يجب أن يكون محدَثاً وقد قال الله تعالى ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾[الأنبياء:٢] وغير ذلك.

المسألة العاشرة: أن محمداً ÷ نبيٌ صادق والدليل على ذلك أن المعجز وهو القرآن قد ظهر على يديه عقيب دعوى النبوة وذلك معلوم من الدين ضرورة، وقد تحدّى به فصحاء العرب فلم يأتوا بسورة من مثله فثبت أنه معجزٌ وأنه صادق لدعوى الرسالة من عند الله والله تعالى لا يصدق إلا صادقاً فثبت أنه ÷ نبي مرسل صادق الدعوى وأن ما جاء به حق لا شك فيه، وقد قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٣، ٢٤] وقد أيده الله تعالى بالمعجزات الواسعة ÷.

الفصل الثالث
في الوعد والوعيد

وفيه عشر مسائل:-

المسألة الأولى: أن من وعده الله تعالى بالثواب من المؤمنين فإنه متى مات على إيمانه صابراً إلى الجنة لا محالة ومخلداً فيها دائماً في ثواب لا ينقطع إجماعاً.

المسألة الثانية: أن من توعده الله بالعقاب من الكفار فإنه متى مات مصراً على كفره

صائراً إلى النار لا محالة ومخلداً فيها دائماً في عقاب لا ينقطع إجماعاً، والدليل على صحة ما ذهبنا إليه في هاتين المسألتين أن من المعلوم ضرورة أن النبي ÷ كان يدين بذلك ويخبر به وهو لا يدين إلا بحق ولا يخبر إلا بالصدق وقد قال تعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا...**﴾[البرية: ٦-٨] الآية وغيرها.

المسألة الثالثة: أن من توعده الله من الفساق بالنار ومات مصراً على فسقه غير تائب فإنه صائر إلى النار ومخلد فيها دائماً والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿**وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ**﴾[النساء:١٤] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ**﴾[الإنفطار: ١٣-١٦] وغيرها من الآيات العامة والخاصة بفساق أهل القبلة، فيجب القطع بصدق ما تناوله الوعد والوعيد لقوله تعالى: ﴿**مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[ق:٢٩] .

فإن قيل: قد خصصت عمومات الوعيد بأهل الصغائر وبالتائبين قطعاً لقوله تعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ..**﴾ [النساء:٣١] الآية ونحوها، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ..**﴾[طه:٨٢] الآية ونحوها.

قلنا: صحيح فيجب العمل بالخاص فيما تناوله وبالعام فيما بقي.

فإن قيل: دلالة العموم بعد التخصيص ظنية.

قلنا: لا نسلم وهلم الدليل، وليس إليه من سبيل، ولنا التبرع ببيان مسند المنع وهو أن يقال الأصل القطع في كلما جاء عن الله تعالى ورسوله لقوله تعالى ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ**﴾[الحشر:٧] وقوله تعالى ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ**

﴿أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣] ولم يفصل بين عام ولا خاص، وإنما خصص العمومات في مسائل الفروع الإجماع ومسائل الأصول باقية على حكمها، ودليل آخر وهو إجماع أهل البيت " على القول بخلود أهل الكبائر وإجماعهم حجة قطعية كما هو مذكور في مواضعه، بل هو حجة الإجماع.

فإن قيل قد قال تعالى **﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾**[الزُّمَر:٥٣] الآية وغيرها.

قلنا: مجمله وآيات التوبة مبينة والواجب الرجوع إلى المبين، أو مطلقة مقيدة بها والواجب الحمل على المقيد أو عامة مخصصة والواجب بناء العام على الخاص، وقد قال تعالى **﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾**[الزمر: ٥٧] وقال تعالى **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾**[الأعراف:١٥٦] وكذلك سائر الآيات الكريمة.

المسألة الرابعة: أن أهل الكبائر من هذه الأمة كشارب الخمر والزاني ونحوهما يسمون فسّاقاً ولا يسمون كفاراً خلافاً للخوارج، ولا يسمون مؤمنين خلافاً للمرجئة، حجتنا على الخوارج تحريم مناكحة الكفار والموارثة والدفن في مقابر المسلمين بخلاف الفساق وحجتنا على المرجئة أن المؤمن يستحق الثواب والتعظيم بخلاف الفاسق وقد قال تعالى **﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**[الأنفال:٢] الآيات ونحوها، وهذه ليست بصفة الكفار ولا الفساق.

المسألة الخامسة: أن شفاعة النبي ÷ لا تكون لمن يستحق النار من الكفار والفساق بل هي للمؤمنين ليزيدهم الله بها تشريفاً، والدليل على ذلك قوله تعالى **﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾**[غافر:١٨] والفاسق ظالم لنفسه لقوله تعالى **﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾**[الحُجُرات:١١] وقوله تعالى **﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾**[الأنبياء:٢٨]

وغيرها من الآيات، فيثبت بذلك أنها للمؤمنين خلافاً للمرجئة حجتنا عليهم ما مر، ويقال لهم ما تقولون هل يحسن من العبد سؤال الله تعالى أن يدخله في شفاعة النبي ÷ أم لا؟ فإن قالوا لا، خالفوا الإجماع، وإن قالوا نعم قلنا يلزمكم على مذهبكم أن يسأل الله تعالى أن يميته فاسقاً، فما بقي إلا أنها للمؤمنين.

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿**خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ**﴾[هود: ١٠٧]، وقال النبي ÷ «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

قلنا: معنى الاستثناء في الآية الكريمة إلا وقت الوقوف في المحشر، وأما الحديث فيجب طرحه والحكم بعدم صحته لمصادمة البراهين القطعية، وقد عورض بما رواه الحسن عن النبي ÷ أنه قال: «ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» ولأن صح وجب تأويله بالتائب جمعاً بين الأدلة ورداً للمظنون إلى المقطوع به، وقد قال تعالى ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾[النساء:١٢٣] والشفيع ولي ونصير.

المسألة السادسة: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان وعلى قدر الطاقة والإمكان إذا تكاملت شروطهما لقوله تعالى ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٥] وقوله تعالى ﴿**لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ**﴾[المائدة: ٧٨، ٧٩] وقوله تعالى حاكياً ومقرراً ﴿**وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ**﴾[لقمان:١٧] الآيات وغيرها من الآيات.

ولقوله ÷ «لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً جائراً

لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم» وقوله÷ «والذي نفسي بيده ليخرجن أقوام من أمتي من قبورهم على صور القردة والخنازير لما داهنوا من أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون» وقوله ÷ «لا يحل لعين ترا الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل» وقوله ÷ «ما من قوم يكون بين ظهرانيهم من يعمل بالمعاصي ولا يغيروا عليه إلا أصابهم الله بعقاب» إلى غير ذلك من الكتاب والسنة.

واعلم أن شروطهما التي يتحتمان عندها سبعة:-

الأول: التكليف لرفع القلم عن الصبي والمجنون.

ثانيها: القدرة عليهما لقوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

ثالثها: العلم بأن ما يأمر به معروفاً وما ينهى عنه منكراً عند الفاعل؛ لأنه لا يأمن أن ينهى عن المعروف ويأمر بالمنكر[1]، ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦].

ورابعها: أن يظن التأثير فإن لم[2] يظن حسن من باب الدعاء إلى الخير، ولقوله تعالى ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف: ١٦٤] إلاَّ أن يكون المأمور والمنهي جاهلاً للحكم وجب البيان؛ لأن تبليغ الشرائع واجب، ولقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩] الآية، وقوله ÷ «من كتم علماً مما ينفع الله به ألجمه الله بلجام من نار».

وخامسها: أن لا يظن أنهما يؤديان إلى مثلهما أو أنكر منهما وإلا لم يحسنا إذ يكون

(١) في الأم: أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: فإن يظن ، وما أثبتناه من نسخة أخرى ولعله الصواب.

كالإغراء، ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾[الأنعام:١٠٨] الآية.

وسادسها: أن لا يظن حصول ضرر على نفسه بسببها كقتل أو حبس وإلا سقطا لقوله تعالى ﴿وَلَا تُلۡقُوا۟ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٍ﴾[الحج:٧٨] وفي حسنها احتمالات أو تفصيل[١]، وتجب المباينة لأهل المعاصي لقوله تعالى ﴿فَلَا تَقۡعُدُوا۟ مَعَهُمۡ﴾[النساء:١٤٠] ويجب الإنكار بالقلب لقوله ÷ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

والسابع: أن يظن أنه إن لم يأمر بالواجب تُرك وإن لم ينه عن المحضور فعل وإلا لم يقتضيا[٢] وإن حسُنا من باب الوعظ والتذكير ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥].

فرع: ولا يكون إلا بقول رفيق فإن لم يتما به وقعت[٣] المدافعة عن فعل المحضور إلى حد القتل لإجماع العترة على وجوب إزالة المنكر بأي وجه، ولا يُخشِن إن كفى اللين، وأما الحمل على فعل الواجب بالإكراه فيختص بالأئمة إلا في الواجبات العقلية كرد الوديعة وقضاء الدين.

المسألة السابعة: أن الإمام بعد رسول الله ÷ بلا فصل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة والدليل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥] والمراد بالذين آمنوا في الآية أمير المؤمنين علي % لوقوع التواتر

(١) هكذا في الأصل، وفي المطبوعة بلفظ: وفي حسنهما احتمالان وتفصيل وعليها حاشية قال فيها.

(٢) في المطبوعة: وإلا لم يتضيقا.

(٣) في المطبوع: ولا يكونان إلا بقول رفيق فإن لم يتما به وجبت المدافعة.

بذلك من المفسرين وأهل التواريخ كما ذلك مذكور في الكتب البسيطة ولإطباق العترة " وشيعتهم رضي الله عنهم إنما نزلت في علي % لـمَّـا تصدق بخاتمه وهو راكع، والقصة مشهورة، والخبر مستفيض بين الأمة وإن كان لفظ ولي مشتركاً بين معانٍ فقد غلب في مالك التصرف بعرف الاستعمال وذلك معنى الإمامة ولو لم يغلب لوجب حمله على جميع معانيه الصالحة؛ لأن خطاب الحكيم لا يخرج عن الإفادة، ومن جملة معانيه ملك التصرف ولقوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧] وقوله تعالى ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[هود:١٧] لما جاء في التفسير من أنه % المراد بالهادي والشاهد وغيرها من الآيات.

وأما السنة فقوله ÷ يوم غدير خمّ «أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم لا آمر لكم معي؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» وهذا خبر متواتر مجمع على صحته عند الموالف والمخالف، ومن وقف على طرفٍ من علم الحديث علم صحة تواتره، وقد أورد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في الشافي في سند هذا الحديث ما يزيد على مائة طريق من صحيح البخاري ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن حنبل، ومناقب ابن المغازلي، وتفسير الثعلبي وغير ذلك، وهو مفيد لمعنى الإمامة على قواعد كل مذهب؛ لأن القرينة اللفظية في أول الحديث وآخره مفيدة لمعنى الإمامة وملك التصرف ومما يدل على إمامته % قول النبي ÷ له «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وهذا الحديث أيضاً متواتر مجمع على صحته عند الموالف والمخالف، من الكتب المشهورة الصحيحة عند المخالفين أربعون إسناداً غير رواية الشيعة وأهل البيت "، ذكره المنصور بالله %، ثم قال: والخبر مما علم ضرورة، وقال الحاكم أبو القاسم الحسكاني رحمه الله وهذا حديث المنزلة الذي كان

شيخنا أبو حازم يقول خرجته بخمسة آلاف إسناد وقد دل على إمامة أمير المـؤمنين% دلالة واضحة؛ لأنه أثبت له جميع ما لهارون من موسى إلا النبوة، ومن جملتها الخلافـة كما قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾[الأعراف:١٤٢] وقـال ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَـٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾[طه:٢٩، ٣٢] لا يقال إنما يفيد ذلك لو عاش هارون بعد موسى %، لأنا نقول لـو عـاش لثبتـت لـه المنزلة قطعاً لقوله تعالى ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾[طه:٣٦] ولبقاء الأهلية، ومما يدل على إمامته % حديث الوصاية وقـد صـح إجماع العـترة " عـلى أنـه ÷ أوصى إلى عـلي % وإجماعهم حجة قطعية مع أن أخبار الوصاية قد بلغت في الشهرة قريب التـواتر، روى ذلك المنصور بالله % من ست طرق، واستدل على ذلك من جهة الشرـع أن الله تعـالى أوجب الوصية وحث عليها جميع المسلمين وكيف يجوز أن يخل ÷ بأمرٍ أوجبه الله عـلى سائر المسلمين، فإذا صحت وصايته لم يصح أن يكون الإمـام غـيره مـع وجـوده؛ لأن معظم الوصاية في أمته ÷ الذين هو أولى بهم من أنفسهم، وإقامة من يقوم مقامه فـيهم إذ لا يجوز أن يتركهم هملاً يضطربون ويختلفون من دون أن يبين لهم من إليه يرجعون، وقد قال تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة:٣] وأين الكمال إن تركهم يحتـارون مـع علمه أن الآراء لا تتفق وأن القلوب لا تتحد وأن الفتنة منتشرة حاشا الله ورسوله بـل قد تركنا على بيضاء واضحة، وغرّاء لائحة، ليلها كنهارها، وقد بيَّن مـا هـو دون هـذه المسألة بدرج بعيده فما ظنك بهذه المسألة التي هي مـن أمهـات مسـائل أصـول الـدين وعليها تدور رحى الإسلام، والشرائع والأحكام، بل قد بينها أوفى بيـان، ونـوّه بـذكر خليفته الوصي % في كل أوانٍ، في مواقف عديدة ومدة مديدة، كقوله ÷ «وأبوهما خيرٌ منهما» وكحديث البساط، والعمامة، والراية، والرمانة، والطـائر، والسـطل، والعقيـق، والكوكب، وقل هو الله أحد، وحديث «لو أن الغياظ أقلام» وخبر المواخاة، والأخبار

الدالة على عصمته%، والخبر المروي في قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤] وقصة براءة، وفتح خيبر، والموارثة، والأخبار الدالة على أنه سيد العرب، وأنه خلق من نور النبي ÷ و«علي مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي» وحديث المناشدة، وأحاديث الإثنى عشر من الصحابة وغير ذلك، وأن من الأدلة على إمامته % بعد رسول الله÷ بلا فصل ما تواتر معناه من الأخبار المصرحة بالإمامة من رواية الموالف والمخالف مالا تسعه هذه الأوراق، وإن تعامى عنه من تعامى،

وليس يصح في الأذهان شيٌ

إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وناهيك أنه % في محاسن أخلاقه وخلائقه وفواضله وفضائله قد فاق الكل من الصحابة كما قال الشاعر:

ولو لم يكن نصاً لقدمه الفضل

وأما الإجماع فقد انعقد إجماع أئمة أهل البيت " على أنه الإمام بعد رسول الله÷ بلا فصل وإجماعهم حجة قاطعة كما ثبت ذلك في موضعه.

المسألة الثامنة: أن الإمام بعد علي % ابنه الحسن %.

المسألة التاسعة: أن الإمام بعد الحسن % أخوه الحسين × والدليل على ذلك صحة ما ذهبنا إليه في هاتين المسألتين من أربع جهات:-

أحدها: قول النبي ÷ «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما» وهذا الخبر مما أجمعت عليه الأمة[1] وهو نصٌ صريح في إمامتهما ×.

---

(١) في المطبوع: العترة.

ثانيهما: أن كل واحد منهما قام ودعا وهو جامع لخصال الإمامة ومستحقها[1] بل زادا × على الأئمة من أولادهما بالعصمة وغيرها من الفضائل.

ثالثها: إجماع العترة " على إمامتهما × بعد أبيهما وإجماعهم حجة .

رابعها: أنهما أفضل الأمة بعد أبيهما بإجماع العترة وأكملها علماً وعملاً وورعاً ونجدة، وغير ذلك مما يوجب لهما الإمامة من العقل والنقل بما لا يحتمله هذا الموضوع وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك.

المسألة العاشرة: أن الإمامة بعد الحسنين في سائر العترة " فقط من قام ودعا من أولاد الحسنين وهو جامع لخصال الإمامة، والدليل على حصرها فيهم الكتاب والسنة والإجماع وحجة العقل.

أما الكتاب: فقوله تعالى ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:١٢٤] ولم تقع العصمة بعد أهل الكساء إلا لجماعة العترة " فكانوا أهلاً للإمامة بتأهيل الله تعالى لهم، وهذه الآية دالة على إمامة العترة " كما هي دالةعلى إمامة علي % والحسنين؛ لأنه قد ثبت أن الأفضل أولى بالإمامة من المفضول، وقوله تعالى ﴿**لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ**﴾[الحج:٧٨] أي ولاةً وحكاماً على الناس كما كان الرسول ÷ كذلك، وقوله تعالى ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[فاطر:٣٢] وهاتان الآيتان مختصتان بالعترة "، والسابق بالخيرات هو الإمام الشاهر سيفه في جهاد أعداء الله تعالى، وقوله تعالى ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[النساء: ٥٩] والمراد بأولي الأمر هم الذين قد علمتموهم بصفاتهم التي لا تخفى عليكم على لسان

(١) في المطبوع: فاستحقها.

نبيكم ÷؛ لأن الله تعالى لا يأمر إلا بطاعة معلومة.

وروى الناصر % عن جعفر ابن محمد % لما سأله أبو مريم عن ذلك فقال: هم علي والحسن والحسين وذريتهم "، ذكر ذلك أبو القاسم البستي في كتابه الباهر، وقوله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف:١٠٨].

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده إلى جعفر بن محمد × قال: هي ولايتنا أهل البيت لا ينكرها أحد إلا ضال، ولا ينتقص علياً إلا ختالاً[(١)].

وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الطور:٢١]، وقوله تعالى ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ﴾[الأنفال:٧٥] وغيرها من الآيات.

وأما السنة: فمثل خبري السفينة «وإني تارك فيكم» وقوله ÷ «فمن قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال» «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم» «من أمر بمعروف ونهى عن منكر من ذريتي فهو خليفة الله وخليفة كتابه وخليفة رسوله» «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين»، «قدموهم ولا تقدموا عليهم» وقد سبقت الإشارة إليها وإلى غيرها من رواية الموالف والمخالف مما تواتر معنىً وأفاد الإمامة قطعاً.

وأما الإجماع: فقد انعقد إجماع طوائف الأمة على صحة الإمامة في العترة فثبتت لهم وما يدعيه بعض الطوائف من صحتها في غيرهم باطل مردودٌ.

أما أولاً: فلأنها لا تكون إلا بدليل شرعي وإذن من الله تعالى لمن يقوم بها ولم يأذن

(١) في المطبوعة: ولا ينتقص علينا إلا ختال.

بها لغير العترة، ومالا دليل عليه باطل مردود، وقد قال تعالى ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ**﴾[الإسراء:٣٦] وقال ÷ «كل ما ليس عليه أمرنا فهو رد» أو كما قال، فإن قيل قد قال رسول الله ÷ «الأئمة من قريش» **قلنا**: هذا الحديث غير صحيح لقول عمر بمحضر من الصحابة، لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً ما شككت فيه، وسالم غير قريشي مع أنه آحادي، والمسألة قطعية، وإن سلم فمجمل بينته الأدلة القطعية القاضية بحصرها في العترة إذ هم الخيار من قريش يزيده بياناً قول الوصي % الأئمة من قريش في هذا البطن من هاشم وقوله حجة.

فأما ثانياً: فلأن من ثمرة الإمامة إقامة الحدود والإكراه على أخذ الحقوق وغير ذلك مما حظرته الأدلة على غير الأئمة فكانت تلك الأدلة مانعة من اقتحام منصبها إلا لمن قام الدليل القاطع على صحتها فيه.

وأما ثالثاً: فلإجماع العترة ، والمعلوم على حصر الإمامة فيهم دون غيرهم وإجماعهم حجة قطعية كما تكرر ذلك مؤيداً بالأدلة الشرعية.

وأما حجة العقل: فهي أن الله بعث الرسل لحاجة الخلق إليهم، والإمامة فرع النبوة فلا يجوز أن تكون بعد[1] النبوة إلا في موضع مخصوص معروف للخلق وإلا لفسد التدبير وضاع الخلق، وكما أن النبوة لا تكون إلا في أرفع المواضع وأشرفها فكذلك الإمامة لا تكون إلا في أرفع المواضع وأشرفها وهو معدن الرسالة ليكون أقطع للحجة، وأبلغ في المعذرة، والأقرب إلى النبي ÷ من أولاده وذريته مع ما خصهم الله تعالى من الشرف والفضل فكانوا أحق بالإمامة من غيرهم، وفي هذا القدر كفاية، والأدلة على ذلك كثيرة مذكورة في الكتب البسيطة، وأما خلاف ابن الراوندي أنها

(١) في المطبوعة: بعث.

تستحق بالميراث فلا يعتد به لما اشتهر عنه من الزندقة؛ ولأنه قول حادث قد سبقه الإجماع، ولأن العباس رضي الله عنه لم يدعها بل قال للوصي % أمدد يديك أبايعك، وأما دعوا الإمامية اختصاصها بالمعنيين من أولاد الحسين بالنص فباطلة إذ لا نص فيما عدا الثلاثة المعصومين وإلا لوجب اشتهاره؛ لأنه مما تعم به البلوى علماً وعملاً ، أو الإجماع على وجوب اشتهار ما شأنه كذلك كالصلاة ولأن المدعى لهم النص من أولاد الحسين " لم يدعوا ذلك، ولأنه مذهب موضوع في أيام المأمون وقد سبقه الإجماع ولا يلتفت إليه.

فصل

وشروط صاحبها أربعة عشر شرطاً:

وذلك أن يكون بالغاً، عاقلاً، ذكراً، حراً، علوياً، فاطمياً لما مر ، عالماً، مجتهداً لقوله تعالى ﴿**أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلَّا أَن يُهْدَىٰ**﴾[يونس:٣٥] ولإجماع الصدر الأول على ذلك وربما لقوله تعالى ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:١٢٤] ولإجماع من يعتبر به على اشتراطه فاضلاً لقوله ÷ «من ولىَّ رجلاً وهو يعلم أن غيره أفضل منه فقد خان الله في أرضه» ولإجماع الصحابة، فإن من عرف ما وقع في أيام أبي بكر وعمر وعثمان وحديث المناشدة علم ذلك قطعاً.

شجاعاً ليتمكن من تدبير الحروب عند فشل الجموع لئلا يحطم جيوش المسلمين.

قوياً على تدبير الحروب بحيث يكون أكثر رأيه الإصابة لئلا تنتثر أمور المسلمين.

سخياً يضع الحقوق في مواضعها؛ لأن خلاف ذلك حيف وسقوط عدالة، سليم

الحواس والأطراف الذي[1] يختل القيام بثمرة الإمامة عند فقدها وعن المنفرات بحيث يتمكن من مخالطة الناس.

لم يتقدمه [إمام] [2] مجاب كامل في عصره لقوله ÷ «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

واعلم أنه لا طريق لمن يقوم بها إلا الشرع، قال الأئمة الزيدية وشيعتهم هو النص التفصيلي في علي وولديه " والنص الجملي في أولادهم وإجماعهم أيضاً حجة على أن من دعا الناس إلى نصرته والجهاد معه وهو جامع لشروط الإمامة صار إماماً تجب طاعته، وقد أجمعت الأمة على اعتبار معنى الدعوة الذي ذكرناه في حق الإمام إلا أصحاب النص وقد بطل قولهم فتعين الحق في قول من عداهم، ولا دليل يدل على اعتبار أمر زائد على الدعوة من العقد والاختيار والإرث والجزاء والقهر والغلبة، ومالم يقم عليه دليل لم يجز إثباته لما مر؛ ولأنه يفتح باب الجهالات فهذه ثلاثون مسألة في أصول الدين على قواعد آبائنا أهل البيت الأكرمين وشيعتهم الراشدين يجب المصير فيها إلى العلم اليقين ولا يجوز التقليد فيها لأحدٍ من المكلفين، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

(١) في الأصل: بياض وأثبت من المطبوعة.

(٢) في الأصل: سقطت كلمة إمام.

الباب الرابع
في ذكر شيء من مسائل الفقه معتمدة على أئمتنا" ومختارة عندنا منها مسألة الأذان بحيَّ على خير العمل

اعلم أن التأذين بحيى على خير العمل مذهب العترة " قاطبة والحجة في إثباته ما روي عن علي % قال: سمعت رسول الله ÷ يقول «اعلموا أن الله تعالى جعل خير أعمالكم الصلاة وأمر بلالاً أن يؤذن بحيَّ على خير العمل».

وروى القاسم عن النبي ÷ أنه أمر بالتأذين بحيَّ على خير العمل.

وروى محمد بن منصور في كتابه الجامع بإسناده عن رجال مرضيين عن ابي محذورة قال: أمرني رسول الله ÷ أن أقول في الأذان حيَّ على خير العمل.

وروى نافع عن ابن عمر أنه زاد في أذانه حيَّ على خير العمل.

وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن علي بن الحسين % أنه كان يؤذن فإذا بلغ حيَّ على الفلاح قال: حيَّ على خير العمل.

وروى زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين × أنه كان يقول في أذانه حيَّ على خير العمل.

قال الهادي %: وقد صح لنا أن الأذان بحي على خير العمل على عهد رسول الله ÷ يؤذنون بها ولم تطرح إلا في زمان[1] عمر بن الخطاب، وأنه أمر بطرحها، وقال إني

(١) في نسخة: زمن.

أخاف أن يتكل الناس على ذلك، قال فإنه ÷ علمه ليلة الإسراء لا كما يقول الجهال أنه رؤياء رآها بعض الأنصار فلا يقبله العقل، ومن الروايات ما في كتاب الشفاء ما لفظه: الصحيح أن الأذان الشرعي شرع بحيَّ على خير العمل لأنه أذن به يوم الخندق، ولأنه دعا إلى الصلاة خير أعمالكم الصلاة.

قال صاحب فوج مكة[1]: أجمع أهل هذه المذاهب على التعصب في ترك الأذان بحيَّ على خير العمل. انتهى.

ومن ذلك ما أجاب به أبو بكر المقري قال في تذكرة الحفاظ: هو ثقة علامة، قال حدثنا الطحاوي، قال حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن داود البغدادي، قال فيه الذهبي في تذكرة الحافظ حسن الحديث، قال حدثنا أبو عاصم، قال حدثنا ابن جريج، قال أخبرني عثمان بن السايب وقد وثقه الذهبي في الكاشف، قال أخبرني أبي عن عبد الملك ابن أبي محذورة عن أبي محذورة الصحابي الجليل، قال علمني رسول الله ÷ الأذان كما يؤذنون الآن، وذكر تلك الكلمات ومنها حيَّ على خير العمل، وذكر نحو هذا المحب الطبري في كتاب (الأحكام الكبير) عن أبي أمامة بن سهل البدري، وذكره عنه سهيل بن منصور[2] في سننه وقد ذكر الحافظ البيهقي في سننه وهو صاحب التصانيف الجليلة عن محمد بن سيرين عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك في أذانه وذكر روايات أخر عن ابن عمر قريباً من هذا، ورويناه أيضاً عن علي بن الحسين أنه كان يقول في أذانه إذا قال حيَّ على الفلاح قال حيَّ على خير العمل ويقول هو الأذان الأول، وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة، قال حدثنا حاتم بن إسماعيل وهو ثقة من رجال البخاري ومسلم عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد الباقر ومسلم بن يسار المزني وهو ثقة من رجال البخاري أن علي

---

(١) في المطبوعة: فتوح مكة.

(٢) في المطبوعة: سعيد بن منصور.

بن الحسين كان يؤذن فإذا بلغ حيَّ على الفلاح قال: حيَّ على خير العمل، ويقول هو الأذان الأول أذان رسول الله ÷، وغير ذلك من الروايات، وقد روى سعد الدين التفتازاني في حاشيته على شرح العضد أن حيَّ على خير العمل كان ثابتاً على عهد النبي÷ وأن عمر هو الذي أمر أن يكف عن ذلك مخافةَ أن يتثبط الناس عن الجهاد ويتكلون[1] عن الصلاة، وهذا اجتهاد منه لا حجة؛ مع أنه لا ينبغي هذه الرواية؛ لأن الاجتهاد لا يرفع شريعة.

وأما قول البيهقي في باب آخر بعد ما تقدم أن بلالاً كان يؤذن بها ثم أمره ÷ أن يجعل مكانها الصلاة خير من النوم فقد قال في كتاب (شرح السنة) لزين الإسلام محمد بن الحسن بن مسعود روايات التثويب عن أبي محذورة وحكى ما رواه بلال حتى قال: وإسناده ضعيف، وفيما ذكرناه كفاية في ثبوت التأذين بحيَّ على خير العمل، ورواياته في كتب أهل البيت " ومن تبعهم شاهرة ظاهرة، واحتج مخالفونا بأنه لم يذكر في ابتداء الأذان، وبقول[2] علي بن الحسين % هو الأذان الأول، فإنه أفاد أنه منسوخ وبأمر[3] عمر بتركه.

قلنا: قد ثبت بالروايات الصحيحة من روايات العترة " وشيعتهم وغيرهم، وإن سلم أنه لم يذكر ابتداء فقد ذكره ÷ بعد، لا يقال لو كان منهما لم يهمل في مقام التعليم؛ لأنا نقول قد صح ثبوته إمّا ابتداءً أو زيادة من جهة الشارع وهو يجب قبولها كالزيادة في صلاة الحضر وغير ذلك.

وأما قول علي بن الحسين فيعني الأول، قبل أمر عمر بتركه، وأما أمر عمر فإنما كان

---

(١) في الأصل: وينكبون، وما أثبتناه من المطبوعة.

(٢) في الأصل: ويقول، وما أثبت من المطبوعة وهو الصواب.

(٣) في الأصل: ويأمر، وما أثبت من المطبوعة وهو الصواب.

استصلاحاً وليس ذلك بحجة ولا يفتسخ[1] حكماً شرعياً بقول صحابي.

وأما إجماع العترة" فهو حجة كما ثبت بالقواطع من الأدلة ولا يتأتا إجماعهم على خلاف المشروع بل هم أعرف بما كان عليه جدهم المختار ÷، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه، ولا يسع المتمسك بهم مخالفته والله ولي التوفيق.

[مسألة الجهر ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

ومنها مسألة الجهر بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في الصلاة الجهرية، أجمع العترة " على شرعيتها لما روى النعمان بن بشير عن رسول الله ÷ قال: «أمَّني جبريل % عند باب الكعبة فجهر بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» حكاه في الانتصار.

وروى ابن عباس عن النبي ÷ أنه جهر بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وروى أبو هريرة عن النبي ÷ قال: «أمَّني جبريل % عند البيت فجهر بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: صليت خلف رسول الله ÷ فجهر بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ÷: «كل صلاة لا يجهر فيها بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فهي آية يختلسها الشيطان» حكاه في الشفاء.

وروى الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان % عن الإمام الهادي إلى الحق% يرفعه إلى علي % بإسناده قال: من لم يجهر بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقد أخدج

(١) في المطبوعة: ولا ينسخ.

صلاته.

وروى محمد بن منصور بإسناده عن أمير المؤمنين وعن محمد بن علي وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومحمد وإبراهيم ابني عبد الله وأبيهما عبد الله بن الحسن وعبد الله بن موسى بن عبد الله وعن أحمد بن عيسى " الجهر ببِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فيما يجهر به القرآن، حكاه المتوكل على الله في أصول الأحكام، وفيه عن جابر بن حبان وجابر بن زيد قالا: دخلنا على ابن عمر فصلى بنا الظهر والعصر ثم صلى بنا المغرب فجهر ببِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في كلتا السورتين فقلنا: قد صليت بنا صلاةً ما تُعرف بالبصرة، فقال ابن عمر: صليت خلف رسول الله ÷ فجهر ببِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في كلتا السورتين حتى قبض، وصليت خلف أبي بكر فلم يزل يجهر بها في كلتا السورتين، وصليت خلف أبي عمر فلم يزل يجهر بها حتى هلك، وأنا أجهر بها ولا أدعها حتى أموت، وفيه عن جابر قال: قال رسول الله ÷: «كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة، قال: أقول الحمد لله رب العالمين، قال: قل بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وفيه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس الحمد كم آية؟ قال: سبع آيات، قال: قلت وأين السابعة؟ قال: بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وفيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر:٨٧] ثم قال: هي فاتحة الكتاب، ثم قرأ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال: هي الآية السابعة، وروي الجهر عنه، وعن ابن الزبير وعامة الصحابة.

وروى الدارقطني عن ابن عمر قال: صليت خلف رسول الله ÷ وأبي بكر وعمر فكانوا يجهرون ببِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وفي رواية الحاكم عن أنس بنحوه، وزاد وخلف عثمان.

وروي عن أنس أن معاوية قدم المدينة فصلى صلاة فقرأ بِبِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ في أول الفاتحة ثم تركها لما قرأ السورة الثانية فلما فرغ ناداه المهاجرون والأنصار من كل مكان أسرقت الصلاة يامعاوية أم نسيت؟ أين بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟

قال الترمذي: في شرح المنهاج: ورواه الدارقطني والحـاكم، وذكـر مـا ذكـر هاهنـا وزاد، فلما صلى بعد ذلك قرأها، واحتج مخالفونا بما رووا عـن أنـس كـانوا لا يجهـرون ببِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ورواية عبد الله بن المعقل لم أسمع أحداً يقولهـا، وخـبر أبي مسعود ما جهر رسـول الله ÷ في مكتوبـة، وقـول ابـن عبـاس كنـا نقـول هـي قـراءة الأعراب.

قلنا: إن صحة هذه الأخبار فتحمل على الصلاة السرية جمعاً بـين الأخبـار والأدلـة وأنه ÷[1] يجهر بها كجهر القراءة بل دونه أو على أنه لم يحصـل في الفاتحـة كليـة السـماع لمخالطتها تكبير المؤتمين، ثم إن أحاديثنا أرجـح لتضـمنها الزيـادة والإثبـات ولم تنكـر ولإنكار المهاجرين والأنصار على معاوية ترك البسملة مـع السـورة، ولإجمـاع العـترة وإجماعهم حجة كما مر؛ ولأنه قد أجمع المسلمون على إثباتهـا في كـل سـورة وعـلى أنهـا [بعض] آية من كتاب الله تعالى في (طس) وعلى أنه يجوز أن يقرأ المصلي ما شاء مع فاتحة الكتاب فثبت بذلك ما قلناه والحمد لله رب العالمين.

[مسألة تكبير الجنازة]

ومنها مسألة تكبير الجنازة، المختار عندنا أنها خمس تكبـيرات، وهـو مـذهب العـترة جميعاً وأبي ذر، وزيد بن أرقم، وحذيفة، وربيعة، ومحمـد بـن الحنفيـة، وابـن أبي لـيلى، لفعله ÷، وقد قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

---

(١) في المطبوعة: لم يجهر.

وعن حذيفة بن اليمان أنه كبر على جنازة خمساً ثم التفت إلينا وقال: ما وهمت ولا نسيت ولكني كبرت كما كبر رسول الله ÷.

وعن زيد بن أرقم أنه صلى على جنازة فكبر خمساً فسئل عن ذلك فقال: هذه سنة نبيكم، ومثله في أصول الأحكام للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان % من طريق جابر بن عبد الله الحضرمي وفيه عن يحيى بن عبد الله التيمي قال: صليت مع عيسى مولى حذيفة على جنازة فكبر عليها خمساً ثم التفت إلينا وقال: ما وهمت ولا نسيت لكني كبرت كما كبر رسول الله÷.

وفيه عن حصين بن عامر قال: قال لي أبو ذر يا حصين بن عامر إذا أنا مت فاستر عورتي وأنقِ غسلي وكفني في وتر وكبر عليَّ خمساً وسلني سلاً وربع قبري تربيعاً.

وفيه عن علي % في الصلاة على الميت قال: يبدأ في التكبيرة الأولى بالحمد والثناء على الله تعالى، وفي الثانية بالصلاة على النبي÷، وفي الثالثة بالدعاء لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، وفي الرابعة بالدعاء للميت والاستغفار له، وفي الخامسة يكبر ثم يسلم،

دلت الأخبار على أن التكبيرات خمس وما رواه مخالفونا من الأحاديث الدالة أنه÷ كبر أربعاً فالمراد به غير تكبيرة الافتتاح جمعاً بين الأخبار ولأن أخبارنا أشهر.

وذكر المولى سيف الإسلام في هذه رسالة لمولانا الإمام نافعة في دفع مقالة من قال أنه لا يجب دفع الواجبات إلى الإمام إلا حيث تنفذ أوامره أجاب بها على السيد العلامة محمد بن عبد الله المرتضى، وقد أثبتناها في الجزء الأول من السيرة الإمامية فأغنى عن إعادتها في هذا الموضع تكرار وتطويل فمن أراد الوقوف عليها فقد نبهناه على ذكرها فليراجع إلى الجزء الأول يجدها كاملة مفيدة، قال بعد ذلك:

خاتمة

اعلم أن الحكمة من الله تعالى بخلق هذه الدار دار الهموم والأكدار وذكر الأحزان والأخطار والتقلب والانتقال والفناء والزوال هي البلوى والاختبار ليقع من المكلفين التفكر والاعتبار، والعلم والعمل، والاصطبار والعبادة الخالصة الموصلة إلى السعادة الأبدية في دار القرار ومساكن الأبرار ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، كما تكرر ذلك في آيات القرآن العظيم ولسان النبي الكريم، قال الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٦-٥٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[الكهف: ٧، ٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[الملك: ٢] وقد ذم الله تعالى الدنيا وحذر عنها وعن الميل إلى بهجتها والاغترار بزخرفها، ونوّه بمقتها وكشف عن حقيقتها، وأن الحكمة لخلقها التوصل إلى النعيم الدائم في غيرها وسماها متاع الغرور ودار اللهو واللعب، وضرب فيها الأمثال على تعداد أنواعها كما قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[الكهف: ٤٥] .

قال صاحب الكشاف رضي الله عنه: شبه حال الدنيا في نضرتها[1] ومهجتها وما يتبعها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن.

وفي الحديث «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ÷ يقول: «أيها الناس إن هذه الدار دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء، ألا وإن الله تعالى خلق الدنيا دار بلوى لا دار عقبى فجعل الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً فيأخذ ليعطي وليبتلي ليجيزي، إنها لسريعة الزوال، وشيكة الانتقال، فاحذروا رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا لعمل في دارٍ قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد منكم اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين، ولعقوبته مستحقين» رواه الشريف أبو القاسم زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمي في الأربعين.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ÷: «مالي وللدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ÷ يقول: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم» أخرجه الترمذي.

وأخرج الترمذي من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ÷: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقا كافراً منها شربة».

وعن علي % قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل» أخرجه البخاري.

---

(١) في الأصل: تصرفها، وما أثبتناه من المطبوعة.

ومن كلام الوصي % قوله: «هو الذي أسكن الدنيا خلقه وبعث إلى الجن والإنس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم عن[1] اقترابها وليضربوا لهم أمثالها وليبصروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبرٍ من تصرم مصاحها وانتقامها وحلالها وحرامها وما أعد للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونارٍ وكرامةٍ وهوانٍ» رواه عنه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة % في كتابه (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) فعلى العاقل إن كان لبيباً أن ينظر لنفسه النجاة في يوم يجعل الولدان شيباً، ومجمع للنجاة في العلم النافع والعمل الخالص، فقد قال ÷: «الناس كلهم هلكاء إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكاء إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكاء إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم» هذا حديث معلق ووجه الخطر، ما أشار إليه ÷ في الحديث الآخر وهو قوله «حراسة العمل أشد من العمل»، والحراسة إنما تكون بالاحتراس عن المحبطات الظاهرة والباطنة من حصائد الجوارح والقلوب بعد إحراز العقيدة الصحيحة ثم العلم والعمل فإنما تتم النجاة إن علم فعمل فأخلص فحرس ذلك العمل عما يبطله من الآفات.

واعلم أن تعلم أحكام الشريعة والتفقه في الدين أمرٌ واجب وفرض لازب، وذلك ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: فرض عين يجب معرفته على كل مكلف، وذلك القدر الذي لابد منه من أصول الدين كما مر، ويلحق بذلك تعلم أحكام الصلاة والصوم وجميع العبادات المتعلقة بالمكلف مثل أحكام الحج لمن استطاع، وأحكام الزكاة لمن وجد النصاب، وغيرها مما يتعلق بالمكلف فعلاً وتركاً ليعلم أنه قد امتثل ما أمر به بشروطه وفرضه واجتنب عما يفسده ويبطله وخرج من عهدة التكليف به، ويلحق بذلك أيضاً تعلم أحكام المعاملات التي يريد الدخول فيها مثل التجارة، والنكاح، والطلاق، وغير

---

(١) في المطبوعة: من خرابها.

ذلك؛ لأنه لا يأمن الوقوع فيما هو محظور، أو الإخلال بما هو به مأمور، فقد جاء في الحديث عن النبي ÷ «من اتجَّر ولم يتفقه فقد ارتطم في الرباء ثم ارتطم».

والقسم الثاني: فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، وذلك مثل علوم الاجتهاد وأحكام الشريعة التي لا تعلق للمكلف بها؛ لأن حفظ الشرائع واجب، ولقوله تعالى: ﴿**لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ**﴾[الأنعام: ١٩] وقوله تعالى: ﴿**فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ**﴾[التوبة: ١٢٢] وقوله ÷: «ليبلغ الشاهد الغائب» وغير ذلك.

واعلم أنه لا فرق بين فرض العين وفرض الكفاية في الابتداء لتعلقه[(١)] بجميع المكلفين وإنما يفترقان في الانتهاء أعني عند قيام البعض به والكفاية فيه.

اللهم أكفنا ما أهمنا في الدنيا والدين، واجعلنا من عبادك المخلصين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله المنتجبين المطهرين. انتهت الرسالة الفائقة الرائقة المشتملة على مهمات العلوم، ومحاسن ما أخلصته القرائح والفهوم، أبقى الله منشئها ومن أنشئت نيابة عنه وجزاهما عن المسلمين والإسلام أفضل من ما جزى من بلغ الشرائع، وأعلن الحق والمنافع، وجعل سعيهما مشكوراً وعلمهما حميداً مبروراً.

---

(١) في المطبوعة: لتعلقهما.



القسم الثالث

اجتهاداته عليه السلام وأنظاره وفتاويه

ويحتوي على الآتي:

١ - فصل في حكم تبييت الكفار وفيهم من لا يجوز قتله كالطفل والمرأة ويشمل الآتي:

- سؤال ورد إلى فقهاء ضحيان.

- جواب العلامة الكبسي بأمر الإمام عليه السلام.

- زيادة القاضي الشرقي على جواب الكبسي.

- جواب الإمام عليه السلام وتذييله للأجوبة السابقة.

- كتاب القاضي محمد بن صلاح مشحم إلى الإمام عليه السلام.

- جواب الإمام عليه السلام على اعتراض بعض الفقهاء.

- جواب السيد العلامة أحمد الكبسي على اعتراض المعترضين.

٢- جواب الإمام عليه السلام في وجوب تسليم الواجبات إليه والرد على المخالفين.

٣- رسالة الإمام عليه السلام في وجوب تسليم الزكاة إليه حيث تنفذ أوامره وحيث لا تنفذ.

٤- جواب الإمام عليه السلام على السيد العلامة حاكم وادعة.

٥- أجوبة الإمام عليه السلام على عدة أسئلة وردت إليه.

٦- مذاكرة القاضي العلامة أحمد المجاهد بعثها إلى الإمام عليه السلام.

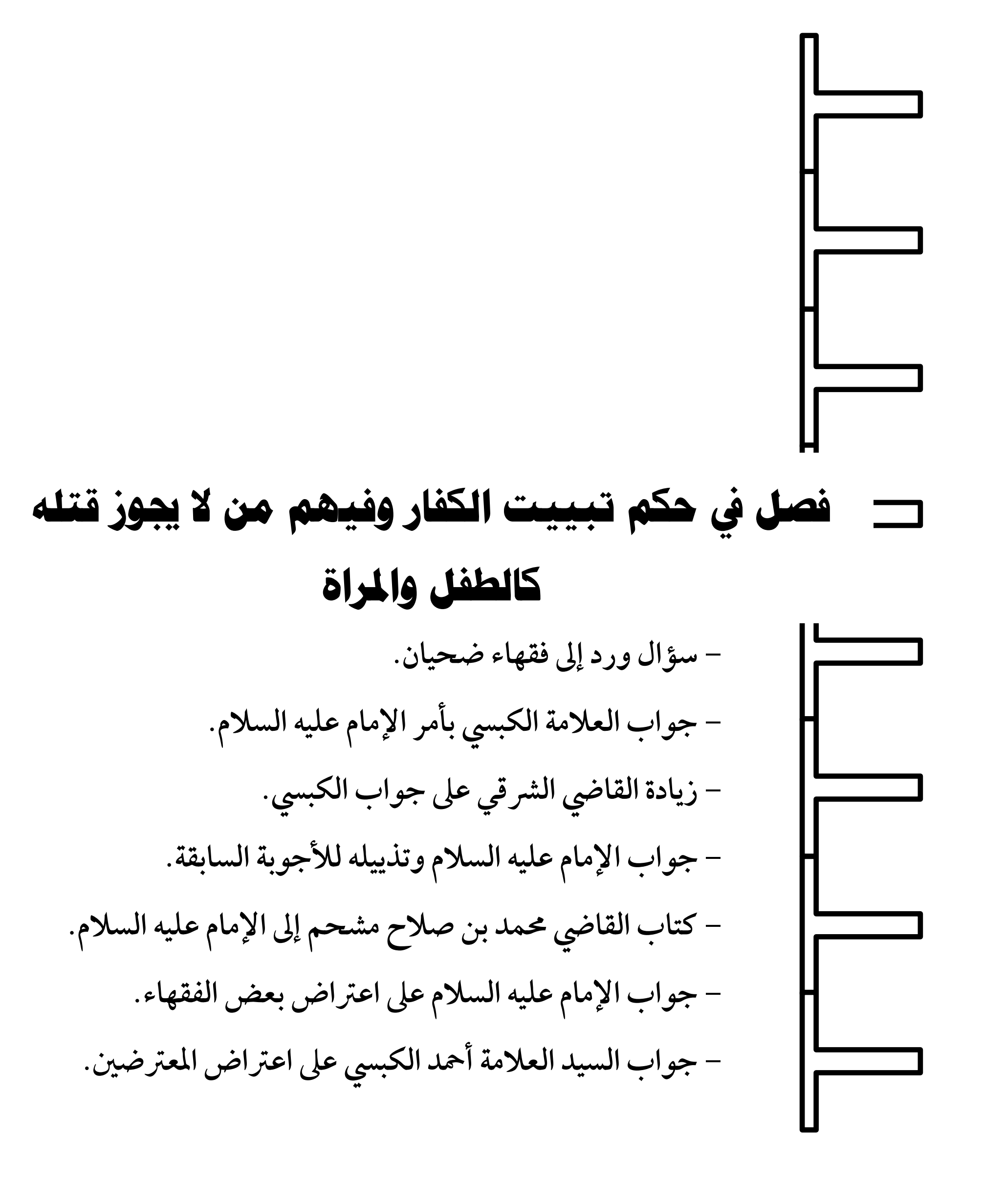
٧- جواب الإمام عليه السلام على مذاكرة القاضي المجاهد.

٨- جواب الإمام عليه السلام على بعض علماء عصره.

٩- جواب الإمام عليه السلام على سؤال ورد إليه في المفاضلة بين الأئمة.

١٠- جواب الإمام عليه السلام على سؤال من بعض سادات وادعة.

١٠- الرسالة المرشدة إلى الصواب الهادية إلى سبيل قرناء الكتاب.



فصل في حكم تبييت الكفار وفيهم من لا يجوز قتله كالطفل والمراة

- سؤال ورد إلى فقهاء ضحيان.
- جواب العلامة الكبسي بأمر الإمام عليه السلام.
- زيادة القاضي الشرقي على جواب الكبسي.
- جواب الإمام عليه السلام وتذييله للأجوبة السابقة.
- كتاب القاضي محمد بن صلاح مشحم إلى الإمام عليه السلام.
- جواب الإمام عليه السلام على اعتراض بعض الفقهاء.
- جواب السيد العلامة أحمد الكبسي على اعتراض المعترضين.

[السؤال الوارد إلى فقهاء ضحيان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولفظ السؤال الذي حرره بعض الشيعة إلى هؤلاء المتفيهقين: ما يقول علماء الإسلام، وسادات الأنام، في قتل الكفار وإحراقهم بالنار والبارود، وفيهم من لا يجوز قتله مثل الشيخ الفاني والمرأة والصبي وغيرهم وبإحراقهم يقتل هؤلاء، فهل يجوز قتلهم بما أمكن مع الخشية منهم وعدم الثمن[1] من التمييز أو لا يجوز قتلهم إلا بالسيف وإلا تركوا أفتونا مأجورين لا عدمكم المسلمون؟.

أجاب العلامة النحرير ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الكبسي- أصلح الله نيته، وثبته في الإقدام والأحجام، عن أمر مولانا أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين، صاحب السيرة أيده الله بما لفظه:

(١) هكذا في الأصل، ولم تعرف.

[جواب العلامة إسماعيل الكبسي بأمر الإمام %]

سألت أرشدنا الله وإياك عن إحراق الكفار في محلتهم أو في غيرها بالنـار والبـارود مع خشية صولتهم على بلاد المسلمين، وفيهم من لا يجوز قتله مثل الشيخ الفاني والمرأة والصبي، هل يسوغ في الشرع إهلاكهم على هذه الصفة؟.

فأقول وبالله التوفيـق، وبه الثقة على التحقيق، وبه الاعتصام والحول والقوة في سلوك أوضح طريق: إن هذه المسألة عظيمة الشأن، يحتاج في شرحها إلى مزيد برهان، ليتضح الحق الواضح ويلوح منهجه الجلي بلا قادح، ويزول الشك عن الأذهان، ويصعد الحق في معارج التصديق بالنظر إلى مدارج الإذعان، فلا يخفى أن قتل من عددت بـالإحراق في ديارهم وغيرها جائز شرعاً أخـذاً مـن الكتـاب العزيـز، قـال الله تعـالى: ﴿**فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ**﴾[التوبـة:٥]. ولا يمكن قتل هؤلاء المشـركين الـذين شرحـت إلا بتلـك الطريـق وهـو الإحـراق، لتمنعهم في القلاع أشد الامتناع، حتى يتعذر وضع السـيف فـيهم ومـع تعـذره يجـوز التوصل إليه بما أمكن قـال الله تعـالى: ﴿**قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ**﴾[التوبة:١٢٣].

ومن الغلظة قتلهم بما أمكن من الأموال الموصلة إلى قطع مـادة كفـرهم أخـذاً مـن الكتــاب العزيــز، قــال تعــالى في وصــف المــؤمنين: ﴿**أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ**﴾[الفتح:٢٩].

ومن الشدة التوصل إلى استئصال قطع شأفتهم بما أمكن.

ومن السنة ما روي من فعل رسول الله ÷ رمي أهل الطائف بالمنجنيق ومن المعلـوم قطعاً أن فيهم[1] الصغير والفاني والمرأة وغيرهم فلم يبال ÷ بقتل من ذكرنا حرصاً على استئصال شأفة الكفار، لما لم يمكن التوصل إلى قتلهم إلا بذلك، ولا يمكن التمييز مـع أن أهل الطائف مقصودون غير قاصدين فعدل ÷ إلى مـا يقـع بـه تنكـيلهم وتقـريبهم للإسلام، وهذا نص في محل النزاع.

وكذا أمير المؤمنين علي % في تحريق الغلاة أصحاب عبد الله بن سبأ وهو إذا لم يكن فيهم من لا يجوز قتله مع إمكان التمييز نص في محل النزاع، في الجواز لاستئصال شـأفة الكفار بما أمكن، وأن الإحراق والإغـراق والإخنـاق عـلى سـواء مـع عـدم الإمكـان للتمييز، وعدم إمكان التوصل إلى قتالهم بالسيف أو قصد التغليظ والتنكيـل، وإنـزال أشد النكاية حتى يكون ذلك رادعاً لغيرهم المشـار إليـه بقولـه تعـالى: ﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾[الأنفال:٥٧] فلا يقال إن ذلك خـاص بـالمنجنيق فيكـون جمـوداً عـلى الظـاهر، والمقصود جنس التغليظ، والتوصل إلى قطع مادة كفرهم والمبالغة في زجرهم.

وفعل أمير المؤمنين علي % حجة عندنا[2] وعند كافة آل محمد يجب الرجوع إليه لما ثبت من عصمته والحديث المذكور «أن لا يحـرق بالنـار..الخ». متـأول حيـث يمكـن الإستئصال والتنكيل والقتل بالسيف مع الإستعصام بالقلاع، وفعل باب مدينة العلم مبيّن للجواز في حالة التغليظ والزجر وعدم التمكن من القتل بالسيف فيكون فعله% مخصصاً لبعض ما تناوله العـام جمعـاً بـين الأدلـة فحينئـذٍ جـاز الإحـراق والإغـراق والإخناق ولو أصاب من لا يجوز قتله مع إمكان التمييز.

---

(١) في الأصل: (في)، وما أثبت هو الصواب ليستقيم الكلام.

(٢) ولشيخنا العلامة القاسم بن الحسن السراجي أطال عمره رسالة كاملة حول حجية كلام الـوصي عـلي % وقـد جمـع فيها وأوعى جزاه الله خيراً.

وقد نص أئمتنا في مصنفاتهم بجواز الإحراق والإغراق والإخناق للإمام إن تعذر السيف، وإن كان فيهم من لا يقتل مع عدم إمكان التميز، وجعلوا الحكم مطرداً على سواء في الإحراق وجنسه بناءً على تخصيص الحديث المذكور.

ثم قالوا أيضاً: إذا كان لضرورة جاز ولو كان فيهم من لا يقتل، والضرورة هي تعذر مقاتلتهم، وخشية استئصالهم للمسلمين، والتغلب على ديار المسلمين وأقطارهم، ولم يفرق أهل البيت " بين أن يكون الكفار قاصدين أو مقصودين.

ونصّوا على هذا إذا وجد الشرط وهو تعذر القتال، وخشية الإستئصال من الكفار، وقد أجازوا جنس قتل من لا يجوز قتله وهو قتل الترس من المسلمين بخشية الإستئصال، وللمدافعة عن الأنفس والأموال، ومحل السؤال عن هذه الطائفة التي قد صالت على بلاد المسلمين، وملكوا قلاعهم وبلادهم بالفعل فوق مجرد الخشية المبيحة.

هذه أقطار المسلمين وقلاعهم وحصون حراز والحيمتين بأيديهم وعراس ومذيخرة في العدين وكثير من البلاد الهندية، وشوكتهم في هذه الديار قوية، وقد اعتمدوا جباية التجار المارين بهذه البلاد في الأسفار، وتقوَّوا بذلك، واعتضدوا بأموال المسلمين، وربما هموا بتجاوز هذه البلدان إلى ما وراءها وحينئذٍ يطبق كفرهم كما سلف من الصليحيين وأتباعهم.

فكيف حصل الشك مع السائل والأدلة كما ترى وموضوعات أعلام أهل البيت وأشياعهم في تكفيرهم قد ملأت القرى، فيلزم القول بذلك والتصويب لأئمة الحق، أو تكون من المعاندين فقد ظهر الحق الأبلج، ووضح البرهان والمنهج، والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبنا وكفى ونعم الوكيل. وصلى الله على محمد وآله آمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم الجواب.

[زيادة القاضي العلامة سعد الشرقي على جواب العلامة الكبسي]

ورقم بقلمه القاضي العلامة المجاهد ضياء الإسلام سعد بن محمد الشرقي ما لفظه:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد أفاد المجيب أبقاه الله بما يكفي ومما يدل على جواز التوصل إلى تنكيل الكفار الباطنية وأشياعهم بالقتل والغزو إلى ديارهم، وإحراقهم في حصونهم ومنعتهم، التي يعزون فيها إلى ديار المسلمين، ويستأصلون ببعض من نواحي المسلمين، ويهتكون حرمهم ويأخذون أموالهم بالبطش والولاية، ويأوون إلى منعتهم فعلُ[1] الزبير بأمر رسول الله ÷ في تحريق كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق حين كتم أموال بني النضير بخيبر بعد فتحها، وقدحه بزنده في صدره، وإذا جاز نوع الإحراق جاز جنسه ولا يقال بالنسخ لعدم معرفة التاريخ، والدليل على التخصيص فعل الوصي % بالسبأية.

فإن قلت: السبائية كفار.

قلنا: الباطنية كفار ملحدة بإجماع مذاهب الإسلام.

فإن قيل: قال ÷ : «لا يحرق بالنار إلا رب النار».

قلنا: مُخَصَّص لمن[2] ذكرنا.

فإن قيل: التخصيص بمن يجوز قتله وهنا فيهم من لا يجوز قتله وهو الشيخ الفاني

(١) فاعل يدل.

(٢) كذا في الأصل، والمراد بما ذكرنا.

والصبي والمرأة والعبد، أجبنا بفعل النبي ÷ برمي أهل الطائف بالمنجنيق، وفيهم من ذكرت وفعل الأئمة السابقين قبلنا، ورأينا من انتصب للإمامة في عصرنا مثل الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم وسيدي محمد بن عبد الله الوزير قبل تنحيه، ولم ينكر أحد من جهابذة علمائنا، بل أطبق عليه المسلمون شاماً ويمناً عند تعذر القتل إلا بذلك، مع أن من رأيناهم يرمونه حرب[1] البغي والكفر، وفعلهم في البغاة لا في من علم كفره، مع القول بإسلام من قصده الأئمة كذلك في قتل الترس المسلم عند تعذر قتل الكافر وخشية الإستئصال، وبهذا يظهر لك جواز التوصل إلى قتل الكفار بأي وجهٍ ما لم يكن مؤمناً والله أعلم انتهى جواب العلامة الشرقي.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها حزب بالزاي المعجمة.

جواب الإمام % على السؤال وتذييله للأجوبة السابقة

[بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

قال %: [من الوافر]

وقفتُ على السؤال وما حواهُ وقوفَ محاولٍ فهمَ الخطابِ

فلمَّا ذقتُ فحوى ما عناه وقعت على الجوابات العُذَابِ

وقد أفاد الولد العلامة ضياء الإسلام وأجاد ووفي بالمراد، فأفعال أئمتنا " لا ينكرها من له إلمام بسيرهم، ووقوف لما صدر من خبرهم، خصوصاً في قتال هذه الطائفة الملاحدة الكفرة الجاحدة من الباطنية، فإنهم يتوصلون إلى تنكيلهم بكل ما أمكن من الإحراق والإخناق، وفعل جنس الإحراق واقع من فعل صاحب الشريعة÷ وأصحابه، فقد أمر الزبير أن يقدح في صدر كنانة بن الربيع بالنار حتى يستخرج كنز بني النضير منه على مجرد التهمة.

وحرق أبو بكر الفجأةَ الغطفاني بالنار في محضر من الصحابة، وفيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه ولم ينكر فعله، والمعلوم أنهم لا يسكتون عما لا يجوز فعله، وهذا الإمام أبو طالب الصغير إمام الجيل وطبرستان وجرجان من نحارير العلماء، رمى الباطنية في قلاع الديلم بالمجانيق، وقتل اثني عشر أو أحد عشر التبسوا بباطني واحد لم يعلم شخصه فقتل الجماعة المذكورون [1] لالتباسهم [2] بالباطني،

(١) هكذا في الأصل، والصواب المذكورين، إلَّا إن جعلت الفعل مبنياً للمفعول.

(٢) في الأصل: لالتباسهم هم، ولعل الصواب ما أثبت.

المعلوم أن فيهم من ليس على ذلك الرأي تشدداً في الدين، وحماية لشريعة سيد المرسلين، ذكر ذلك في الحدائق الوردية، واللآلئ المضيئة.

وهذا دليل على جواز قتل من لا يجوز قتله، مع عدم إمكان التمييز، وأن للأئمة التوصل إلى قتل هؤلاء الملاحدة واستئصال شأفتهم بكل ممكن وإن تعدى إلى قتل من لا ذنب له.

وهذا الإمام الذي فعل ما ذكرنا من كبار الأئمة وعلمائهم، وأهل الجهاد الكبير، وقد وصلت دعوته اليمن وتلقاها علماء الزيدية والأشراف بالقبول، ونفذت الأوامر، وكذلك الإمام المهدي علي بن محمد رمى بعض حصون الباطنية في خبان بالمجانيق، وفيهم النساء والصبيان واستأصلهم، وولده الإمام الناصر صلاح الدين رمى حصون همدان بالمنجنيقات والنفط ودمرهم كل التدمير، وقتلهم ومثَّل بهم، حتى قيل إنه أمر للبقر التي يداس بها الزرع فداس رؤوسهم وجمع أضراس القتلى وجعلها في قبة صغيرة مجاورة لقبره في مشهده المعروف بمسجده المسمى به بمدينة صنعاء المحمية مبالغة في التقرب إلى الله بقتلهم.

وولده الإمام المنصور بالله علي بن صلاح الدين رماهم بالمنجنيقات والنفط في ذي مرمر، وحاصرهم أشد الحصار، وجمع عليهم الجموع وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وفيهم من ذكر السائل.

وقد سئل الإمام الهادي الحقيني عن هذه المسألة في قتال البغاة وكيف يقتل الشيخ الفاني والطفل والمرأة فأجاب: بأن ذلك نقمة على الظالمين، ومحنة للمستضعفين، يعيضهم عليها رب العالمين، وفي السلف الأخير من الأئمة المشاهَدِين الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم فإنه أمر العلامة عبد الله بن علي الغالبي يعمل سرداباً في الأرض

وأمر بالتحريق عليهم، ففعل العدو سرداباً مثله وذلك في غزاة كان المتقدم فيها سيدنا عبد الله بن علي الغالبي رحمه الله وتلك الغزاة في جهة صعدة، وبعد جعل السرداب من العدو امتنع إحراقهم.

وكذلك الصنو محمد بن عبد الله[1] شاهدنا فعله، وهو حينئذ صحيح التصرف قبل التنحي منه، فإنه رمى أهل شعوب من حواز صنعاء بالمدافع وفيهم من لا يجوز قتله، وهذا أمر مستفيض.

ومثل هؤلاء الذين صالوا على بلاد الإسلام، ومدوا الأعناق إلى تملك بلاد الزيدية، وصارت لهم شوكة قوية، إذا لم يمكن استئصال شأفتهم وتضعيفهم ودفعهم عن بلاد المسلمين إلا بتحريق المنازل، واستئصال المعاقل، جاز قطعاً.

وقد حكينا لك أفعال الأئمة من العترة الأطهار، وحكى المجيبان ما فعله النبي المختار، ووصيه إمام الأبرار، فإنكار ذلك من الغباوة عن أسرار الشريعة المطهرة، وإن لكل عموم خصوص[2]، وفي استرقاق صبيان الكفار ونسائهم وسبيهم وملك رقابهم وجه استدلال على جواز تغليظ عقوباتهم، وتقوية الإسلام، وتضعيف دعائم الكفرة اللئام، بكل ما يمكن ويحصل به المرام.

وفي هذا كفاية والبسط ممكن، ومما قل ودل على خير مما كثر وأمل، ولا شك[3] أن قد حصل شرط أهل المذهب الشريف، وهي الضرورة وخشية الإستئصال بما هو أبلغ من الخشية، وهو استئصال أقطار عديدة، وقد عددها المجيب الولد الضياء عافاه الله، فأغنى عن الإعادة، فإن كان السائل مسترشداً[4] ففي هذا كفاية وافية، وإن كان

---

(١) يريد الإمام محمد بن عبد الله الوزير %.

(٢) الصواب: خصوصاً، لأنها اسم إن مؤخر ولعلها من النساخ.

(٣) في الأصل: وشك، كذا ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) في الأصل: مسترشد.

متعنتاً[1] فلا يجدي فيه التطويل، ونعوذ بالله من الإعتراض على الله ورسوله، وعلى الأئمة المطهرين والله ولي التوفيق، وهو حسبنا وكفى ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الكرام الطيبين.

انتهى الجواب الشريف وقد أفاد في المقصود، كثَّر الله فوائده، وأجزل صِلَاته وعوائده.

ولما وصل السؤال وما عليه من الأجوبة إلى مرسله وهو القاضي العلامة الصادق في الولاء، والعون على التقوى، محمد بن صلاح مشحم شكر الله سعيه الحميد، ومقصده الرشيد وأرسله إلى من بقرية ضحيان من المتفيهقين الذين نقموا هذا الفعل من المحبين أهل رحامة الشهداء المقبولين خالطه أولئك المتسمين بالمعرفة العصبية وخامرتهم الأهواء المردية، في ترويج ما نقموه وترويق ما طلحوا[2] به وتوهموه وأعادوا الإعتراض وشككوا في الجوابات ورجع جواب القاضي العلامة محمد بن صلاح مشحم تضمن ما زعموه وحكى ما رقموه.

(١) في الأصل: متعنت.

(٢) كذا في الأصل، والمراد إشاعة ما توهموه حقاً.

[كتاب القاضي العلامة محمد بن صلاح مشحم إلى الإمام عليه السلام]

ولفظ كتابه: إلى المولى أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على رب العالمين حفظه الله وأيده وأتحف مقامه الكريم بأشرف التحيات المباركات، وأسنى السلام ورحمة الله وبركاته، وبعد.

فصدور الأحرف لتقبيل أقدام المولى واستمداد أدعيته المتقبلة بفضل الله ثم إنه وصل مشرفكم الكريم، وخطابكم الفخيم، وما طيه من السؤال والجوابات فاطلع عليه من اطلع ثم إني أرسلته إلى السيد العلامة عبد الله بن أحمد مشكاع الضحياني ليطلع عليه، ويطلع من لديه من أهل الفقه وعرفته أنا نريد الإجتماع لجمع الكلمة والنظر فيما أتى من السؤال والجوابات، فأجاب أن لا بأس بالإجتماع ويكون على باديكم والجوابات قد اطلعت عليها وأردت أرجعها بوقتها ولكن أبى محمد الغالبي والسيد حسين الحرجي[1] فبقَّيتها ولابد من مذاكرة فيها يسيرة هذا كلامه باللفظ والمعنى.

وبعد هذا أرجعوها وقد رقموا فيها مذاكرة اعترضوا فيها السائل والمجيبَيْن.

[اعتراض الفقهاء على الجوابات]

أما اعتراضهم على السائل: فذكروا فيها أنه لم يُحكِم مورد السؤال، وأنه سأل عن إحراق الكفار فإن كان أراد فرقة يام اللئام، وقد تحقق كفرهم بما يثبت به التكفير وهو

(١) هنا في الأصل حرف (ظ) علامة للتظنين.

الدليل القطعي الذي ليس للتشكيك فيه مجال، ولا لمعترض عليه مقال، فحينئذٍ يصح له السؤال عما ذكره وثبوت ما ذكر عنه بعيد!!!

قالوا: فكان من حقك أيها السائل أن تسأل أولاً عن كفرهم!! ثم تفرع بعد ذلك ما يصح فعله بالكفار، ثم إنه قد يقال: إن أدنى ما يقال في الأجوبة: إن هؤلاء القوم من نجران، الذي وقع الحريق في نسائهم والصبيان، ليسوا أشد طغياناً عندهم ولا أشر حالاً من الخوارج عند علي % الذي هو باب مدينة العلم لأنهم لم يتيقنوا مروق هؤلاء من الدين!! وأن إيمانهم لا يجاوز تراقيهم!! كما تيقن علي % ذلك من الخوارج.

يقول الصادق الأمين مشافهة «إنهم يمرقون ..الخ» وإذا كان ذلك فليسعنا أن نسير في هؤلاء سيرة علي % في الخوارج، فهل أُثِرَ عنه سبي نسائهم وصبيانهم أم أثر عنه قتلهم على كل حال، أم أثر عنه جواز إحراق النساء والصبيان إن لم يتمكن من قتل من يجوز قتله إلا بذلك، أم لم يؤثر عنه شيء من ذلك.

فيا أيها السائل والمجيب، الأولى لك أن تراقب من هو عليك رقيب، ويا أيها السالك مسلك السلامة، والمتجنب محاوي[1] الحيرة والندامة، احذر أن تسنّ سنة سيئة فإن إطلاق المقال، لا ينبغي لمن لم يتوقف على الحق من الجهال في غير الدماء.

وأما الدماء فالتحري فيها أعظم من التحري في غيرها، فكيف بدماء النساء والصبيان من [أهل] الشهادتين، وأهل قبلة سيد المرسلين، فليس لك أن تتعلق في كفرهم بفعل الأئمة السابقين ولا أن تعتقد ذلك إلا بما يحصل لك به اليقين، فالخلف لا يكون حكمهم في ذلك حكم السلف، ولا سيما مع تطاول الأزمان، وعدم العناية في الفحص عما يفيد ذلك من الحجج والبرهان، ولا يستفاد ذلك من أكاليم الناس

(١) كذا في الأصل، ولعلها مهاوي.

الظاهرة التي لم تصدر عن تحقيق، مع أنـه لا يجـوز التقليـد في التكفـير والتفسـيق، ولا اعتماد في ذلك إلا على دليل قاطع، كما قدمناه مع أنه لو سألنا بالله هل قد حصل لنـاظر غالب بكفر هؤلاء الذين وقع الحريق في نسائهم وصبيانهم؟ لم نستجيز أن نقول نعـم! فضلاً عن العلم اليقين إذ لا يكون العلم الحاصل لمن تقدم من الأئمة سلام الله علـيهم بكفرهم علماً لنا، بل لا يكون العلم الحاصل لبعض، علماً للبعض الآخر، فإن صح على هؤلاء ما ينسب إلى سلفهم من التعطيل والإلحاد بـما يفيـد العلـم قطعـاً فـلا شـك في كفرهم وحينئذ يتجه السؤال ويحصل ما أردت.

ولقائل أن يقول بعد اتجاهه: قد صح عنه ÷ أنه كان ينهى في وصيته لأمراء السرـايا وغيرها أن يقتلوا وليداً أو امرأة أو شيخاً كبيراً لا يطيق القتال ..الخ. روى ذلك الأئمة سلام الله عليهم كالإمام زيد بن علي في مجموعه ورواه في الجامع الكافي مـن طـرق وفي الشرح للتجريد والشفاء وأمالي أبي طالب وغيرها من كتب الأئمة ".

وأخرجه أهل الأمهات حتى صرح بعض العلماء بأنه متواتر، وهو كما قال فإن مـن بحث حصل له التواتر، إذا عرفت هذا فالأمة بين قائلين.

قائل: بأن هذا ناسخ لجواز قتل النساء والصبيان قولاً كنحـو قولـه ÷ «هـم مـنهم» جواباً لمن سأله عن الدار للمشركين هل يبيتون وفيهم ذراريهم؟ فيما أخرجه البخـاري ومسلم.

أو فعلاً كرميه ÷ بالمنجنيق، فظاهر قول هؤلاء إطلاق النسـخ إلا مـا خـرج بـدليل يخصه.

والقائلون بهذا القول كثيرون.

وقائل: خبر النهي مطلق غير مقيد بنحو الخبرين المذكورين، فيفيد التحريم المستفاد من النهي بغير حالتي التبييت والمحاصرة المدلول عليهما في الخبرين.

وقيل مقيد بالعمد والقصد للنساء والذراري فتحت[1] في حالتي التبييت والمحاصرة أن يقصد ما يحصل به القتل لمن يجوز قتله، وقيل مقيد بالتمكن من قتل من يجوز قتله، فيجوز قتل من لا يجوز قتله إن لم يتمكن قتل من يجوز قتله إلا بذلك، ثم أطلق هذا القول الثالث فيرد عليه هل يجوز ذلك في حالتي التبييت والمحاصرة؟ أو المصافة للعدو عند المدافعة وخشية استئصال قطر من أقطار المسلمين أو الخشية من إحداث ما لم يمكن تلافيه إن لم يقتلوا أو لحوق الضعف والهوان في المسلمين أن يبادروا بقتل المشركين أو في حال قصدهم للمسلمين أم يجوز ذلك من غير حصول شيء من هذه المذكورات حتى يجوز أن يبعث رجل واحد أو أكثر منه غير مقاتلين لإحراق دار من دور المشركين بالتلصص ليلاً وفيها النساء والصبيان ومن لا يجوز قتله، وقد لا يحصل بذلك النكاية في العدو من المشركين بل يحصل ضدها من أنهم يفعلون بالمسلمين مثل ذلك الفعل العظيم أو أعظم منه.

إذا عرفت هذا أيها الناظر بعين الإنصاف فماذا تنكره على من أفتى بتحريم هذه الصورة فقط اعتماداً منه على القول بالنسخ، وهو الأولى لسلامته من التأويلات وكثرة الإختلاف في المقيدات حسبما بيناه أو اعتماداً على ترجيح الخاص على المبين مع جهل التاريخ وأفعال الرسول ÷ والأئمة بعده منزهة مقدسة عن مثل هذه الصورة المذمومة المحظورة، المجردة عن كل قيد من القيود المذكورة، ولو بأهل الشرك عبدة الأوثان وأي دليل على جوازها بذلك الوصف فهذا وقت الحاجة إليه.

---

(١) كذا في الأصل، والمراد فصحت.

قالوا: وأما سائر ما ذكرتوا من الإستدلالات في الجوابات فلا حاجة إلى المناقشة عليها إما لخروجها عن محل النزاع، وإما أنه لا يصح التعلق بها في هذا الإستدلال لما يلزم بعضها من اللوازم غير المستلزمة كالإستدلال بأفعال الله سبحانه في الأمم الماضية الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

هذا كلامهم نقلت الأكثر باللفظ ولم أخذ منه إلا شيئاً يسيراً كالترجمة ونحوها وكان قد أرددت إرساله إليكم لتنظروا فيه، لكن أحببت عرضه أولاً على شيخ الإسلام ثم إرساله إليكم، هذا وأحوال جهاتنا ولا زيادة بل نقص في الدين وقلة في الأعوان المؤمنين وأعداء الله في همٍّ وحزن وكثرة الفتن زادهم الله بلاءً.

هذا والتحقيق مطلوب عمَّا دقَّ وجلَّ والسلام.

جواب الإمام % على اعتراض بعض الفقهاء

ولما اطلع على هذا الإعتراض مولانا أمير المؤمنين إمـام الزمـان، وترجمـان البيـان، صاحب السيرة المرضية، والأنظار البهية، المتوكل على الله رب العالمين أيد الله به الدين، أجاب عنها وهو بمعقل بيت ردم في جهاد الباطنية أقمأهم الله ودحر أركـانهم وزلـزل صياصيهم وبنيانهم، أجاب أيده الله بها لفظه:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله عظيم الشأن، ذو الفضل والمنة العظمى، الآخذ جـل وعـلا عـلى العلـماء البيان، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث بالسنة والقرآن، المرشد إلى نهج الصواب القائل ÷: «من ترك المرآء ولو كان محقاً فأنا ضمين له عـلى الله ببيـت في ربـض الجنـة» وعلى آله هداة الأمة، الكاشفين عن وجه الـدين كـل غمَّـة، ورضي الله عـن أشـياعهم المهتدين بهديهم، العارفين بحقهم، القائمين بمودتهم، المجاهدين بين أيديهم.

وبعد: فقد أطلعنا على تشكيك المشكك، واعتراض المعترض، في الجواب فيما قام به إمام المسلمين، وبقية العلماء العاملين، من الـذَّب عـن ديـن رب العـالمين، وإحيـاء مـا جاءت به السنة ونطق به الكتاب، وأطراف التشكيك تفهم من غضون الجـواب وهـو يقع في أطراف.

الأول: أنه لا يخطئه[1] في المسائل الظنية بالإجماع، فالمخطئ سالك غير منهج العلـماء في أقوال أفرادهم فضلاً عن قول الداعي إلى جهاد الكافرين، والنـاهج نهـج آل محمـد

(١) كذا في الأصل، ولعلها ولا تخطئة.

المطهرين، مع أنه قد صار دأب أهل الزمان استنكار الأقوال والأفعال!! والآراء من الموحدين إلا الملحدين!! ومن العالِين إلا الجاهلين!! وعارضوا القائمين بالقاعدين!! مصداق قول الصادق الأمين: «لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً».

وقال ÷ «بدأ الإسلام غريباً...» الحديث، بل لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته من الأئمة الطاهرين، وطوائفهم الذين هم على الحق ظاهرين، وإن عظمت عليهم بذلك البلوى، فلا يصدهم صاد عن الداعي إلى سبيل الهدى، وطريق النجا.

الطرف الثاني: أن كل مسلم يعلم بكفر الباطنية جملة إلا المعترض فهل يحسن أن يسأل السائل عن كُفْرِ مَنْ كُفْرُهُ مَعْلُوْمٌ لديه، بل معلوم عند كل مسلم، بل يكفر هؤلاء الباطنية اليهود والنصارى.

وأما تشكيكه في كفر هؤلاء الباطنية الملحدة لعدم قطعه بأنهم مثل أسلافهم فلعدم بحثه! كما أوجب الله عليه من إجابة داعي آل محمد من جهاد الكفار ولو بحث لَعَلِمَ كفرهم قطعاً كما علمنا، وعلم العلماء العاملون، ولعله يريد التوصل بالتشكيكات والتعليلات إلى إسقاط وجوب الجهاد، وعدم إجابة داعي الهدى، الناهض بأوامر الله تعالى ويأبى الله إلا أن يحاسبه بما أدخل به أو شكك فيه، أو أساء ظنه بما انقدح من الشك في قلبه لسوء ظنه بالأئمة الأطهار، وعدم اعتماده ومعرفته بإجماعهم الذي دليله مثل شمس النهار.

وأما قول المشكك في كفر الخوارج: إنه أشد من كفر الباطنية وإن أمير المؤمنين لم يحرقهم بالنار، فهذه جهالات مركبة!! بيانه أن المارقة أهل دين وعبادات وتلاوة،

وصلاة وجهاد مع أمير المؤمنين وصولات، ولكنها طرأت عليهم شبهة لم يعلموا[1] بما أمر الله فيها في كتابه من الرد إلى الله ورسوله وإلى وصيه إمام الأئمة، وهم قصدوا الحق فأخطئوه ومرقوا من الدين، وليس كذلك الملحدة المعطلة للصانع، المنكرة للشرائع، فإنهم أكفر الكفار وأفجر الفجار، عمدوا إلى إبطال الدين، ودسّوا فيه مكائد الملحدين، وتظهروا بالإسلام، وأبطنوا الكفر عن عامة العوام، فما خفي على الأئمة الأعلام، والعلماء العاملين الكرام، ولهذا أفنى[2] الأئمة " وشيعتهم أعمارهم في جهادهم، واستعاذوا بالله من شرهم، واستعانوا بالمسلمين ودعوهم إلى جهادهم فما أضر على الإسلام منهم، ومن الصوفية الملحدة، فيجمعهم الإلحاد والوحدة والحيل في إبطال الدين والمكيدة، وأما عدم تحريق أمير المؤمنين للمارقة فلم تَدْعُ الحاجة ولا الضرورة إلى ذلك، كما نُقل عنه في السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ، وليس كل جائز أن يفعل في كل حال! فليس إيراد مثل هذا من المعترض إلا من الجهل! وقصد التشكيك في الدين!! وفي طريقة آل محمد الأمين وقائمهم حجة الله الداعي إلى جهاد الكافرين.

وأما الاستدلال بأفعال النبي ÷ فقد عرف وجهه كما سيعرف وكذلك الإستظهار بأفعال أفراد الأئمة والإحتجاج بأفعال جماعتهم فبعد معرفة الوجه فنحن عرفناه، والمشكك جهله، مع أنا لا نتبع إلا ما وضح لنا قيله، وصح عندنا دليله.

وأما الاستدلال بأفعال الله تعالى في القرون الماضية والأمم الخالية من استئصال شأفتهم بالعذاب وعموم صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم عما نطق به، فلسنا نقيس أفعالنا بأفعال الله تعالى سبحانه ولكنا نقول: إن أفعال الأئمة من أفعال الأنبياء وأفعال الأنبياء من أفعال الله فما ورد عن رسول الله ÷ شاهد له الكتاب عَرْضاً، ومصدقاً له

(١) في الأصل: بالنون ولعلها من الناسخ وإلا فالفعل مجزوم بلم.

(٢) في الأصل: أفتى، وما أثبت لعله الصواب.

جوازاً وسنةً وفرضاً.

وأما الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة % ففي جوابه على النجراني في استدلاله فيما هذا شأنه، أن مقصد الشارع استئصال الكافرين، وإبادة الظالمين، بأي وجهٍ وعلى أي حالٍ ولهذا استأصل الأمم السالفة والقرون الخالية صغيرهم وكبيرهم ونسائهم وذكورهم مع إمكان التمييز من جهته تعالى إذ هو على كل شيء قدير، فلما لم يهلك الكبير دون الصغير؟ مع كونه على كل شيء قدير، ولم يقبح منه لم يقبح منا مع عدم الإمكان ورد ذلك إلى الضرورة ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ**﴾[ق:٣٧].

وأما أدلة النهي الواردة على تحريم قتل نحو ذرية الكفار ونسائهم وإحراقهم فلا يصح أن تكون ناسخة لأدلة الجواز إذ من شرط الناسخ التأخر تاريخاً، ونصب المنجنيق في الطائف متأخرٌ أيضاً حالات الضرورة لم ينسخ وأيضاً أن النسخ لا يكون إلا عند عدم إمكان الجمع بين أدلة الشرع الشريف وإنما يقال إن الأدلة الواردة في النهي على تحريم قتل نحو الصغار من الكفار ونسائهم مطلقة أو عامة مقيدة أو مخصصة، إما بحال الضرورة وخشية الإستئصال وهو المذهب الذي نختاره لوضوح قيله، وتنقيح دليله، ومن الضرورة عدم الإمكان لدفعهم أو قتالهم قرباً أو بعداً بغير الحريق الذي لا يصيب من لا يجوز قتله، أو تقيد الأدلة والجواز بحال الحصار والبيات أو تعدم البتة أو بالكل وقد حصلت جميعاً بمنِّ الله في عملنا فلقد حصل بذلك فرارهم وتفريقهم وتقليل شرهم وتفريق جمعهم ومراكزهم ما علم به الحاضرون والمباشرون دع عنك القاعدين عن جهاد الكافرين، والشاكين المشككين، في إجابة الحق والمحقين، وأتباعهم الصادقين فالله المستعان وعليه التكلان.

وأما شأن عمل الفرد في نكايتهم ولفظه[1] له بكسر شوكة الكافرين وتشريدهم عن مركزهم ودفع ضرهم وإخافتهم وإبادتهم، فقد أمر النبي ÷ طائفة من الأوس، ذهبوا إلى كعب بن الأشرف في يهود بني النضير ليلاً فقتلوه غيلة وانسلّوا.

وأرسل رسول الله ÷ الزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة إلى مكة لقتل أبي بن حرب غيلة ولكنهم انتبهوا بهم ولم يتمكنوا من قتله، وخرجوا من مكة، وقد تبعهم الطلب من أهل مكة وأنزلوا خبيب بن عدي الأنصاري المقتول المصلوب، الذي صلبته كفار قريش في التنعيم فألقاه هؤلاء النفر الذين أرسلهم رسول الله ÷ من أعلى الجذع الذي صلب فيه وابتلعته الأرض فسمي خبيب بليع الأرض وإنما استوفيناه لتتميم القصة والحجة في الإرسال ليلاً على جهة التلصيص والغيلة لتنكيل أهل الكفر ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[الأحزاب:٢١] اللهم إن كان هذا المشكك صاداً عن سبيلك معانداً غير مسترشد فعاجله ولا تمهله، وإن كان مسترشداً أو غير عارف أن أفعال الأئمة لا تخرج عن طريق الشريعة، فأرشده ولا تكده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) كذا في الأصل، ويوجد بياض قدر كلمة.

جواب السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي رحمه الله على اعتراض المعترضين

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطاهرين، الحمد لله الذي هو بكل لسان يحمد، والصلاة والسلام على رسوله محمد، وآله حفاظ الشريعة عن يد، وقف أحقر الورى وأهون من وطئ الثرى، على كلام أبناء الرسالة، وبيت التطهير والجلالة، ومن هم هم، وباقي الناس غير شكلهم، حثالة أفراش يورد نفسه في الذبالة فوجدته يشبه ما قال الله ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾[الرعد:٤] فما أشبه أبناء رسول الله وشيعتهم بالقطع المتجاورات، المشتملة على أعناب وزرع ونخيل جنات تسقى بماء الكلام القرآني والرسالات، مفضل بعضها على بعض في المعاني والكمالات، وما أحسن قول الشاعر حيث قال: [من السريع]

النـــاس كالـــدنيا ومنهـــا هـــم ... مـــن خشـــن اللمـــس ومـــن لـــين

فـــأحجرٌ تـــدمى بـــه أرجـــل ... وأثمـــد يوضـــع في الأعـــين

فهؤلاء المجيبون هم أثمد الأعين، بهم يقوم الدين، وعند كلامهم تخرس الألسن، أكرم بهم من فرقة هم هم، المصطفى أصلهم، المرتضى جدهم، الفاطمة أمهم، الحسنان أبواهم، العلم من بيتهم، الشرع من نورهم، أصل الهدى هم هم، فانظر إلى جانبي

الجواب وحقق، وتيقظ من سِنَة غفلتك ودقق، ولاحظ ما يأتي من بلاغتهم في الجواب، وصفق بأيدي الذهن ارتقاصاً وبجناحه خفق، وما في أحد الجوابات من تلقي المخاطب، بغير ما يترقب، والتنبيه على ما هو الأولى في السؤال.

والجواب على السؤال الأولى والقيام مقام المنع للدليل فخذ العنان، وقم في مقام المنع ولا تطلق، واعرف ميدان الفحول من أبناء الرسول، وشيعتهم ولا يكبأ بك الفرس في ميدانهم، فتخرَّ صريعاً غير محق، فلقد سلكوا مسلك القرآن في أساليبه ونوَّهوا بـ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ**﴾[البقرة:١٨٩] فهذا النور من هذي المشكاة، ولله درُّ هذا النور ما أحلاه، وما ألذّ جناه، والتفت التفات ماهر لبيب، واهتز اهتزاز خريت أريب، وأسرع في ضوء الشمس قبل المغيب، وانظر بعين بصيرة، وخلوص سريرة، فللأرض من كأس الكرام نصيب، واحرص فلا تميل إلاّ إلى المصيب، فإن فوقك الذي لا يعزب عنه خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا مغيب، وهو عليك الرقيب، وسيكون هناك وهنا عليك الرقيب الحسيب، وقل ﴿**رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ**﴾[الشعراء: ٨٣-٨٥] ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا**﴾[طه:١١٤] وقال ﴿**رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى**﴾[طه: ٢٥-٢٨] فأنا الحقير، لا أوازن في حقارتي لا نقير ولا قطمير، قل[1] إني نظرت في الجوابات أولها قاضية بكفر المكارمة ويام من غير تردد بل بدأ منهم على ظهوره وإلا فهم أمراء الكلام، وشاهد حالهم كما قيل شعراً

وكيف يصح في الأذهان شيء　　إذا احتاج النهار إلى دليل

---

(١) كذا في الأصل.

وانظر[1] في آخر الجوابات أتى فيه بما يرد على تكفير المكارمة ويام من المقالات والمنع لوجدان الدليل القطعي على تكفيرهم فكيف الإقدام وهو عظيم الخطر، وأشر الآفات في المحيا والممات، مع ظهور كلمة الشهادة واستقبال القبلة وإقامة الصلاة وهذا كلام رصين ظفر بالمناقشة فيه من ظفر، وأهمله الآخرون ففات ما فات، كيف ورسول الله ÷ يقول: «هلا فتشت عن سواد قلبه» في جواب من[2] قال إنما قال كلمة الشهادة تقية ورسول الله ÷ يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» ويقول رسول الله ÷ في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا» ثم قال: «ألا هل بلغت ألا هل بلغت اللهم أشهد، اللهم اشهد اللهم اشهد» وكان ذلك بمحضر عام، وجم غفير، فكيف قيام وثبوت الدليل القطعي في تكفيرهم بعيد.

وأما نسبتهم إلى الباطنية فتلك نسبة من عهد الأئمة ولم نزل نحن وغيرنا ننسبهم إلى الباطنية فضلاً عنهم وهم في غاية الإحتراس أن يطلع على عقايدهم، فأين الدليل القطعي على أي مكفر ارتكبه الموجودون قطعاً أعني الذين وقع الحريق في نسائهم وصبيانهم حتى يحكم من حصل له ذلك بالكفر، إلى أن قال المجيب غاية حالهم الفساد في الأرض والبغي فلهم أحكام البغاة هذا حاصل ما ناقش به الإخوان أهل الخطر والشنآن.

فانظر لنفسك أيها الناظر عمارة على أساس وبنيان، فاجعل الإنصاف ذاتك والعنوان، وراقب الله في السر والإعلان، وقل لا يخفى على ذي مسكة وافتنان، ما قدره

---

(١) كذا في الأصل، والمراد ونظرت.

(٢) هو أسامة بن زيد ، وفي قصة أخرى لمحلِّم بن جثامة.

أئمة الكتاب والأصول من الآل والأقوام، من الطرق التي تفيد العلم معلومة الصدق والبرهان، التي هي طريقة العلم الضروري والنظري في كل الأحيان، وقسموا ذلك إلى مجمع عليه ومختلف فيه، وبسطوا في ذلك بسطاً يروي الظمآن، ويسلّي العاشق في هذا الميدان، ويدفع عنهم الهمَّ والأحزان، كما ذلك معلوم مشيد الأركان، فاعرفه يا إنسان، وقل متذللاً لا يخفى على من هو دون هؤلاء الكملاء النبلاء الفضلاء أنه نقل إلينا في بطون الكتب وصدور الحفاظ من لدن ظهور هذا المذهب الباطني الملحدي إلى الآن عدد كثير، وجم غفير، من أهل كل عصرٍ عن سابقيه بلا حصر أن الباطنية فرقة كفرية، ملحدة على اختلاف في العبارات والمؤدى واحد، حتى بلغ حد التواتر، وأفادنا العلم الضروري بكفرهم، وذلك شائع ذائع واقع، وارتسم عند العامة ومن لم يبلغ الحلم فإني كنت عند الصغر أعتقد كفرهم وأنسبه إليهم أعرف ذلك من نفسي ضرورة، ثم بعد بلوغي تلقيت ذلك عن المشايخ من العلماء، مع أن النقلة أولئك الأئمة، وتراجمة الأمة، وسُرُج الظلمة، وذلك يزيد في العلم كما هو الصحيح اختلافه باختلاف الخبر والمخبر عنه.

فإن قيل: احصر لنا أهل التواتر.

قلت: لا يلزم حصر التواتر كما ذلك مقرر في موضعه، ولو لزم ذلك لأدّى إلى التشكيك في البلاد النائية والأمم الماضية.

فإن قيل: وَثّق النقلة لهذا والمروي عنهم فإنه يروي ذلك عنهم الغث والسمين والجاهل والعالم.

قلت: لا يخفى أن العدالة والإسلام غير شرط في ثبوت التواتر وهما شرط فيما سواه فإن كان المجيب يقول بإفادة التواتر العلم الضروري كما هو الظاهر من حاله في أثناء

السؤال حيث قال: إن أحاديث النهي عن قتل النساء والصبيان في قوله، وهو كما قال فإنه حيث حصل له التواتر اتفق الرأي وحصل المراد، وبطل العناد.

فإن قيل: هذا التواتر الذي حكيت وحررت في أسلافهم فمن أين لك هذا في هؤلاء الذين في نجران من المكارمة وحراز والحيمة وضلع وغيرهم.

قلت: نقل إلينا عدد من عدد يحيل العقل تواطئهم على الكذب عادة مستندين إلى أحد الحواس إن هؤلاء خلف أولئك من العلماء والآباء والمشايخ والعامة وارتسم وعلم علماً ضرورياً أنهم منهم باطنية ملحدة.

فإن قيل: هذا لا يفيد العلم.

قيل: هذا بالإنكار مكابرة وتشكيك في ضروري، ومن شكك في ضروري فحاله معلوم عند الأئمة والعلماء.

فإن قيل: هذا المنسوب منسوب إلى المكارمة فما بال يام، فهم قبائل أعتام، لا يعرفون ولا ينكرون، وربما لبّسوا عليهم وأخفوا منهم.

قيل: حكمهم حكمهم، لتوليهم لهم، والمودة والتشيع والعمل بأقوالهم، والاقتداء بأفعالهم، والمشي معهم في كل منهج، والأدلة قائمة في أن من هذا حاله فهو منهم، وهي كثيرة لا تحصى كثرة، فمنها قوله تعالى: ﴿**لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ**﴾[آل عمران:٢٩] ومنها قوله تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[المائدة:٥٧] ومنها قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ**﴾[المائدة:٥١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنعام:٦٨].

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[النساء:١٤٠].

ومنها قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[المجادلة:٢٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[الممتحنة:١]..الخ الآية.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[الممتحنة:١٣].

وقوله ÷ «يحشر المرء مع من أحب» وقوله ÷ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وقوله ÷ «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا[1] دينكم».

وطائفة يام قد اتخذوا الكافرين أولياء وتولوهم وخاضوا بخوضهم ووادوهم وقلدوهم وجعلوا دينهم على دينهم، لأنهم أخلاءهم وأحباءهم فيحشرون معهم وأخذوا دينهم عنهم ولم ينظروا طريقاً لدينهم، ومن فعل مثل فعلهم فهو إذاً مثلهم، فهذه العمومات ناهضة كلها بكفرهم مع انضمامها إلى تواتر أنهم منهم وعلى دينهم.

هذا وقد تقرر بالتواتر أن الباطنية كفار جاحدة ملحدة بنقل صدور بطون الكتب

(١) كذا في الأصل، والصواب: تأخذون.

وصدور الحفاظ من الأئمة الأعلام، والجهابذة الفخام، وغيرهم من أهل المذاهب خاصهم والعام، نقل عدد عن عدد يحيل العقل تواطئهم على الكذب مستندين إلى أحد الحواس نقل ذلك أهل كل عصر عن سابقيه بلا حصر، ثم مثل هذا النقل المذكور نقل أن هؤلاء المكارمة من هؤلاء الباطنية، ثم مثل هذا النقل أن يام تابعون لهم فاعرف هذا فالتشكيك فيه تشكيك في ضروري، ومكابرة لقضية العقل، ولا تسلك مسلك منكر الضرورة، فتتهور فيما تهوروا فيه.

الله يعيذ أبناء رسول الله منه وشعيتهم من ذلك حاشا وكلا لأهل الجناب النبوي العلوي الفاطمي الحسني والحسيني وشيعتهم أعيذهم بالله، وأحوطهم بكتاب الله، من كل غواية، وأحمي أسماعهم وأبصارهم، وسمعي وبصري، عن مثل هذا يا غارة الله وقد أراد الرب تطهيرهم فالحمد لله.

[بعض مخالفات الباطنية لأهل الإسلام]

هذا وسأعدّ لك قرائن متواترة سارت مسير الشمس، وحدى بها الركبان من الخاص والعام متظافرة سيردوا المحشر وأرض الساهرة، وتفضح[1] أعمالهم وسرائرهم الخاسرة، ركبوا بها على مطايا الشيطان الحاسرة، منها ما تواتر عنهم من قطع الجمعة والجماعة، ومنها أن ليس لهم مسجد يجتمعون فيه في هذا الزمان والساعة، ومنها تقديم الصوم قبل أهل الإسلام فما هذه الشناعة، ومنها إفطارهم قبل أهل الإسلام وعيدهم وهذه عين الشناعة، ومنها حجهم قبل الناس فأخطأوا الصناعة، ومنها

(١) في الأصل: تفصح، ولعل ما أثبت هو الصواب.

وقوفهم ببطن عرنه الذي هو موقف الشيطان وبِقَاعه، ومنها ذبحهم كما (يجذع)[1] اليهود فما هذه القذاعة، ومنها ليلة الإفاضة المشتملة على الفحش بأنواعه،ومنها المخالفة في الميراث للأدلة القطعية وهو عين الرد أيها الجماعة، ومنها إنهم لا يصلون بصلاة المسلمين لقد حرموا الشفاعة، ومنها أنهم ينقصون الصلاة فيجعلونها مثنى فحسبهم رب الساعة، فهم يقولون إنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون.

وبعد إفراد هذه القضايا منصوص عليها في أحاديث الشهادة من أنه شرط لحصول الإسلام كما سيأتيك عن قريب، فانظر هذه مدن الإسلام، وجوامع اليمن والروم والشام، وهؤلاء العلماء أولي النهى والأحلام، فهل تجد رجلاً من المكارم أو يام يخالط أهل الإسلام، أو يسأل في أي مسألة عالم أو إمام[2]، أو يأخذ علمه عن أئمة الدين والأئمة الراشدين، هذه لم تقع بل المحقق ضده وبعدهم عن المسلمين، وصدهم عن معالم الدين، معلوم في البلاد القريبة منا متواتر في البلاد النائية عنا، وكل فرد من أفراد هذه القضايا متواتر معلوم مرسوم موجبها مع اجتماعها الكفر المرسوم، فمن اجتمع فيه ما فيهم أخذ بنصيب من الكفر يكفيه ويكفيهم.

وهذا مزيد توضيح، وإلاّ فقد أغنى عن ذلك تواتر كفرهم الصريح، فاعرف أيها الأخ الحق تعرف أهله، وأنت من بيت الحق وتراجمته، وأجرد هواك فحله، وكيف غاب عنك الدليل، وأنت من الذهب المصفى صحيح غير عليل، فلعلك قلت ما قلت وفعلت ما فعلت تستخرج السر المكنون، والجوهر المصون، وتنظر ما في البطون، من العلم المخزون، مع أخوالك يا ميمون، وقد اطلع علينا طالع سعدك وكمال رشدك، افتقاد ما عندهم وهو عندك، فالله يزيد في الإخوان من أمثالك، ويبارك في آل محمد من

---

(١) لم تظهر الكلمة في الأصل ولعلها كما يذبح، والله أعلم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عالماً أو إماماً.

أعدادك، إنه الكريم المنان الجواد اللطيف بالعباد.

هذا مع أني أحقق لك ما اشترط في وقوع الإسلام مع الشهادة، كما ذلك مصرح في أحاديث الشهادة، وهو الموعود به سابقاً.

فأقول: أولاً إن حديث الشهادتين مخصص بالإستثناء بقوله إلاّ بحقها، ثانياً: أن قد وردت مخصصات ومقيدات لصحة الشهادة حتى يكون بها الإسلام، منها: حديث أنس الذي أخرجه كثير من الأئمة والقوم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا حرمت علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين» فلم يقتصر في إسلامهم على الشهادتين، وزيادة تقييد في آخر مع الأول في محل النزاع وهو ما روي أن رسول الله ÷ سئل فقيل: يا رسول الله ما آية الإسلام قال: «أن تقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض وتخلص بها وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتوافق المسلمين».

والتخلي هو التخلي عن كل دين سوى الإسلام فأين التخلي عن هؤلاء الباطنية والموافقة لأهل الإسلام مع ما تواتر عنهم من الإلحاد والباطن الذي هو خلاف الظاهر مع بعدهم عن المسلمين، وعدم موافقتهم في كل مقال ومقام من مقامات الدين، يعرف ذلك ضرورة وقد سودت لك بعضها فيما مر ويؤيد ما قلت لك من أن الشهادة وحدها لا تكفي ما روي أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي عن أشياء فلما أجاب قبَّل يده ثم قال هو ومن معه: نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تتبعوني قالوا: إن داود دعا أن لا يزال في ذريته نبي وأنا نخشى إن اتبعنا أن تقتلنا اليهود فلم يحكم لهم بالإسلام بمجرد الشهادة بل طلب منهم الإتباع بالأقوال والأفعال واعتذروا

له بها اعتذروا ولو كان مجرد الشهادة كافية فقد شهدوا أنه رسول الله، ومعلوم من حالهم شهادة أن لا إله إلا الله كما ذلك معروف مسموع، وقد اكتفى ÷ بشهادتهم أنه نبي ولم يسأل لهم عن كمال الشهادة لكمال شهادتهم وسألهم الإتباع الذي هو شرط في وقوع الإسلام بالشهادة، وهذه المقيدات كلها معمول بها سواء فرض قطعيتها أو ظنيتها مع قطعية كلمة الشهادة فالتقييد بالقطعي والظني واجب للقطعي والظني كما ذكر مقرر معلوم للأئمة مختار.

هذا جامع ما أرشدنا الله إليه من الحزم وعدم الركون على ظاهر الأمر على فرض أن ثمة أمراً ظاهراً في هؤلاء الباطنية وإلا فقد عرفت تواتر كفرهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[البقرة: ٨-١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[المنافقون: ١، ٢] إلى قوله ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[المنافقون: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[التوبة: ٥٦]، فأين نحن من حزم الله وإرشادنا إليه ومن يتكل على الظاهر بعد هذا الإرشاد من رب العباد إلى هذا الحزم ففي الرأي ما يخرس الألسن، وتقر به الأعين، فكيف سلوك الإخوان مسلك خالف في الحزم أمر الرحمن ونصوص القرآن.

الله أعلم ما هذا الورع الذي خرج إلى حيز التفريط مع ما امتلأت به بطون الكتب وصدور الحفاظ من كتب الأئمة وأقوالهم من أنه لا يركن على ظاهر الشهادة ولا يكتفي بذلك حتى يظهروا الدخول في الإسلام مع التبري من كل ما خالف دين الإسلام، مع الموافقة للمسلمين في كل إقدام وإحجام، وذلك غير كائن منهم في الواقع ونفس الأمر ضرورة فأين اخواني الذين هم لي حياة الأرواح، من أولاد أولئك الأشباح، عن هذا العذب الزلال القراح، فلقد خالطتني الحسرة وفارقتني الأفراح، من حين دخل على اخواني وهم الفحول بل أجل، والله أعلى وأجل، كيف وهم أخذوا حلواً غير محرم من أهل الحلاوة من الأئمة أهل العسل، أهل الأسيل[1]، الله يوفقني وإياهم لصالح العمل، ويذهب عني درن الغل، قبل حلول الأجل، هذا مزيد تبيان والحديث ذو شجون لعلمي أنهم غاية الإخوان ، وإلا فالضروري لا يحتاج إلى برهان، وفي حديث «بني الإسلام» مزيد تبيان تركناه لما سبق هذا الشأن.

إذا عرفت أيها المطلع هذا البحث الذي هو أشمس من شمس النهار، وأظهر من ظهور البدر والأقمار، في تكفير المكارمة ويام، الذين هم أعداء الله وأعداء الآباء الكرام، من أهل العلم والفطنة والتحقيق الباهر، مع الذكاء الذي يذهل الناظر، فيا أيها المجيب هوميدان كفرهم فاعرف وأنت أهل للمعرفة وإذا قد عرفت كفرهم بما أوردنا عليك من الأدلة القطعية التي استطردتها وجعلت بناء السؤال عليها مما ليس للتشكيك فيه مجال، ولا للمعترض عليه مقال، فحينئذ يصح ترتيب أحوالهم على ما ذكر من الأدلة وكان قبل هذا ثبوت ذلك التكفير عندك بعيد[2]، فقد صار بحمد الله لدى من

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) الصواب: بعيداً.

أنصف قريب[١]، فخذ عني ترتيب حالهم وما يثبت في ذراريهم وأنفسهم ودورهم وأحوالهم بما أورد عليك من الدليل المنقح الذي هو غير عليل.

فأقول وبالله أصول: بعد إسماعك كلام اخواني الفحول، والثناء عليهم أقول: لله در عصابة اطلعت علينا من الدهر درر[٢] وامتاز منهم فحول هذا الميدان فمنهم كل عين تفجر منها ينابيع العلم والحكمة، فاعرف أيها المطلع مقامات الفحول، مَن بهم الشمل يجتمع، فلقد أشاروا إلى ما حالت فيه فرسان هذا الميدان، فأكرم بهم من اخوان، ونعم الإخوان ، وأشاروا إلى ما ورد عن سيد ولد عدنان، صلى الله عليه وآله قرناء القرآن، ورتبوا أصولهم على كما سيأتيك على ثلاثة أركان نسخ وحصرو إباحة وإطلاق وتقييد فاعرف مرامهم إن كنت ذا إتقان، وبمعرفة الأساس يتفاوت التبيان، وسردوا الأدلة عن النبي ÷ من نهي وخلافه قول وفعل صدر عنه في بعض الأزمان، والذي ورد على ألسنتهم أن النبي ÷ كان ينهى في وصيته أمراء السرايا وغيرها أن يقتلوا وليداً أو امرأة أو شيخاً كبيراً لا يطيق القتال..الخ.

وقالوا: إن هذا ناسخ بجواز قتل النساء والصبيان قولاً كنحو قوله ÷ «هم منهم» جواباً لمن سأله عن الدار للمشركين هل يبيتون وفيهم ذراريهم، أو فعلاً كرميه ÷ بالمنجنيق وقالوا إن العلماء بين قائلين قائل بالنسخ وقائل بالإطلاق والتقييد، وفي أثناء كلامهم إشارة إلى الركن الثالث وهو الحصر والإباحة حيث قالوا واعتماداً منه على ترجيح الحاضر على المبيح مع جهل التاريخ وسودوا المقيدات على اختلاف أنواعها، ثم جعلوها طريقة ضعف بها عندهم ترجيح النسخ على الإطلاق والتقييد ولكثرة السؤالات الواردة على المقيدات، ويكون النسخ موافقاً لقضية العقل ويجعلونه من

(١) الصواب: قريباً.
(٢) كذا في الأصل، والصواب درراً.

المرجحات.

هذا محصل ما اجتمع عليه كلام الإخوان فافهم الصريح والرموز والإشارات، وميز بين الصحيح والسقيم من الدلالات، وقم في هذا الميدان على ساق، واقصد الحق تنجو في المحيا والممات.

واسمع أولاً أن لي مزيد بسط في الأدلة، وثانياً في إعمالها كما ينبغي حتى تتميز الشموس من الأهلة، وهي واسعة جمة، في جانب النهي وضده، فأحكم ركض المسائل كما أحكم ركض الخيل دريد بن الصمة.

منها: خبر علي % قال: كان رسول الله ÷ يقول: «ادعوا القوم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء به محمد بن عبد الله فإن لبَّوا فإخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وإن هم أبوا فناصبوهم حرباً واستعينوا بالله فإن أظفركم الله عليهم فلا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً لا يطيق قتالكم ولا تعوروا عيناً ولا تقطعوا شجراً إلا شجراً يضركم ولا تمثلوا بآدمي ولا بهيمة ولا تظلموا ولا تعتدوا» وفي لفظ حديث آخر «فإن أظهركم الله عليهم» بدل أظفركم مما أخرجه الأئمة وصححوه كما هو معروف في دواوين الإسلام، وكذا حديث ابن عمر أخرجه مسلم والموطأ والترمذي وأبو داود قال: «وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ÷ فنهى رسول الله ÷ عن قتل النساء والصبيان وفي رواية فأنكره» أخرجوه كلهم إلا أن مالكاً في الموطأ أرسله وهذا حديث رباح بن الربيع أخرجه أبو داود قال: كنا مع رسول الله ÷ في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء فبعث رجلاً فقال: انظر ما اجتمع عليه هؤلاء فقال: على امرأة قتلت فقال: «ما كانت هذه لتقاتل وكان على المقدمة خالد بن الوليد فبعث رسول الله ÷ رجلاً فقال: قل لخالد لا تقتلوا امرأة ولا عيفاء» وفي بعض

لفظ هذا الحديث نهى عن قتل النساء والصبيان هذه أدلة النهي كما لا يخفى.

ونثني بذكر أدلة الجواز مع ما أشعرت به من التقييدات على سعة في المقيدات بعضها يؤخذ من الأدلة الآتية وبعضها لم يذكر هنا لأني لم أقصد الإستقصاء فأي مقيد ورد وصح دليله أدخلته.

أيها الناظر بعين البصيرة في مسلك المقيدات من ذلك حديث ابن عباس أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود أن الصعب بن جشامة قال: مر رسول الله ÷ بالأبواء أو بوادان فسئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وذراريهم قال: «هم منهم» وسمعته يقول: «لا حمى إلا لله ولرسوله» وفي رواية «هم من آبائهم» هذه رواية البخاري ووافقه مسلم على الفصل الأول ولم يذكر الحما وفي رواية الترمذي قال: قلت: يا رسول الله إن خيلنا وطأت من نساء المشركين وأولادهم قال: «هم من آبائهم» وفي رواية أبي داود قال: سألت رسول الله ÷ عن الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وذراريهم فقال رسول الله÷ : «هم منهم» وفي رواية «هم من آبائهم».

قال الزهري: ثم بعد ذلك نهى رسول الله ÷ عن قتل النساء والصبيان مع قوله÷ «اقتلوا شيوخ المشركين الذين لهم رأي وتدبير» وقد فعل ذلك في دريد بن الصمة يوم حنين هذه أدلة النهي والجواز كما ترى من دون استقصاء، وقد تكلم فيها الإخوان وجعلوا العمل فيها على ثلاثة أقسام كما سبق ولاح من كلامهم، بل صريح مرامهم ترجيح النسخ على الإطلاق والتقييد، فكان لديهم حديث النهي ناسخاً لحديث الجواز وترجح ثانياً لديهم ترجيح الحاضر وهو دليل النهي على المبيح، وهو دليل الجواز وأيد لهم ذلك ما نقلت لك من كلام الزهري في التاريخ حيث قال: ثم بعد ذلك نهى رسول

الله ÷ عن قتل النساء والصبيان مع ما رجح لهم حديث النهي عن حديث الجواز من التواتر.

فأقول مع الإخوان: أما نقل الزهري التاريخ فلا يخفى ما قدر الزهري لدى الأئمة وما قد حوى فيه فلا يركن على كلامه في المهمة وأما تواتر حديث النهي فالتواتر لا يمتنع تقييده بالظني كما ذلك معروف مقرر في كتب الأصول.

وأما القول بالنسخ أو ترجيح الحاضر على المبيح لا يخفى على الإخوان أنهم قد صرحوا في ترجيح الحاضر على المبيح بأن قالوا مع جهل التاريخ ومع تصريحهم كجهل التاريخ في هذا المقام لا يصح قولهم بعلم التاريخ في مقام آخر وإلا لكانوا قد صرحوا بجهل التاريخ وعدم جهله وهما نقيضان إذ مرجعهما إلى حديث واحد والذات الواحدة لا يصح فيها اجتماع النقيضين وهو جهل التاريخ ومعرفته فلم يبق إلا جهل التاريخ لدى الإخوان وقد بنوا على جهل التاريخ في مقام وصرحوا بالنسخ في مقام آخر.

فليت شعري كيف هذا المقال وهو عليهم لا يخفى أن النسخ مبناه في الأصول على تحقيق تأخر التاريخ في الناسخ مدة يمكن فيها العمل كما ذلك مشحون به كتب الأصول ولم يصح هنا تأخر التاريخ في حديث النهي بل جهل التاريخ ومع جهل التاريخ لم أظفر في كتب الأصول إلا على قولين القول بالتقييد مع إمكانه والقول بالتعارض والقول بالتقييد هو الذي أضاءت به العبارات، واندفعت به خفيات الشبهات، لذا جعله الإخوان آخر ما اختاروا من الإعتمادات وجعلهم عين الواقعة في حيز الإطلاق ليس بسديد فاعرف الحالات.

والقول بالتعارض قول مردود نادت به قصور الدلالات، فليت شعري من أين

دخل على الإخوان القول بالنسخ مع جهل التاريخ وهو قول ثالث رافع للقولين أما رفعه للإطلاق والتقييد فلأن الإطلاق والتقييد من باب الرفع والنسخ رفع كما لا يخفى ولا رفعه للتعارض والتعارض مانع حتى يرد راجح ذاتياً وخارجياً والنسخ انقضاء مصلحة ورفع إذا عرفت هذا وهو رفعه للقولين مع صحة نقله عن أحدٍ من أئمة أهل الأصول لم نعبأ به وخرجت عن عهدته، وصار عين البطلان برمته، اللهم إلا أن يقصد الإخوان قاصدين ما قال بعض الأصوليين أن النسخ عبارة عن التخصيص مر في الأزمان كان الخلاف بيننا وبينهم لفظياً لأن حكم المطلق والمقيد حكم الخاص والعام، لكن يرد عليهم أن الإرادة لا تدفع الإيراد وهذا القصد بعيد بالنسبة إلى كلامهم فليت شعري أساسهم في اختيار النسخ مع عدم حصول شرطه، فما ذاك إلا سهو وغلط.

الثاني: من الأطراف اعتمادهم ترجيح الحاضر على المبيح من رأس القامة وهم شموس الأهلة هل اعتمدوا على الجمع مع إمكانه وقد أمكن الجمع بالإطلاق والتقييد كما سيأتيك من قريب فالمصير منهم إلى ترجيح الحاضر على المبيح ممنوع سند المنع إمكان الجمع بالإطلاق والتقييد الذي صرحوا به معتمدهم.

الثالث: هذا وأما قولهم فماذا تنكر على من حرم هذه الصورة وأفتى بها.

فأقول: لا ينكر عليهم إلا بناء المسألة على أصل منهد البنيان، ضعيف الأركان، لعدم صحة أصله كما نقلت لك والقول بالإطلاق والتقييد سيأتيك ما يؤيد صحته ويقويه ويزيف ما عداه قول مشيد الأركان، ثابت الأساس والبنيان، كما ذلك محقق مدقق في كتب الأصول، حتى حقق أبو الحسين، حيث قال: إن فقهاء الأمصار في هذه الأعصار يخصون أعم الخبرين بأخصهما مع جهل التاريخ حتى ذكر ابن الإمام أنه إجماع الأصوليين كما نقله عمن ذكروا المطلق والمقيد من باب الأولى فقد نقل بعض

الأصوليين وهو البرماوي الشافعي عن الشافعي أنه يحمل المطلق على المقيد على أي حالة كانت، يعني مع فرض التقدم أو التأخر أو جهل التاريخ فجعل بناء المطلق على المقيد أعلا حالاً من بناء العام على الخاص هذا معلوم لك بأن العلماء تجاوزوا الحد في بناء المطلق على المقيد حتى نقل البرماوي ما سبق ذكره.

والحق استوائهما وإنما ذلك زيادة تأييد في أن بعضهم بنى مطلقاً في باب المطلق والمقيد من غير شرط هذا ولا يخفى أن المطلق والمقيد والعام والخاص باب واحد في متفقه ومختلفه وغير ذلك مهما اتحد الحكم والسبب كما نحن بصدده هذا ما ذكرت لك من نقل الإجماع[1] في البناء مع جهل التاريخ مع أن البناء أغلب ومع أن البناء أهون ومع أن البناء أقوى ومع أن البناء على أربعة تقادير دون النسخ هذه المقويات الظاهرة ظهور الشمس منصوص عليها ملتفت إليها مذكورة في مضانها مرجح بها مع أن التقييد والتخصيص توسعة من الله وصدقة أعطانا إياها فهلا نقبل صدقته، ورسول الله÷ وإن كان في غير هذا الموضع يقول «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» ولفظ حديث آخر «هذا صدقة تصدقها الله عليكم فاقبلوا صدقته» فأين الإخوان عما نقل من الإجماع وأين وهم أهل هذا الميدان أسماعهم من استماع هذه المقويات في هذا الشأن، وكفى لهم سرد أن المقيد أصرح دلالة من المطلق منصوص مقرر مع أن القول بالتقييد ناقل عن أصل قضية العقل والناقل أولى من المبقي.

الله يرشدنا جميعاً إلى ما فيه رضاه ويلهمنا هداه وتقواه، والقول السديد أن يجعلنا ممن ينفق منه ويبادر إليه ويجيبه ويسلك أعلاه.

وبعد معرفتك أيها الأخ ما بني عليه الإطلاق والتقييد من القوة أرجع البصر إلى

---

(١) هنا سقط في الأصل بنحو صفحة.

المقيدات وقد ذكرت لك أني لم ألتزم الإستقصاء فأول مقيد ما ورد في لفظ حديث النهي من التقييد بالظفر أو الظهور على اختلاف لفظ الحديث ويؤيد اعتبار هذا المقيد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[الفتح:٢٤] فحالة النهي وحالة الكف كما صرح بذلك الحديث والآية مقيد بحالة الظهر ورأوا الظفر في الآية والخبر، وذلك قيد معتبر.

ثانياً: ما في خبر الجواز من وجوب مطابقة الجواب للسؤال وقد سئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون وفيها ذراريهم ونسائهم فقال «هم منهم» وفي بعضها «هم من آبائهم» أي في الحكم، وأما الأبوة والبنوة فمعلومة من دون نص وعين الواقعة من هذا القبيل معتمدة على الإعتماد.

الثالث: وهو الإطلاق والتقييد مع حصول التقييد فيها بحالة التبييت مع عدم الظفر فليست من حالة الإطلاق في شيء كما زعمه الإخوان ، وسيأتي مزيد بيان لدفع توهم الابتداع بلا نزاع، وكذلك ما في الحديث الآخر من وطء نساء المشركين وذراريهم بالخيل فقال «هم منهم» فجعل حالة المعركة واشتدادها مبيحة لوطئهم بالخيل وهو مؤيد بكون الظفر كذلك ما في الحديث الآخر من التقييد بجواز قتل الشيوخ إذا كان لهم رأي وتدبير، وكذلك كل مقيد ورد غير ما ذكر فله حكم هذه المقيدات مع تأييد الجواز المذكور بما قال ÷ في حديث التبييت «لا حمى إلا حما إلا لله ورسوله» فنفى الحما وهي الحرمة عن كل أحد ولم يستثنِ إلا حما الله ورسوله وهو من اتبع كتاب الله وسنة رسوله ولا حما لمن عداهما فلا حرمة لمن سواهما، مع اعتبار القيود.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ

﴿كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفتح:٢٥] على أحد تفسيريها في الحديبية أو فتح مكة، وعلى أحد جوابيها وهو الكف السابق في أول الآية أو العذاب الأخف مع جهل الكف أو عدم العذاب مترتب على الإيمان، ولو وقع تزيل أهل الإيمان لما كف ولعذَّب ولم يعلقه بشيء سواه من ذراري ونساء مع اعتبار القيود التي مرت في هذا الإطلاق.

فكفاك ما أوردنا من الحجج على ترجيح بناء المطلق على المقيد وهي حجج أشهر من شمس النهار، ليس على وجهها غبار، جارية على قانون أهل الأصول المختار، المحقق المدقق المعيار، ودع عنك كل شبهة واعتذار، فهذا المقرر لأئمتنا والمختار، المزيل لصدأ الإشكال فهو الغيث المدرار، والمسألة من مسائل الخلاف وبمحط الأنظار، تتفاوت بتفاوت أصولها في الخفا والوضوح والإسفار، وهذه المرجحات لهذه الأصول يميل إليها ذو الأبصار، فما قوي أصله قوي فرعه وزبر في الأسفار، وما ضعف أصله ومأخذه ضعف فرعه وخلي عن القول به في جميع الأقطار، ورُدَّ وبَعُد عن الإعتبار، وقد عرفت أصول الإخوان وضعفها وما قيل عليها وبعدها عن الجمع بين الأدلة مخالفة نقل فكن نظار[1]، ولقد خالطتني الطيش لإخواني الكرام، وإرسالهم الأقلام على إخوانهم أولي النهى والأحلام، إرسالاً ما كنت أظنه فيمن هو دونهم ممن على الطريقة استقام، وكان حقهم الأدب بما أدب الله جدهم بقوله ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[المؤمنون:٩٦] وأدّب موسى بن عمران، وأخاه هارون، بقوله ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[طه:٤٤] والأدب بما هذا حاله يدني إلى الخلق الحسن لذا قال تعالى في معرض الثناء على رسوله مذكراً له ما أنعم عليه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[القلم:٤] وحث عليه لكونه أشرف الخصال، وقد عُد من الخلق الحسن حسن الإنصاف، والتفرد لمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير، وهذا أمر وتأديب للأنبياء

(١) الصواب: نظاراً.

فيمن هو دونهم فضلاً عمن هو أعلا ومن هو في سمتهم الله يرزق أهل الجناب النبوي الخلق النبوي العلوي الفاطمي.

ولقد ظن أهل الجدل أن الشتم الفاحش مع المناظر نوع من المغالطة المذمومة شرعاً وعقلاً عند أهل الحق وذكر الإمام المؤيد برب العزة يحيى بن حمزة في تصفيته أن نقص الغير بنسبته إلى القصور والجهل وإظهار فضل النفس هو المحضور في الدين المثير للعداوة والبغضاء.

هذا وأما عين الصورة المزبورة المذكورة وهو ما ذكره الإخوان وصرحوا وأفتوا بتحريمه مع التنويه بهل يجوز أن يبعث رجل واحد أو أكثر منه غير مقاتلين لإحراق دار من دور المشركين بالتلصص ليلاً وفيها النساء والصبيان، ومن لا يجوز قتله..الخ.

فأقول: أما البعث ليلاً فقد بعث رسول الله ÷ محمد بن مسلمة ومن معه ليلاً تلصصاً لقتل كعب بن الأشرف وبعث عبد الله بن عتيك ومن معه تلصصاً لقتل ابن أبي الحقيق والمبعوثون غير مريدين لقتال بل أخذ رجل بعينه في البعثين وفي القصتين طول تركنا إيرادهما على الكمال لأجله مع إذنه ÷ في قصة كعب بن الأشرف بسببه والقول فيه بما ينكر ومع أنهم أخرجوا كعباً وسلموا عليه وحادثوه وشموا الطيب في مفرق رأسه وأظهروا له الحاجة منهم إلى ميرة الطعام ويجعلون له رهناً وانتهوا به إلى شعب العجوز في ليلة مقمرة ثم قتلوه بعد ما ذكر، ووصلوا إلى رسول الله ÷ وأخبروه بصفة ما فعلوا وما كان منهم، ولم ينكر عليهم بل قررهم وشكر سعيهم وفعلهم، ومسح على من أصيب منهم بأسياف بعضهم بعضاً ففي هذا ما يكفيك في بعض ما يطابق هذه الواقعة وغزو[1] جماعة قليل نحو الأربعة أو الخمسة في ليل تلصصاً غير مريدين قتال جميع من

(١) في الأصل: وعزو.

وجدوا، بل قتل رجل بعينه مع أن في بقية القصة ما يجاوز ما ذكرناه في عين الواقعة المستنكرة لديك أيها الأخ إن كنت نظاراً تفهم ما جرى، وهذا البحث من هؤلاء الأخيار مع التقرير وعدم الإنكار، بل مع الإذن من أول الأمر ولا غبار، مع صحة سند هذين البعثين كما ذكر مزبور مشهور.

وأما بعث جماعة كما ذكر يبيتون المشركين وفيهم ذراريهم ونسائهم فخذه مما سبق في أحاديث التبييت.

وأما الإحراق فأدلته ما بين مجوّز وحاضر ولابد من مزيد بسط في مسألته لارتسام شناعته في أذهان العوام، وما أظنه شنيعاً لديهم إذ فعل بأهل الكفر الطغام.

فأقول: خذ عني الأدلة واعملها[1] إعمالاً يكون به شموساً لأهله.

منها: أنه أمر ÷ بإحراق نخيل بني النظير وهدم بيوتهم أخرجه الأئمة حتى قال الشاعر

وهان على سراة بني لؤي حريق بالنويرة مستطير

وأمر ÷ خالد بن الوليد في خمسين ومائة فارس لإحراق ذي الخلصة وكان بيتاً في خثعم يسمى الكعبة اليمانية ولما جاءه رسول خالد بالبشارة بإحراقها بارك في خيل أحمس خمس مرات ودعائه لخالد بالتثبيت الحديث أخرجه البخاري وأمر رسول الله ÷ بالعرنيين الذين استاقوا الإبل وقتلوا راعي رسول الله ÷ بأن تسمر أعينهم بمسامير محماة في النار فكحلهم بها وطرحهم في الحرة وكذلك تحريق الزبير بن العوام كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق بأمر النبي ÷ وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رواه الأئمة وهو في التجريد في خطبة طويلة قال: أما علمت أن دار الهجرة يحرم

(١) في الأصل: واعلها.

ما فيها ودار الحرب يحل ما فيها إلا بحق.

ومنها حديث عكرمة أخرجه البخاري أن علياً % حرق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم فهذه الأدلة دلت على جواز الإحراق في النفس والأموال على اختلاف أنواعه.

وأما الأدلة التي ظاهرها النهي فمنها حديث ابن عباس أخرجه البخاري أن النبي÷ قال: «لا تعذبوا بعذاب الله» حتى[1] سمع ابن عباس أن أمير المؤمنين أحرق من أحرق، ومنها حديث أبي هريرة أنه قال: بعثنا رسول الله ÷ على بعث فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار» ثم [قال] رسول الله ÷ حين أردنا الخروج «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما» أخرجه البخاري ومما فيه بعض دلالة لمن توهم حديث الهم المروي عن أئمتنا والقوم بالإحراق على قوم لا يحضرون الجمعة بيوتهم وكذلك حديث أبي هريرة سمعت رسول الله ÷ يقول: «إن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه إن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح».

ولهذه الأدلة ظاهر النهي عن الإحراق في المال والنفس إذا عرفت هذا فلي مقدمة يتقرر بها قسمي العذاب في المال والنفس وإن جميع ما وقع من عذاب النار في مال أو نفس يسمى عذاباً لغةً وشرعاً خذ أيها الأخ عني سند هذه التسمية قال تعالى في أهل الجنة بعد أن أحرق جناتهم ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾[القلم:٢٠]، ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾[القلم:٣٣] أي في المال ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾[الزُّمَر:٢٦] أي في النفس فسمى العذاب بحسب الآية عام في النفس والمال ثم لا فرق في مسمى العذاب أن يسمى

(١) كذا في الأصل، ولعلها: حين.

عذاباً أو أصل[1] إلى زهاق الروح أم دونه.

خذ عني أيها الأخ سند عدم الفرق قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور:٢] فسمى الحد عذاباً وهو مع المحصن رجم يوصل إلى إزهاق الروح ومع غير المحصن جلد الغالب عليه عدم إزهاق الروح.

إذا تمهد لك ذلك رتبت عليه ظاهر النهي في (لا تعذبوا) من كون النهي في نفس أو مال والنفس أعم من أن يوصل بها التلف أو مجرد الضرر فالجميع يسمى عذاباً وصارت الأدلة في باب الإحراق ظاهرها التعارض بعضها حاضر وبعضها مبيح، ولا يخفى أن المقرر لأئمتنا أن ما هذا شأنه من الأدلة يجب فيه الترجيح بينها وبطلت إن تعذر الجمع.

وهنا لا يتعذر فإن أظهر الأدلة وأرجحها قوله ÷ في الحديث السابق عن ابن عباس حيث سمع أن أمير المؤمنين كرم الله وجهه حرق قوماً فأورد ابن عباس حديث «لا تعذبوا بعذاب الله» ولا يخفى ما في الحديث من الإشارة إلى أن النهي عن التعذيب ليس مقصوداً لذات التعذيب بالنار، بل يكون له مزيد اختصاص بالله بدليل إضافته إلى الله فعظمه ونهى عنه لكونه عذاب الله لا لكونه ناراً لذا قال بعذاب الله وذلك تأدباً منه ÷ لأن لا تساوي يعتقد فيه الجهال أن من فعل ذلك فهو في العظمة مثل الله يؤيد ما ذكرت لك لأنه لما أحرق أمير المؤمنين بعض من أحرق قالوا له والله ما ازددنا فيك إلا تيقناً إنك ربنا لأنه لا يعذب بالنار إلا رب النار، كما ذلك منقول مزبور فإذا زال هذا المعنى زال النهي لذا قال ابن عباس: لو كنت أنا لم أحرقهم وهذا غاية ما حصل منه من الإنكار على أمير المؤمنين وروى الحديث ولو كان بالغاً إلى التحريم البالغ في الإنكار

(١) كذا في الأصل، ولعلها أَوَصَلَ.

كان لا يخفى مثله على أمير المؤمنين كرم الله وجهه.

ولما كان فعله وهو محرم مع تأخر فعله عن زمان ما ظاهره النهي مع أنه لا يجوز عليه المعصية لعصمته فما ذاك إلا لصارف عن الظاهر قد ذكرت لك ما لاح من الصارف عن إرادة الظاهر يؤيد الصرف عن ظاهر النهي وخروجه عن حقيقته أن في الحديث الآخر السابق عند أن بعث لإحراق فلان وفلان ثم لما أرادوا الخروج قال إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا الله عدم صدور نهي منه ÷ عن الإحراق ولم يكن منه ÷ إلا الإخبار في هذا الحديث بأن عذاب النار له مزيد اختصاص بالله، ولو كان بالغاً حد النهي ونهايته حال النبي ÷ في هذا الأمر بقتلهما مع أنه قد كان أمر بإحراقهما فعرض له ما عرض مما ذكر في الخبر.

فإن قلت: هذا الخبر محمول على النهي بقرينة الخبر السابق فإن ظاهره نهي فالنظر في الخبر الآخر إلى النهي بقرينة النهي السابق في البحث.

قلت: بل الأولى حمل النهي السابق على الخبر وصرفه عن ظاهره إلى الخبر بمرجحات قد سبقت وهي إضافة العذاب إلى الله مع ما قاله ابن عباس رضي الله عنه لو كنت أنا ما أفعله مع فعل أمير المؤمنين كذلك بعد تحقق وقوع ظاهر النهي وفعله حجة أقل أحواله يقتضي الصرف الظاهر إذ الحصر والقصر في «لا يعذب بها» لا يحتمل الحقيقي والادعائي ومع الاحتمال لا مأخذ منه ثم أبني[1] فأقول: لا يخفى عليك أيها الأخ بأن مجارات الخصم (بما مر حاراً وأقول) [2] أمر رسول الله ÷ في حديث أبي هريرة لفلان وفلان ثم نهى في حديث واحد ثم في قصة واحدة في بعث واحد فقد يرجع عن الأمر قبل العمل ورجوعه له محتملات إما أنه نسي تحريم الإحراق ثم ذكر والنسيان في

(١) في الأصل هكذا (ومع الاحتما لا مأخذ منه ثم أبني) وما أثبت تظنيناً.

(٢) كذا في الأصل ولعلها (بما مر حالاً فأقول) والله أعلم.

مقام التبليغ لا يجوز عليه وأمره السابق تشريع مبلغ عن الله منزل من عنده كالقرآن وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وروى الدارمي في مسنده قال كان جبريل ينزل على النبي ÷ بالسنة كما ينزل بالقرآن وإما يحتمل أن ذلك نسخ للأمر والنسخ لا يكون إلا بعد مدة تتسع للعمل ولم يتحقق ذلك، بل الظاهر خلافه فلا يصح النسخ بعد تحقق شرطه، وإما أن الأمر منه ÷ اجتهاد والنهي على فرضه رجوع عنه فهو لا يجوز عليه التعبد بالاجتهاد إلا فيما لا نص للعقل فيه وهذا العقل قد نص عليه بالتحريم لأنه إيلام حيوان، والعقل لا يجوزه مع أن الصحيح أنه لم يتحقق الاجتهاد منه ولا عدمه في الدينية مع أنه لو جعل هذا دليل الوقوع لكان الاجتهاد منه دليلاً ولو جعل دليلاً لورد عليه ما ورد على دليل الأصل فما المخرج عن هذا الإيراد في جميع المحتملات إلا القول بالتأويل والجمع مع ما اخترنا أن ذلك له مزيد اختصاص بالله تعالى، ولذا أتى بلفظ الخبر ولم ينه والحصر والقصر قد سبق الاحتمال فيه مع أن المتبادر أنه الحصر الادعائي تقوية[1] الجمع بين الأدلة مع ما مر من المقويات من ذلك فعل الوصي وقوله فيما سبق.

وأما خبر إحراق قرية النمل فإنها لم تكن المعاتبة من الله سبحانه على الإحراق بل على الظلم ومعاقبة غير المعتدي مع أنه من أهل التسبيح أي التنزيه لله تعالى والإحراق مسكوت عنه وأما الهم بالإحراق بحزم الحطب والتكلم به مع الناس وإخراجه إلى حيز الظاهر مع كونه في مقام التبليغ فدليل على الجواز وإلا لما تكلم به للناس وبلغهم إياه فليس عدم القول منه دليل على التحريم لأنه ÷ لا يهم إلا بالجائز.

إذا عرفت ما ذكر فخذ عني للمقويات للصرف لحديث النهي عن حقيقة غير ما سبق.

---

(١) في الأصل: لمقوية.

فمن ذلك قول أمير المؤمنين (دار الحرب يحل ما فيها ودار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق مؤداه) أن يحل ما وقع بهم في دار الحرب بحق وبغيره فهو حلال على الإطلاق إذ غير الحق في غير دار الحرب حق وكلام أمير المؤمنين % متأخر لا محالة وهو حجة للعصمة والأدلة، وحديث صالح بن محمد بن زائد، أخرجه الترمذي وأبو داود يرفعه إلى سالم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ÷ يقول: «من غل فأحرقوا متاعه واضربوه» وكأن روايته للحديث عند خروجهم إلى أرض الشام بعد ممات رسول الله÷ بمرآى ومسمع من الناس ولم ينكر عليه وعملوا به، وهم أعلم بمواقع الأدلة والجمع بينها، وأحرق أمير المؤمنين % مال المحتكر، وأحرق % مال المربي، وأحرق مجلس جرير بن عبد الله البجلي حين لحق بمعاوية، وأحرق دار مصقلة بن هبيرة حين خرج إلى جرير ولحق جرير بمعاوية، وأحرق % دور قوم بالسواد كانوا يبيعون الخمور، وأحرق عمر دار رجل بالمدينة كان يبيع الخمر كان يسمى رويشد وسماه فويسق.

فهذه أدلة صرف النهي عن حقيقته فلم يتعذر الجمع حينئذٍ بين الأدلة حتى يصار إلى الترجيح بين الحاضر والمبيح والترجيح من رأس القامة قبل النظر كما سبق للإخوان ليس بسديد فيجمع بين الأدلة في باب الإحراق بما ذكرنا من كون النهي للكراهة التي ضد الإستحباب وقرائن ذلك المجاز جمة كما عرفت هذا على القول بأن النهي لم يرد حقيقة في الكراهة.

وأما من ذهب إلى ورود حقيقة في الكراهة فلا إشكال والجمع أولى مهما أمكن إذ هو كلام حكيم يجب إعماله وعدم إهماله ما أمكن، وترجيح الحاضر على المبيح إبطال وإهمال مع استمرار الإحراق في عصره وبعده ÷ كما عرفت ممن عرفت فناهيك به

صارفاً ويا حبذا الجمع بين الأدلة صارف هو ما بين قول رسـول الله أو فعلـه، أو قـول وصي معصوم أو فعلـه، مـع تـأخره قطعـاً أو قـول غـير معصـوم، فتضـمن الإجماع السكوتي، وهي دلالة على جواز حبس النفس أو المال المسمى بالعذاب سواء وصل إلى استئصال النفس والمال بالكلية أو بعضه، وصار العذاب بالنـار مثـل سـائر النكـالات سواء سواء مع ارتفاع إيهام التسوية في التعظيم بين الله تعالى وخلقه، وذلـك مرتفـع في زمننا وجرى ذلك سنة بالأدلة مع كون الجميع عذاباً داخلاً في مسمى العذاب في النهي السابق، فلو قيل إنه مهجور الظاهر أساء الأدب مع الدليل فلم يبق إلا ما ذكرت لـك من الجمع السابق، وإليه جنح كلام بعض الأئمة منهم الإمام النفس الزكية محمـد بـن عبد الله، والإمام الحقيني مع النص منهما بجواز إحراق الـدار بالـذراري والنسـاء وأن يرموا بالمنجنيق الجميع إذا تحصنوا إلى أن يؤدي إلى استئصالهم أو الظفر بهم كما ذكره في سيرة محمد بن عبد الله النفس الزكية.

قال أبو طالب: ولا يعرف فيه خلاف والإحـراق في عـين الواقعـة مـن جـنس هـذا الإحراق في النفس والمال فإن ادعى أن القتل بالإحراق والقتل بغيره مختلفان.

قلنا: اختلاف آلةٍ والكل جائز والفرق بينهما فرق بالآلة كالفرق بـين القتـل بالمثقـل والمحدد، والفرق بالمثقل والمحدد فرق ملغي إذ هو اخـتلاف آلـةٍ موصـلة إلى إزهـاق الروح، فمع جواز التبييت للدار كما عرفت بجواز أن يتوصل إلى ذلك بهدم أو قتـل أو إحراق ولا فارق ومع قيام أدلة جواز الجميع من مجموع الأدلة.

فنقول: القتل والهدم والإحراق جائز قامت به الأدلة على السواء يصح فعله في كـل حالٍ مع اعتبار المقيدات التي وردت بها الأدلة كما سبق، وشرط التقييد حاصـل وهـو الإتحاد في السبب وهو الكفر مع الدار مع عدم العهد، والحكم هو الجـواز فـيمن هـذا

حاله مما ورد به الدليل مع قيده وقد خرج بنا الحد في السير إلى مسألة الإحراق من حيث هي بأصولها لترتب جر عين الواقعة وهو الإحراق عليها، وذلك مزيد بيان.

الله يجعل الأقوال والأعمال والأفعال خالصة لوجهه الكريم وثم مزيد بيان لم يذكره الإخوان قد يظن استنكاره وهو استقلال هؤلاء الجماعة الفاعلين عين الواقعة من غير رأي الإمام ولا من يقوم مقامه وليس ظن الاستنكار بسديد فخذ عني الدليل من قصة أبي بصير وأبي جندل بن سهيل بن عمرو المشهورة المزبورة فإن أبا بصير خرج إلى رسول الله ÷ هارباً من مكة مع صلحه ÷ مع قريش والتزامه أن يرد كل من وصل إليه من مكة يريد الإسلام فلما وصل إلى رسول الله ÷ أبو بصير أرسلت قريش رجلين يردّا عليهم صاحبهم بالعهد، فرده ÷ مع الرجلين اللذين أرسلت قريش فلما وصلوا ذا الحليفة قتل أبو بصير أحد الرجلين بسيفه وأقبل الآخر منهما إلى رسول الله÷ يشتد في سيره مذعوراً!! فقال: ويحك! مالك؟ فقال: قتل صاحبكم صاحبي ثم أقبل أبو بصير إلى رسول الله ÷ متوشحاً للسيف فقال: يا رسول الله وَفَتْ ذمتك وأدى الله عنك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتتن أو يعبث بي فقال رسول الله ÷: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال»، ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص بذي المروة على ساحل الحرب الذين كانوا يأخذون طريقهم إلى الشام وبلغ المسلمين اللذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ÷ «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال» فخرجوا إلى أبي بصير بن عتبة بن أسيد بن حارثة بالعيص، واجتمع إليه جمع كان منتهاهم ثلاثمائة رجل منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فكانوا يقطعون الطريق ويأخذون العير بما عليها، ويقتلون من وجدوا من قريش حتى ضاق بقريش الأمر ذرعاً، فوصل أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله ÷ وتضرع إليه يبعث إلى أبي بصير وإلى[1] جندل ومن

(١) كذا في الأصل، والصواب: وإلى أبي جندل كما تقدم.

معهما فيقدمون عليه وأذنوا إلى رسول الله ÷ أن يقبل من خرج منهم إليه ففي هذا الدليل والقصة وما قاله رسول الله ÷ غناً فإن قول رسول الله ÷ ويل أمه[1] مسعر حرب لو كان معه رجال تقرير لأبي بصير في جواز فعله في القتل المستقل به من غير رأي رسول الله ÷ في حال الصلح، ثم في قوله لو كان معه رجال إخبار له بجواز ما فوق ذلك وهو احتمال رجال يفعلون جنس ما يجوز فعله من النكاية بأهل الكفر من دون تفضيل، فدلهم بما قال على الجواز ولم يكن ذلك نقضاً منه للصلح وأيضاً فإن فيه دلالة على أن العالم إذا أفتى غيره بجواز النكاية لمن صالحه بجنس ما يجوز فعله بمن صالحه لم يكن نقضاً إذا لم يكن ذلك الغير تحت وطأته داخلاً في صلحه، وإلا لكان مشاك[2] والمشاركة نقض، فصار قوله تبليغ عن أمر الله تعالى لأمر يحصر المشاركة مع الصلح، فقد استقلوا في زمن النبي ÷ برأيهم وجدهم واجتهادهم فيما قدروا عليه من النكاية الجائزة من غير تفصيل من النبي ÷، ولو كان بأمره وعن رأيه لكان عذراً، فلم يكن منه ÷ إلا الدلالة لهم على جواز جنس الفعل وتركهم فإذا قد وقع من قوم في زمن رسول الله ÷ ففي زمن الإمام أولى وأحرى، وكذلك مع عدم الإمام في جنس ما يجوز فعله بأهل الشرك من جنس النكاية التي قامت على جوازها الأدلة مع التقييد أن المعتبرة فعين الواقعة تبيت وقد جاز من قليل غير مريدين قتال على الإطلاق، وقد جاز في ليل وقد جاز تلصصاً، وقد جاز مع الإحراق، وقد جاز في زيادة لم يلتفت إليها الإخوان وهي انفرادهم برأيهم من دون رأي من يرجع إليه، وقد جاز بجنس ما يجوز فعله بالكفار مع عدم اعتبار اختلاف المتوصل به إلى النكاية لأن اختلافه وصف ملغى كما ذلك مقرر.

---

(١) في الأصل: معه، وما أثبتناه هو الصواب.

(٢) كذا في الأصل ولعلها مشاركاً.

وقد جاز من مجموع الأدلة في إجراء عين الصور الواقعة فما من قيد في الصور الواقعة إلا وقد أورد عليك دليله وإياك والتفرقة بالمتوصل به فيصير قولك ملغاً كالوصف الملغي، الله يرشدك ويثيبك[1] ويؤيدك فأنت من أهل الحلم والنهي هذا مع أن أئمتنا في كتبهم أعلاها وأدناها وأوسعها وأوسطها نقلوا أن الأمة بين قائلين ومن جملة النقلة المؤيد بالله قال في شرح التجريد: فذهب عامة العلماء إلى أن غزوهم في ديارهم جائز وروى زيد بن علي % عن أبيه عن جده عن علي % لا يفسد الجهاد والحج جور جائر كما لا يفسد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غلبة أهل الفسق ثم قال وهذا كالتنبيه على جواز قصدهم في ديارهم مع أهل الظلم كالحج ثم قال بعد كلام طويل تخلل منه قول الفريق الثاني من العلماء والذي عندي أن الغزو يجوز بغير إمام، وأن الإمام ليس شرطاً فيه كما أن الحج لا يكون شرطاً فيه، ثم قال ما معناه: وحاجة الجيش إلى رئيس يجمعهم كحاجة قافلة الحاج إلى رئيس يجمع شملهم ولم يشترط في الحج فلم يشترط في الجهاد، وليس من الركون إلى الذين ظلموا في شيء.

ثم قال بعد ذلك: فوجب بذلك صحة ما ذهبنا إليه ويوضح ذلك قول علي %: لا يفسد الحج والجهاد جور جائر انتهى معنى كلامه هذا كلام الأئمة مع الأدلة مع قول أمير المؤمنين مع أنه كلام العلماء فلا ابتداع في غير محل النزاع بل نزاع وكيف يكون الابتداع مع هؤلاء الجحاجحة مع قول الوصي الحجة مع شموس الأدلة الواضحة، فليت شعري أين سند هذه المقالة وأين الدليل على هذه الدلالة، مع أنهم في معدن الرسالة، وبيت الجلالة، فكيف تكون نسبة الجهالة من بيت الجلالة إلى بيت الجلالة مع قيام الدلالة. الله يرزقنا عين النظر بعين الحق بحق النبي وآله لا قوة إلا بالله هذا فأما النيات فالله أعلم بها.

---

(١) كذا، ولعلها يثبتك.

فإن كان أول العمل واعتراض يام إلى الطريق فهو عمل صالح يرضي الرب، والآخر أن من جملة من حث وقام ودعا وصرح بالتكفير ونقل ذلك إلا علماء[1] وإن كان أخر العمل فالظاهر الصلاح لترتبه على عمل صالح ومعنى مع نأي الديار عن أهل العمل لنا الظاهر والله المتولي للسرائر وضابط ذلك من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فذلك في سبيل الله ومن خالف ذلك فهو مهاجر أم قيس الذي ورد فيه «من كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، وكما قال ÷ في الأجير هو أجير إلى آخر قطرة من دمه.

وأما النظر إلى المصالح والمفاسد في وقوع مثل هذا بالمسلمين فذلك أمر يرجع فيه إلى مراقبة بارئ البريات فرسول الله ÷ بايع أهل الشجرة على النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وهذا من النصح يجب على من فعله أن يتوقى ما يوجب أن يصيب المسلمين مثله أو أكثر منه وإلا فعل قبيح أن له يتوقا ذلك وهو خائن غير ناصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم فشكر الله سعي الإخوان من هو منهم حقيق بالجزاء في هذا الميدان، ورفع لنا قدره ودرجته على مد الأيام، وفي غرف الجنان، هذا وأشكو إلى الإخوان الأخلاء وإلى من يعلم السر والنجوى، قلة حياء من دخل في هذا الميدان، بغير برهان، وادعى أنه من أهل هذا الشأن، فجعل كالغناء والهنهان، وهو جدير خزاه من الملك الديان، حيث يضع اسمه ويلبس ترسمه، ويدعي أنه من أهل العلم وليس بجسمه، ومن الفحول، وطائر الجهل على رأسه يحول، أو أغلب حاله فله مزيد معرفة بمسائل التقليد المأخوذة المحصلة عن الأئمة لا يعلم بأصلها والمنقول، فلقد افترى، ولبس شنعة يتحدث بها الركبان في الورى، ولقد كذب أنه يعلم وليس

(١) كذا في الأصل، ولم يظهر المعنى.

يعلم فلقد كذب وخاب من افترى.

وهذه بلوى ومصيبة يتهور بها صاحبها في النار ويله وما الذي اعتراه وجرأه على التلبيس بأنه من أهل النظر والفتوى، كل ذلك ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، الله يبقي ويبارك ويرفع ذلك الشخص في عمره ودرجته الذي هو أصل الكلام في هذا المقام فهو واحد ظفر بنيات الفكر فاعترض وأودعها المرام والله يعلم أنا في غربة تنهد منها الجبال، وتتصاغر بجنبها الأوعال، الله يفرج ويبقي في هؤلاء البقية من الإخوان ، هذا ما نسخ وأقوى[1] ما قيل شعراً: [من مجزوء الكامل]

سكنت بغابغة الزمان   فأصبح الوطواط ناطق

وتصاهلت عرج الحمير   فقلت من عدم السوابق

تم الجواب.

(١) في الأصل: وأقو.



جواب الإمام عليه السلام في وجوب تسليم الواجبات إليه والرد على المخالفين

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي أنا نعلم أن مدار الإمام فيما يراد منه، وما يقوم لأجله، على حقـوق الله تعـالى ومصيرها إليه، والجهاد الذي هو سنام الدين وأجل فرائضه لا يقوم ولا يتهيأ إلا ببذل الأموال، وتجنيد الأجناد، وبذل الرغائب، وكذلك غيره من مصالح الدين، ومعاشات المحتاجين، وتعهد المسـاجد والمناهـل، وإحيـاء العلـم والتـدريس، وإطعـام الطعـام، وارتباط الخيل وغيرها مما يدور أمرها عليه، مثل الانفاق على المعاقـل والعهـد، وغـير ذلك من حيث أنه لولا بيوت الأموال وحقوق الله لما أمكنـه النظـر في شيء مـن تلـك الأمور، ولكان كآحاد الناس، ولم تستقم له راية، ولا كان على أمانته آيـة، فسـبيل مـن وفقه الله للقيام بحق الإمام تعظيم هذا الحق الـذي للإمـام في قلـوب أهـل الإسـلام، والحث عليه، والدعاء إليه، ومن التفريط في جنب الله، والإساءة إلى الإمام الـداعي إلى الله، ما اعتاده كثير من المتسمين بالفقه، والمنتمين إلى التشيع، المدعين للتمييز من التثبيط للناس عن تسليم الحقوق إلى الإمام، والترخيص لهم في ذلك والإفتاء لهـم، إن ولايـة زكاتهم إليهم، ومدار النظر فيها عليهم، والإمام موجود بين أظهـرهم، يطلبهـا مـنهم، ويزعمون أن ذلك هو المذهب المختار، والذي دعاهم إلى ذلك التحامـل عـلى الإمـام، وكراهتهم الصلاح لأمره والانتظام، والتهافت على أخـذ الزكـوات، والولـع بالأخـذ وهات، بحيث لو أنهم رضوا عن الإمام، وحصلوا منه على المرام، ما أفتوا بما أفتوا بـه، وهل هذا إلا اتباع للأهواء، وخبط كخـبط العشـواء؟! ولا يحمـل الفتـوى إلا لأهـل الاجتهاد، والنظر الوقاد، ولذي الترجيح بين القيم والصحيح، وأما من رأى كلامـاً في كتاب، وتلقى تلقي مرتـاب، فحقـه السـكوت والوقـوف عنـد حـده، لـيس بعشـك فادرجي، وهذا المذهب مشهور نسـبته إلى أبي طالـب، ويـروى عـن الهـادي والنـاصر وابن العباس.

وظاهر كلام الانتصار أنه إنما عزي إلى الهادي %، لما في سيرته أنـه نهـى عـن أخـذ الزكاة ممن يأتي من البلاد التي لا يليها؛ لأنـه لا يحمـيهم، وإن سـلموها طوعـاً جـاز، وهذه رواية الله أعلم بصحتها، والتعليل بعدم الحماية عليل، وليس الزكاة كالجزية، ولا العلة في وجوبها الحماية لأهلها، وإنما هي عبادة مالية بحيث حُمِـيَ صـاحبها أم لم يُحْـمَ، أمن أم لم يأمن، ويمكن الاستدلال بهذا على ضـعف الروايـة، فمثـل هـذا التعليـل لا يصدر عن مثل ذلك الإمام الجليل، وقد قال % في الأحكام: وإن كان في الزمان إمـام حق فإليه استيفاء الزكوات جميعها من أصناف الأموال الظاهرة والباطنة، وإلى من يـلي من قبله، وله أن يجبر أرباب الأموال على حملها له ويستحلف من يتَّهم باستخفائها.

قال في الانتصار: وحكي عن الناصر أنه قال: وللإمام المطالبة بزكاة الأموال الظـاهرة والباطنة، وليس لأربابها أن يدفعوها إلى من يحبون من قرابـاتهم، ويلـزمهم دفعهـا إلى الإمام أو إلى من يلي من قِبَلِه بأمره ليدفعها إليه، وللإمام أن يعزل من يغلها.

قال الإمام يحيى: فهذان الإمامان قد توافقا وتطابق كلامهما على قبض الزكاة إلى إمام الحق والعدل.

قال الإمام عز الدين بن الحسن: وليس في كلامهما × تصريح ولا تعريض، بأن ذلـك مقصور على جهة دون جهة، ولا على ناس من دون ناس، ولا أنه متوقـف عـلى نفـوذ الأوامر.

ثـم نقـول لأهـل تلك الفتـوى، المتبعين للأهـواء: قـد نـص في الياقوتـة وغيرهـا عـلى أن الأفضل عند أهل هذا المذهب الصرف إلى الإمام، فإذا أفتيتم به فلِـمَ لم تعرفـوا العـوام بأن الأفضل خلاف ذلك؟!

ثم نقول لهم: قد ذكر الفقيه العلامة يوسف بن أحمد عثمان[1] في الزهور وغيره في غيره، وحكوا عمن حكوا عنه، أن هذا مع عدم مطالبة الإمام بالحقوق، وأما مع مطالبته بالحقوق فكون أمرها إليه إجماع.

ثم نقول لهم: قد نص أهل المذهب على أن للإمام [أن] [2] يلزم الناس مذهبه فيما يقوي به أمره، فأين أنتم عن الإلزام وعن وجوب الإلتزام؟!

ثم نقول لهم: هلَّا قصدتم وجه الله في العوام، بأن تفتوهم بما هو الأحوط لهم في دينهم، فإن القائلين بأن ولايتها إليهم يقولون بأن صرفها إلى الإمام أفضل، والقائلين بأن ولايتها إلى الإمام يقولون: صرفهم لها بأنفسهم لا تجزيهم، ويصيرون آثمين مطالبين بها في الدنيا والآخرة، فأي شيء هو أولى لهم تسليمها إلى الإمام فيقع به الخلاص لهم إجماعاً أو تفريقها بأيديهم فيصيرون عند البعض آثمين مجرمين مفرطين، بل أعظم من هذا أن الإمام المنصور بالله % نص في المذهب أنه من أخذ الزكاة في عصر الإمام معتقداً جواز الأخذ كان ردّة لرد ما علم ضرورة، وإن أخذ مع علمه بالتحريم كان فاسقاً، وهكذا يكون عنده حكم الصارف إذ لا فرق، فهلا إذ كنتم قصرتم في منصب الفتوى، وإنما قصدتم الحكاية حكيتم هذا المذهب الفاجع الزائغ المقتضي للهرب مما نص هذا الإمام الجليل على أنه ردة وكفور، نعوذ بالله من السلوك في مسالك الغرور، فتبين أن المفتي بذلك المذهب من أهل الأهواء والأغراض، والقلوب المراض.

واعلم أن مذهب أبي طالب في هذه المسألة بخصوصها ضعيف جداً، وقد وقفنا

---

(١) الفقيه المحقق العلامة المدقق يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان، سكن ثلا بهجرة العين، وكان مأوى لطلاب العلم، وتوفي رحمه الله سنة ٨٣٢هـ، ومن مؤلفاته (الزهور، والرياض على التذكرة، والمنتزع من الانتصار) وغيرها.

(٢) في الأصل بدون أن، وإنما أثبتناه ليستقيم الكلام.

لبعض العلماء على نسبه فيه إلى الغلط، ثم إنا نوضح ضعف هـذا المـذهب بوجـوده[(١)] غير ما تقدم ذكرها.

أحدها: أن نقول تسليم الحقوق إلى الإمام حق من حقوقه الواجبة على الأنام، وقـد صرحتم بسقوطه على من لم تنفذ أوامره عليـه، ولم يكـن في أهـل الناحيـة التـي تظهـر عليهم طاعته، وتشتد عليهم وطأته، فهل تقولون: ساير حقوقه التي تجب له من طاعته ومحبته، والالتزام بعروته، والجهاد بين يديه وإجابة داعيه، وغير ذلك ساقطة عن [من][(٢)] تلك صفته كسقوط تسليم الحقوق إليه أولاً؟

إن قلتم نعم هي كلها ساقطة عنه كسقوطه، كان حاصـل كلامكـم أن مـن لم تنفـذ أوامر الإمام عليه، لم يتوجه الخطاب بوجوب طاعته إليه، فيكون وجود الإمام في حقه كعدمه، ولا يثبت للإمام حكم من الأحكام إلا في حق مـن جـرت أحكامـه وأقلامـه عليه، حتى لو لم تنفذ أوامره إلا على أهل محله لم يكن إماماً إلا لهـم فقـط، ولـو لم تنفـذ أوامره على أحد لم يكن إماماً لأحد، وكان كواحد مـن النـاس، وهـذا إبطـال لقاعـدة الإمامة، وتنكيس لها على الهامة، وهذا مما لا ينبغي أن يقول به مميز من الناس.

وإن قلتم: إنه لا يسقط عمن لم تنفذ أوامره عليه إلا ذلك الحق مـن حقـوق الإمـام فقط وبقية حقوقه واجبة وإن لم تنفذ أوامره عليه لازمة، قلنا لهم: هاتوا لنا بمخصـص وأبرزوه الذي قضى بـأن الإمـام إمـام في جميـع الأحكـام إلا هـذا الحكـم الخصـوص فخروجه عنه منصوص وهو تخصيص في غير مخصص، وفرق في غير فارق مخلص.

وثانيها: أخبرونا عن مقالة الخلفاء الراشدين، والأئمة الهادين [في] الذين كانوا عن تسـليم

---

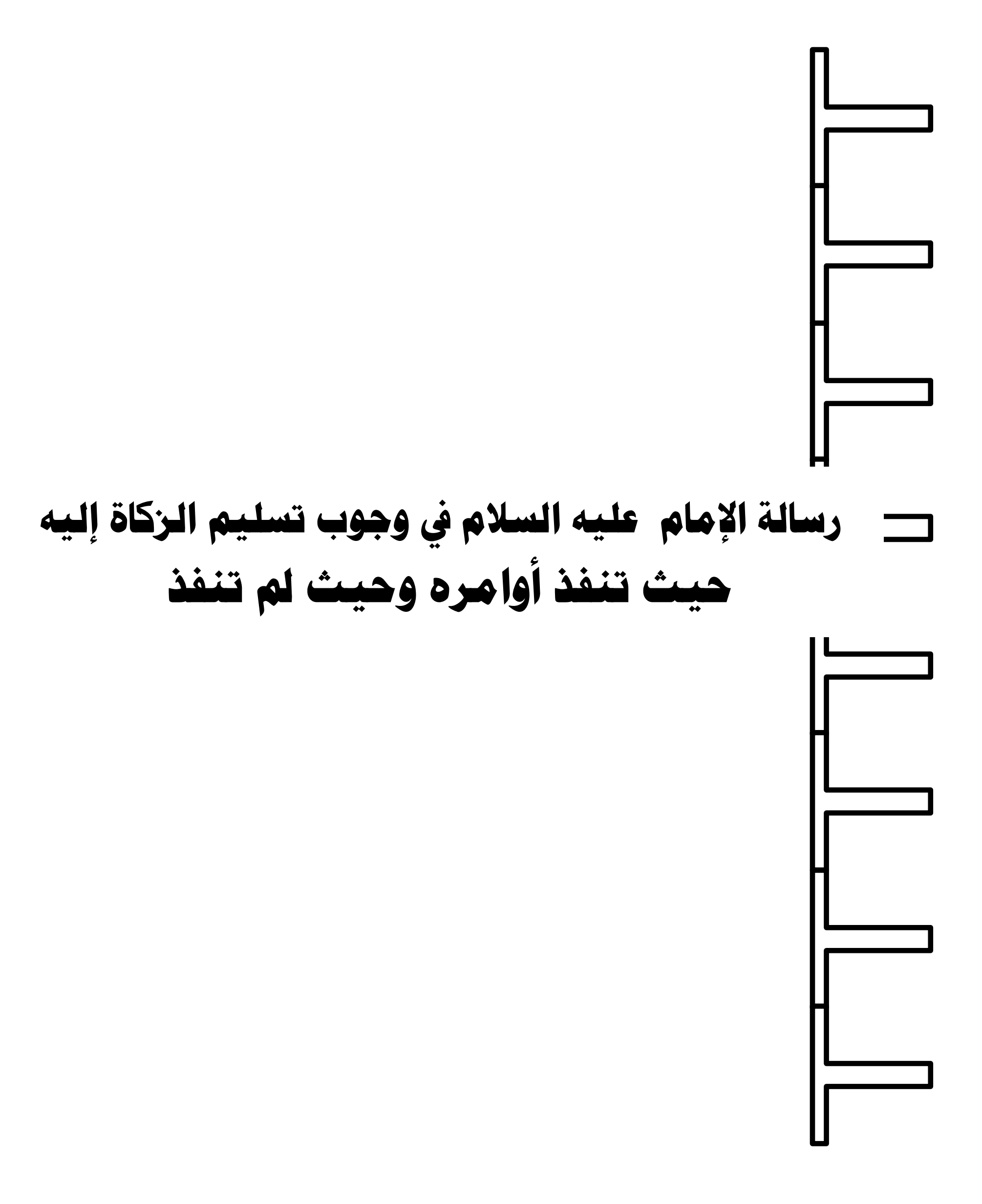
(١) هكذا في الأصل، ولعلها: بوجوه.

(٢) ما بين الحاصرتين ليس في الأصل، وإنما أثبتناه ليستقيم الكلام.

الحقوق إليهم متمردين، هل قاتلوهم على أمرٍ كانوا يستحقونه عليهم، وولايته إليهم أو لا؟

إن قلتم الثاني فقد جعلتموهم باغين، وعلى من قاتلوهم معتدين، وإن أجبتم بالأول فقد أبطلتم ما ذهبتهم إليه، وعرفتم أن لا تعويل عليه، ولولا عموم ولاية الإمام لما ساغ له أن يقاتل مانع الزكاة عنه، إذ لا يقاتل إلا من لم تنفذ أوامره عليه، وقد قلتم لا يجب عليه أن يسلم الزكاة إليه.

وثالثها أن نقول: أليس الإمام إذا دعا فهو في حال دعوته، ومبدأ أوامره لا تنفذ أوامره على أحدٍ من الناس، بلا إشكال في ذلك ولا إلباس، فلو أن الناس كلهم مع معرفتهم لصحة إمامته، وجمعه لشرائطها، واعترافهم بذلك منعوه من الزكوات، والحقوق الواجبات، وقالوا: لا ولاية لك على ما لدينا من الحقوق؛ لأن أوامرك لا نفوذ لها علينا فنفرقها على المستحقين بأيدينا، أليس كلامهم صواباً على رأيكم؟ فاخبرونا كيف يستقيم أمره مع ذلك، ويتهيأ له الجهاد، ومنابذة الظالمين، والنظر في مصالح الدين، فإنه لا يستقيم له حاله إلا بما يقع في يده من بيت المال، وهذا أمر ظاهر لا يدفع، ومكشوف لا يقنع، فتبين لك بما ذكرناه وأوضحناه أن هذا المذهب لا ينبغي أن يعول عليه، ولا يلتفت إليه، ولا يفتي به من أراد وجه الله والدار الآخرة، وإنما يفتي به أهل الأهواء الباطنة والظاهرة، ويكفيك عن ذلك كله أن الأدلة الدالة على ثبوت ولاية الإمام في ذلك لم تفرق بين من تنفذ أوامره عليه، ومن لا نفوذ لها في حقه، وأنه لا يعلم للقول بالفرق في هذه المسألة حجة ولا دليل يتوجه إليه والله أعلم بالصواب.



رسالة الإمام عليه السلام في وجوب تسليم الزكاة إليه حيث تنفذ أوامره وحيث لم تنفذ

جواباً على السيد العلامة محمد بن عبد الله المرتضى بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم وفقنا وإخواننا وأشياعنا لما يرضيك، وزحزحنا عن سلوك جادة ما يسخطك، وامتطاء كاهل معاصيك، اللهم إنا نعوذ بك من هفوات المزالق والمداحض، ونسألك اللطف يا ذا الجلال حتى يكون لنفثات الهفوات وكثيف أدرانها راحض[1].

والصلاة والسلام على من بعث بأكمل الأديان، وأوضح التبيان، وعلى آله الكرام الكاشفين لكل معضل قرناء القرآن.

وبعد.. فقد سألت أيها الأخ أرشدك الله ورفع قدرك عن مسألة جليلة القدر، عظيمة الخطر، أجلّ حق من حقوق الإمام المفترضة على الأنام، وهي تسليم الزكوات إليه، وصيرورة قليلها وكثيرها وظاهرها وباطنها[2] بيديه، ورمت حاصلاً نافعاً جامعاً للأقوال والأدلة، دافعاً للتضعيف منها، نافياً لكل شبهة وتعلّة ينتفع به السائل، ويقر به الناظر، ويطيب الخاطر، ويحسم بحسامه مادة المعنى، ويقطع به لجاج المناظر.

فنقول:

[الأدلة على أن ولاية الزكاة إلى الإمام]

اتفقت الأئمة الأعلام، والفحول من علماء الإسلام، أن ولاية الزكاة إلى الإمام، والحجة على ذلك، والدليل على ما هنالك، قول الله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[التوبة:١٠٣] الآية.

---

(١) قال في حاشية على نسخة أخرى ما لفظه: كذا في الأصل والظاهر يقتضي نصب راحض خبراً ليكون لأن اسمها ضمير يعود إلى اللطف ولكن يفوت توافقي السجع فإما أن يقال هو على لغة ربيعة في الوقف على المنصوب بالسكون أو أن تكون تامة وراحض اسمها أي حتى يوجد راحض لنفثات... الخ. أو يكون اسمها ضمير شأن والجملة خبره. تمت. من سماحة مولانا الحجة مجد الدين بن محمد المؤيدي أيده الله تعالى.

(٢) الزكاة الظاهرة كالأنعام وأموال التجارة والباطنة كالذهب والفضة ونحوها.

وقوله÷: «أمرت أن أخذها من أغنيائكم وأردها في فقرائكم» والإمام قائم مقامه÷ في الأحكام وحفظ بيضة الإسلام.

وقوله÷ لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: «أعلمهم أن في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم».

وقوله÷: «ادفعوا صدقاتكم إلى من ولّاه الله أمركم» رواه ابن عمر، وقوله÷: «أربعة إلى الأئمة الحد، والجمعة، والفيء، والصدقات» وعلى ذلك جرت عادة السلف الراشدين، من الأئمة الهادين، بل ذلك معلوم لديهم ضرورة كما ستعرفه إن نفذت أوامره، وبعد الطلب مطلقاً، حيث كان مذهبه وجوب عموم الطاعة، واختلف السيدان[1]، مع عدم نفوذ الأوامر وما المراد بها.

فاعلم وفقك الله وهو أن ثمة أصلاً يرجع إليه، وهو أن يقال: هل شرعت الزكاة في المال تعبداً أو في مقابل الحماية والأمان؟.

شاهد الأول الأدلة الواضحة، والبراهين اللائحة، وسيأتي، ولا سبيل إلى الثاني إذاً لأشبهت الجزية، ولسقطت مع عدم ذلك مطلقاً، وجد الإمام أم لا، ولا قائل بذلك، ولما جاز للإمام قتال أربابهاعليها أبداً أو حكم ببغيهم حيث قاتلوهم على ماليس إليهم.

فإن قلت: إنما جاز للإمام قتالهم لوجوب الطاعة فهي فرع عن ثبوت الولاية.

قلنا: يرد سؤال الإستفسار فيقال ما المراد بالطاعة هل مجرد القول فقط أو الإمتثال للأوامر والنواهي وتسليم الحقوق والإذعان أو الطاعة في بعض الأوامر والحقوق دون بعض؟ الأول باطل، فليس الدين قولاً بلا عمل، وإن كان الثاني فهي من جملة ذلك بل

(١) هما الإخوان المؤيد بالله وأبو طالب.

أعظمها، وإن كان الثالث فهلمَّ المخصص والفارق أن وجوب طاعة الأئمة والولاية في بعض الحقوق دون بعض، ولا تجد[1] إلا كون الزكاة ممن يخضّم ويقضم.

فإن قلت: إن النبي÷ لم يأخذ من أهل مكة.

قلنا: إن صح فلعدم القدرة لما سنذكره من بثه÷ للسعاة، ولأن القول بعدم ولاية الإمام لعدم نفوذ الأوامر يؤدي إلى بطلان الإمامة، ونكسها على الهامة، ويلزم التمانع والدور، ألا ترى أن الإمام في أول أمره ومبتدأ أحواله وقيامه، إذا كان لا يجب تأدية حق من حقوق الله إليه إلا بالقهر والإجبار، ولا يتمكن من القهر والإجبار إلا بتأدية حقوق الله إليه، فقد توقف كل من الطرفين على الآخر ودار، وكل رأي يلزم منه الدور فهو رأي أعمى في[2] ركوب دهماء هذا دليل عقلي، واضح جلي، وإنما الإمام واحد من المسلمين يجب عليه الدعاء وعليهم الإجابة، لا يكلفه الله فوق وسعه وطاقته فهل يجوز لمسلم أن يحقر جانبه، ويثبط عن طاعته وإجابته؟ مع أنا نقول المراد بنفوذ الأوامر نفوذ الدعوة وبلوغها بنحو الرسل والرسائل، كما نقله عن الأئمة السيد العلامة الشرفي في كتابه المسمى (ضياء ذو[3] الأبصار) وأن تفسيره بغير ذلك سهو من أبي طالب %، مأخوذ من كلام مصنف سيرة الهادي % لا غير، بل ذكر الإمام الهادي عزَّالدين ابن الحسن عن بعض الأئمة أن ذلك غلط محض من أبي طالب %، وأن عموم كلام الهادي % يقضي بخلافه.

قال % في الأحكام ما لفظه: وإن كان في الزمان إمام حق فإليه استيفاء الزكاة كلها من أصناف الأموال الظاهرة والباطنة، وإلى من يلي من قبله، وله أن يجبر أرباب الأموال على حملها، ويستحلف من يتهم بإخفائها. انتهى كلامه في الأحكام.

---

(١) في نسخة: ولا يجب أن يكون المخصص إلاّ كون الزكاة.

(٢) في نخسة: وركوب.

(٣) كذا في الأصل، والصواب (ضياء ذوي الأبصار).

قال % في مجموعه ما لفظه: والزكاة كلها إلى إمام المسلمين من ولد رسول الله÷[1] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة:١٠٣] ثم أمر خلقه أن يدفعوا ذلك إليه فقال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ﴾[الأنعام:١٤١] يقول لا تدفعوا إلى غير المحق، فإذا عدمت الرعية هذا الإمام ولم يوجد على ظهر الدنيا شرقها وغربها، وجب أن يقسموها في خمسة أصناف بين الفقراء والمساكين وابن السبيل والغارم وفي الرقاب، ويتركوا الثلاثة. انتهى كلام الهادي % في الأحكام والمجموع.

قلت: وعموم الدليل يقتضيه نحو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ...﴾[الأنفال:٢٤] الآية. وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾[النساء:٥٩] وقوله÷: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم» فعلق وجوب الإستجابة، والوعيد على الدعاء وسماع الإجابة، وأن المقصود بنفوذ الأوامر بلوغ الدعوة، وأيضاً فإن الرسول÷ بعث السعاة في طلبها إلى أقاصي البلاد وأدانيها، وأوهاطها وصياصيها، كعمرو بن العاص إلى بني الجلندي[2] فإنهما سلما[3] وأطاعا وأقام لقبض الواجبات وإقامة الجمعة والحدود إلى أن مات÷، وأرسل÷ علياً كرم الله وجهه، ومعاذاً، وأبا موسى إلى تخوم اليمن حتى قال معاذ: أئتوني بكل فليس ولبيس[4] فإنه أيسر عليكم

---

(١) قال في مجموع رسائل الإمام الهادي % : والزكاة كلها إلى إمام المسلمين من ولد رسول الله÷ الذي يحكم بكتاب الله رب العالمين، ويسير في رعيته بسيرة جده خاتم النبيين، لقول الله عز وجل للرسول÷: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...﴾ إلخ.

(٢) في نسخة: ابني الجلندي مَلِكي عُمان.

(٣) في نسخة: أسلما.

(٤) قال في حاشية على نسخة أخرى ما لفظه: وفي حديث معاذ أنه كان يقول في اليمن: ائتوني بخميس أو لبيس أخذه منكم في الصدقة، الخميس الثوب الذي طوله خمسة أذرع، ويقال له المخموس أيضاً ويقال: سمي خميساً لأن أول من عمله ملك في اليمن يقال له الخمس بالكسر، وقال الجوهري: الخمس ضرب من برود اليمن فاستعارها للثوب. =

وأنفع لمن عند رسول الله÷، وأرسل إلى النجاشي وغيرهم ممن أرسل÷ لقبض واجباتهم طوعاً منهم لا إجباراً لهم، فمن منع من ذلك يكون عاصياً لله ولرسوله؟ أم غير عاصي؟ لعدم نفوذ أوامره÷، فحصل من هذا وجوب تسلم الزكاة إلى الإمام بعد ظهور دعوته مطلقاً[(١)].

فإن قلت: قد شفيت بواضح الدليل، حر الغليل[(٢)]، فما حكم من أظهر إلى الداعي إلى الله، والذاب عن دين الله، كما ذلك عادة كثير من المتشيعين وأهل التدريس في كتب المفرعين، فلا يزالون يفتون بعدم تسليم الواجبات إلى الإمام، وصرفها من دون إذن منه، فما حكم الصارف والآخذ والمفتي؟

قلت: ذكر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة %، أن من أخذ الزكاة في عصر الإمام معتقداً لجواز الأخذ كان ردة لرده ما علم من الدين ضرورة، وإن أخذ وهو عالم بالتحريم كان فاسقاً[(٣)].

قال الإمام عز الدين بن الحسن %: وكذا يكون عنده حكم الصارف إذ لا فرق، ويعضد كلام المنصور بالله ما ذكره الهادي % في، وصيته التي خطها عهداً بينه وبين ربه أن قال: «واشهد أن الجهاد بالنفس والمال أفضل ما تعبد الله به عباده، وأن تاركه بعد

تمت. من مولانا مجد الدين المؤيدي أيده الله تعالى.

(١) أي سواء نفذت أوامره أم لا.

(٢) في نسخة: جرح العليل.

(٣) قال في حاشية على نسخة أخرى ما لفظه: أقول وبالله التوفيق لا يجوز أن يؤخذ هذا الكلام على ظاهره أو عمومه قطعاً لأنه يلزم منه تكفير القائلين بجواز أخذ الزكاة في عصر الإمام حيث لا تنفذ أوامره وهم أهل المذهب الشريف، ومنهم الإمام الأعظم أبو طالب % فيجب أن يحمل على أن المراد من أخذ الزكاة في عصر الإمام معتقداً عدم وجوبها أصلاً أو أنه لا يجوز إعطاؤها إلى الإمام مطلقاً حيث تنفذ أوامره وحيث لا تنفذ والتأويل الأول أصح.
وأما كلام الهادي إلى الحق % فيحمل على أن المراد من ترك الجهاد معتقداً عدم وجوبه مطلقاً ليكون رداً لما علم من الدين ضرورة من وجوب الجهاد والله ولي التوفيق، من سماحة مولانا مجد الدين بن محمد المؤيدي رحمه الله تعالى.

ظهور واحد منا أهل البيت كافر بالله جاحد، ولله سبحانه معاند، هذا قول يحيى بن الحسين وعليه يموت». انتهى كلامه %، ولم يفصل بين مال ومال، وهذا أمر مقلق فيجب على كل مسلم الإنتباه، وسلوك سبيل النجاة، ويصحح ما قاله الإمامان[1] ×، ما كان من أمر الصحابة في شأن بني حنيفة وأشكالهم الذاهبين إلى ما ذهبوا إليه، وذلك أن بني حنيفة لما مات النبي÷ امتنعوا من تسليم الزكاة إلى أبي بكر وقالوا: قال الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ والخطاب للنبي÷ وأبو بكر لم يخاطب بالأمر بالأخذ، ولا صلاته سكن لمن أخذ منه[2]، فنحن نفرقها في فقرائنا، والصحابة قد صاروا أغنياء، حتى قال قيس بن عاصم المنقري شعراً: [من الطويل]

حبوت بها من منقرٍ كل بائس　　　وأيأست منها كل أطلس طامع

وقال قائل بني حنيفة: [من الطويل]

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا　　　فواعجباً ما بال دين أبي بكر

يورِّثها بكرٌ لمن كان بعده　　　وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وإن التي سألتموا ومنعتموا　　　لكالتمر أو أحلى لدي من التمر

فلما كان منهم ذلك استشار أبو بكر الصحابة في شأنهم، فكان من رأي عمر الإمساك عن حربهم، وتركهم يصرفونها لمن عندهم، لقوة شوكتهم، وقرب عهدهم بالإسلام، وتشدد أبو بكر وقال: والله لا أباقيهم إذاً يصير فعلهم سنة في الإسلام، ولو منعونا عقالاً، أو قال عناقاً مما أعطوه رسول الله÷ لحاربتهم عليه، فصوبه الصحابة وأجمعوا على حربهم، وأرسل أبو بكر إلى مجاوريهم من المسلمين ليأخذوا الحذر منهم

---

(١) الهادي والمنصور بالله ×.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾.

ويحفظوا أطرافهم، حتى استتم أمره، وبيتهم الصحابة، وقتلوهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً فيما أتى به، وَسَبَوْهم وقتلوهم والأذان في مساجدهم، وكان في الصحابة أمير المؤمنين علي %، وأخذ خولة بنت يزيد أو بنت جعفر سبية واستولدها محمد بن الحنفية، وكذلك الصهباء بنت ربيعة من بني تغلب واستولدها محمد آخر، ورقية وعمر وغيرهم[1]، مع أن إمامة أبي بكر لم يكن مقطوع[2] بها لأنهم لم يثبتوها إلا بدعوى الإجماع، ولم يستقر إجماع مع خلاف بني هاشم، وأفاضل الصحابة كأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والمقداد، وسعد بن عبادة، وغيرهم، بل قال الحسن بن علي بن داود %: إن الذي تخلف عن بيعة أبي بكر ثلاثون

---

(١) قال في حاشية على نسخة أخرى ما لفظه: اعلم أيها المطلع أن أهل الردة أصناف منهم من ارتد عن الإسلام كالذين أحاطوا بالمدينة وخرج أمير المؤمنين لقتالهم، وكبني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وهؤلاء أجمع الصحابة على كفرهم وقتالهم وسبيهم، ومنهم من أنكر وجوب الزكاة أصلاً وهم كذلك كفار لإنكارهم ما علم من الدين ضرورة، وذلك تكذيب لله تعالى ولرسوله÷، ومنهم من أنكر وجوب تسليم الزكاة إلى أبي بكر خاصة وهؤلاء لم يجمع الصحابة على كفرهم وسبيهم ولم يقاتلهم أمير المؤمنين % ، وقد خالف في سبيهم عمر بن الخطاب حتى أنه في خلافته رد السبايا وأطلق الأسارى منهم وهؤلاء لم يرتدوا عن الإسلام وإنما وافق أبا بكر على مقاتلتهم بعض الصحابة بناء على أنهم أنكروا وجوب تسليم الزكاة إلى الإمام من حيث هو لا بخصوص أبي بكر.

قال الإمام يحيى شرف الدين في سياق كلام ما لفظه: فمما نذكره هنا أنك قد عرفت أن أبا بكر في أول خلافته كان خلاف العرب وكانوا على ثلاثة أصناف كما ذكره أهل الحديث منهم من ارتد عن الإسلام ومنهم من منع الزكاة وهم صنفان:

أحدهما: من اعتقد سقوط وجوب الزكاة بعده÷، والآخر: من لم يعتقد سقوط الوجوب.

قال الإمام محمد بن عبد الله الوزير: وحديث الثلاث الفرق مشهور، وقيل: امتنعوا من تسليمها إلا إلى من يفيد النبي÷ ولايته يوم الغديروالله أعلم.

قال الإمام شرف الدين % : وهذان الصنفان لم يخرجوا من الإسلام...الخ. كلامه انتهى من الجزء الثاني من لوامع الأنوار (٥٨٨ / ٥٨٩).

وأما خولة الخنفسية أم محمد بن أمير المؤمنين % فقيل إنها من سبايا المرتدين الذين ذكرناهم سابقاً من بني حنيفة، وقيل: إنها ليست من السبايا بالكلية، فينبغي التأمل والتثبت في مثل هذا، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب. تمت من أنظار شيخنا السيد العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي أيده الله تعالى.

(٢) في نسخة: مقطوعاً، وهو الصواب لأنها خبر يكن.

ألفاً والقائلون بها سبعون ألفاً، لأن جملة الصحابة في الحرمين مائة ألف، رواه عنه القاضي عامر بن محمد الذماري[1]؛ لأن الذي حكموا عليهم بالردة لأجل إنكارهم أن الزكاة إلى الإمام لما عرفوا هذا من دين رسول الله÷ ضرورة، وممن أجمع الصحابة على ردته كندة بحضرموت لسبب يتعلق بالزكاة، وهو أخف وأهون من هذا، وذلك أن زياد بن لبيد[2] -رحمه الله- أخذ منهم الزكاة فخرج في سهم الصدقة ناقة نفيسة تسمى شذرة، فأراد صاحبها إبدالها بجمل آخر، فكره ذلك زياد، فتداعى الأمر إلى الحرب، فقام مع زياد البعض، ومع صاحب الناقة البعض، فأجلب عليهم المسلمون وحكموا بردتهم، وقتلوهم وسبوا ذراريهم، وكانت شذرة أشأم من البسوس بين بكر وتغلب[3].

ومن ذلك ما كان من بني ناجية فإنهم طلبوا من علي % إلحاق نسبهم بقريش، فلم يصح له ذلك، فوجدوا عليه ومنعوا من تسليم الصدقة إليه عامين، عام صفين والعام الذي قبله، حتى فرغ لهم وقتلهم وسباهم وأخذ من سبيهم، فما ترى في حال هؤلاء ومقاتلتهم وحكمهم[4].

وأما كلام الأئمة وإجماعهم على أن الإمام متى طلبها من كل من أمكنه إيصالها

---

(١) القاضي العلامة التقي المحقق شيخ المشائخ أخذ عن الإمام الحسن بن علي بن داود %، والإمام القاسم بن محمد% وغيرهم، وناصر الإمام القاسم وصحبه، ثم ولده المؤيد بالله، وتوفي بخولان العالية سنة ١٠٤٧هـ.

(٢) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان، صحابي شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وخرج إلى مكة إلى النبي÷ وأقام معه حتى هاجر، وشهد المشاهد كلها، ولاه رسول الله÷ حضرموت قاتل المرتدين هناك بقيادة الأشعث بن قيس وبعث به في وثاق إلى أبي بكر.

(٣) قال في حاشية على نسخة أخرى ما لفظه: أصحاب الأشعث بن قيس .

(٤) قال في حاشية على نسخة أخرى ما لفظه: هم ارتدوا فعلاً وهذه أسباب الردة وليست تلك الأسباب هي الردة بنفسها لأن بني كندة أصحاب الأشعث بن قيس وبني ناجية ارتدوا بعد ذلك عن الإسلام وهذا معلوم من السيرة والله ولي التوفيق. تمت من مولانا مجد الدين المؤيدي أيده الله تعالى.

وجب عليه ذلك وإلاّ حورب فشاهر ظاهر كما فعل الهادي % في قتل أهل مجز[1] بجهات صعدة وتغنم أموالهم، وبني الحارث ونجران لما تغلبوا على الزكاة، وما نقلناه لك وحكيناه إلا ما ذكره الأئمة ورووه كالإمام عز الدين بن الحسن في كتابه المعروف بـ(العناية التامة في تحقيق مسائل الإمامة) مع نقل بعض ألفاظه.

وأما ما حكاه الإمام الهادي يحيى بن الحسين %، والإمام يحيى في (الانتصار) حكاه عنه الإمام عز الدين، وما حكاه المحقق العلامة الشرفي في (ضياء ذوي الأبصار) وغيرهم من الأئمة، وهو مذهب الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم سلام الله عليه، وهو مذهبنا وبه نقول ونعمل ونلزم، وأما المفتي فلا يخلو أن يكون حاله حال الآخذ والصارف، وإلا فمن البدع الشنيعة، والأمور الفضيعة، ما ظهر من أهل الزمان من التصدي للفتوى والخبط فيها خبط العشوى، من دون أن ينتظم المفتي في سلك أهل الانتقاد الفارقين بين الصحيح والسقيم، ومن كان كذلك فحقه السكوت كما قيل ليس بعشك فادرجي.

وخير أمور الناس ما كان سنةً وشر الأمور المحدثات البدائع

وقد تجرّم الإمام عز الدين ممن حاله كذلك وتوعد، لولا الرجوع إلى العفو والإغضاء، مع أنه يقال للمفتي إن كان مطمح نظرك كلام أهل المذهب، وليس وراؤه عندك مأرب ولا مذهب، فما المانع إن كان مطلبك رضى الله بالفتوى أن تفتيهم بالأفضل عند أهل المذهب، وتبين لهم أن للإمام أن يلزم الناس بمذهبه فيما يقوى به أمره، ويوصل مأربه، كما هو نص أهل المذهب، أين أنت عن الإلزام بوجوب الالتزام وكان عليك أيضاً أن تعلمهم أن التسليم إلى الإمام أحوط وأخذ بالإجماع، وخروج من

---

(١) مجز: بفتح فسكون مديرية من أعمال محافظة صعدة وتبعد عن مركز المحافظة ٣٠ كيلاً شمالاً وهي من مراكز قبائل بني جُمَاعة إحدى قبائل خولان، المعجم (٢/ ١٤٠٧).

الورط، وإن صاحبها يكون مشاركاً في أجر الجهاد، وثواب النزال والجلاد، ولهذا كان تسليمها عندهم إلى الإمام أفضل لأنه يصرفها في المصالح العامة العائد نفعها على كافة الأمة، ولهذا جاء عن النبي÷ «أنه يقال للعابد ادخل الجنة وحدك فإن نفع عبادتك إنـما كانت لك وحدك، ويقال للعالم ادخل الجنة واشفع لمن شئت أن تشفع فإن نفع عبادتك بالتعليم كان لك ولغيرك » بخلاف الدفع إلى الفقير، فالمصلحة فيه خاصـة وهـي سـد خلته، مع أنه ممكن الأخذ بالطرفين بأخذ الإذن من الإمام ولما كان التسليم إلى الإمـام، مستجمعاً لهذه الفضائل حرص الشيطان على ترك التسليم إليه، وقد حذر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[المائدة:٢] مـع أن القائم في زماننا هذا بين أناس قد أخذت الفانية بأزمة قلوبهم، وقل المؤمنون فيهم، فلا ترى من يلتفت إلى الدين، ولا إلى من يدعو إليه، ويذب عن حوزة الإسلام والمسلمين، إلا بإعطاء شيء من الدنيا وإطعامه منها، وإلا أضرب عن الدين صفحاً، وطـوى عنـه كشحاً وأضر بأهل الإسلام، وتابع الفجرة الطغام، فكيف يحسن عدم التحريض عـلى شيء لا يثبت الالتزام للإمامة إلا به، وإلا صار رسم الدين خالياً عن الأنيس، لم يفق[(١)] منه إلا على أخبار طسم وجد يس[(٢)]، وقد استرسـل الكـلام، والحـديث ذو شـجون، ولكن لا يخلو من فائدة، فخذ ذلك أيها الأخ موفقاً.

وحُكْمُنَا قد أذنا[(٣)] لمن أخذ الإذن في تصرف ثلث واجباته في مصرفها، وثلثين يسلم إلينا لنصرـفها في مصـارفها الشرـعية، وإلا فـنحن منزهـون عنهـا وحسـبنا الله ونعـم الوكيل. تمت الرسالة النافعة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال شيخ الإسلام العلامة الجهبذ الحافظ الأورع أحمد بن إسماعيل القرشي بَـلَّ الله

---

(١) في نسخة: لم يبق.

(٢) قال في حاشية أخرى ما لفظه: طسم قبيلة من عاد انقرضوا وجديس كأمير قبيلة، والصـواب بالحـاء المهملـة أفـاده في القاموس. تمت.

(٣) في نسخة: قد أجزنا لمن أخذ الإذن منا في صرف ثلث.

بوابل الرحمة ثراه: نقلتها من خط منشئها إمامنا أمير المؤمنين المتوكل على الله المحسن بن أحمد حفظه الله، وكان إنشاؤها في شهر ربيع الأول سنة اثنين وسبعين ومئاتين وألف.

جواب الإمام (ع) على حاكم وادعة

وهو السيد العلامة علي بن العباس بن المؤيد في مسائل هامة

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولاً[1] ما رعفت به معاطس المحابر، وفتحت به أمهات الدفاتر حمد من أينع أثـمار النعم، في دروح الفضل والكرم، واقتطاف فواكه الصـلاة والتسـليم عـلى هـذا النـور المستطيل، والنعمة الكبرى والفضل الجزيل، المؤيد بالتنزيل، المخـدوم بـأمين الـوحي جبريل، وآله أهل كل فضلٍ جميل.

وأنها وردت المذاكرة المفيدة، والنصائح السديدة، من تلقاء الأخ العلامة البقية مـن الآل والعلامة، غرة أهل المعارف، وتليد العلوم والطارف، وروض الفوائد الـوارف، جمال الإسلام وبدره المشرق التام، علي بن عبـاس بـن الإمـام لا بـرح في ظـل العافيـة والإنعام، متحفاً بشريف السلام الذي يفوق المسـك في الختـام، ويضـاحك الزهـر في الأكمام، وتلك اللؤلؤة التي سطعت أنوار بلاغتها، وصلت فوصلت ملابس السرور ، وأفرغت أسحار الحبور، ونطقت أن في الزوايا خبايا، والمكرمات عطايا، من غير جهل منا بمقامكم الرفيع، وجنابكم المنيع، في سابق الزمان، وأنكم من جلُّة الأعيان، ولكنها جددت ذكرى حبيب ونفحـة بالطيـب، ولـمّحتم إلى عـذركم عـن المواصـلة وتـرك المراسلة وهو مقبول عند أهل السماح، محمول على أعناق الرياح، خافق بأعلا جناح.

فأما إمامة من لمحتم فقد هديتم إلى الصواب، وعملـتم بقواطـع السـنة والكتـاب، ومثلكم لا يقرع له بالعصا، ولا يقعقع خلفه بالشـنآن، ولا يرمـى وراه بالحصى، فـإن ثمرة الإمامة تحمّل المشاق، في رضا الملك الخلاق، وقد علمتم وعلم المستحفظون مـن حملة الحجة، من أوضح محجة، وأقوم بهجة، وحيـث قـد وفيـتم بـالمرام، لا حاجـة إلى تطويل الكلام.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: أولى.

وأما تلك الأطراف فكان فرض فخر الأشراف أن يعمل بما نصه قلمه، وسوده أرقمه، في الإستدلال بالآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ..﴾ إلخ [الحجرات: ٦] ، فلا نعلم تسليط ظالم، ولا تولية آثم، وأين البلاد التي ظهرت فيها يد ظلم من قِبَلِنَا أو تعميل عامل يرجع ملامة جوره علينا، وإن كانت أمور الحيمة في هذا العام فالعذر أجلا من ابن جلا، وأذْكا من ذكاء، وهو أن هؤلاء الكفرة الملاحدة لما استولوا على بلاد المسلمين واختصت بذلك بلاد الزيدية جعلوهم خَوَلاً ورعية، ترك المسلمون جهادهم والأخذ على أيديهم، فاستحلوا عنادهم فانتصبنا في هذا المقام، وحرضنا أهل الإسلام، وحصلت حروب تذهل الطالب عن المطلوب، والأعداء في قوة من المال معتضدين بالبلاد والرجال، وفي منعة بالحصون والذخائر الثقال، وطالت المدة، وزالت الشدة.

فبعثنا أطفالنا لحث القبائل، وتحصيل كل قوم صائل، فانقادت قبائل أرحب وأسرعوا إلى المطلب، وجهنا معهم من نظن فيه الصلاح، من أهل العلم والفلاح، وأوصيناهم بالرفق بأهل البلاد، وتأمينهم على طريقة الإقتصاد، ومراعاة للمصلحة في جذب قلوبهم إلى طريقة السداد، مع أن الدار قد صارت دار إباحة باستيلاء أهل الكفر عليها، وقوت[1] شوكتهم فيها، وقد ملكها هؤلاء الملاحدة، وشاركوهم بالمساعدة، وصاروا معهم عضداً وساعداً ونصيراً مساعداً، وقووهم بالأموال، وأخلوا لهم الساحة، وسهلوا لهم في غُدار أنها طريق السباحة، فحين استولى الأجناد، على بعض البلاد، لم يتوقفوا على المراد، ولا يمكن ما لمحتم إليه من أخذ الرهائن إذ لم يكونوا على عادة الدولة مطلوبين تجري عليهم النفقات والمصاريف، بل جلبتهم ضرورة التنكيف مع أنَّا في باطن الأمر غير متحوجين عن معدتهم في الخيام، لتمسكهم بطائفة الباطنية من يام، وكون الدار دار إباحة واغتنام.

---

(١) في الأصل (قوة) كذا والصواب ما أثبتناه.

[جواز الاستعانة بالظالمين لمصلحة يراها الإمام]

والاستعانة بمثل هؤلاء الأقوام قد جرت عليها سنة سيد الأنام، وعترته الكـرام، فقد استعان ÷ بأهل مكة وأكثرهم على الكفر والآثام، واستعار أدراع صفوان بن أمية وأخرجه معه في غزوة حنين قبل أن يسلم، وغيره من كبراء قريش بعضهم يستقسم بالأزلام مثل أبي سفيان، وزهير بن أبي أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل ابن عمرو المؤلفة قلوبهم بالعطايا من غنائم هوازن بعد وقعة حنين حتى أنكر السابقون من المهاجرين والأنصار تلك العطايا الكبار فخطبهم وبيَّن لهم أن المقام مقام تأليف، وأنه وكلهم على حسن إسلامهم ورغبتهم فيما عند الله، وتألف بمتاع الدنيا من لم يثبت قدمه في الإسلام، ليرغبهم فيه بما هو مطمح أنظارهم، وبغية أفكارهم، كما ذلك مشروح في مضانه من سير سيد البشر، لمن طالع في الأخبار والأثر، وأنظار أئمة العترة متعاقبة على الإستبصار بمن لم يثبت قدمه في الإيمان وذلك مشروح في سيرهم، ومثلكم لا يقصر في البحث والإطلاع.

وهذا نجم الأئمة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليه استنصر بالأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين وجعله أمير الأمراء، ورأس الكبراء، وهو يعرف خبث سريرته، وسوء سيرته، وعدم خلوصه في جانب الحق، وميله إلى الأتراك، وسيرة الإمام % مشيرة إلى أنه كان يعرف منه عدم الثبات في تلك المدة، ولكنها اقتضت المصلحة وثاقب النظر مسالمته وتجهيزه لحرب الأتراك، وهو شرٌ منهم، قتل والده وكان له سيرة قبيحة شرحها السيد العلامة المطهر بن محمد الجرموزي جامع سيرة الإمام %.

وهذا المنصور بالله عبد الله بن حمزة جعل الأمير حكو بن محمد الكردي سلطان

عساكره وسردال دساكره، وحين قتل في جهران خلفه بالأمير المبارز هلدوي الكـردي المروافي وحين نكث خلفه بورد سار الذي كفر النعمة وانقلب عـلى عقبيـه، وانتصـب لحرب الإمام بعد الكرامة والإنعام، وكذلك بشر بن حاتم اليامي كان يجهزه في سريـاه ويعتمده في مهماته وهو يعلم أنـه بـاطني المـذهب سيء المنقلـب، وبعـد ظهـر غـدره، وانكشف ستره، وعلى الإمـام إمعـان النظـر في المصـلحة العامـة التـي يعلـو بهـا حـد الإسلام، وتقوى بها الشرائع والأحكام، ويجتهد فيها ظنـه الصـواب، سـواء أخطـأ أم أصاب، ومن قصده الإنصاف، وتجنب الاعتساف، نظر في هذه الأوصاف.

الطرف الثاني من أطراف السؤال: أمر بيت قُدَم وقتل حويدر، فأمـا الأول فحـاش الله أن تكون لهم طاعة تقدمت، وإنابة أسلفت، أو تسليم واجب، أو اعتقـاد لازب، وقـد عرفتم دامت إفادتكم إجماع أصحاب رسول الله ÷ على قتال مانع الزكاة حتى قال أبـو بكر: والله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسـول الله ÷ أو عتاقـاً عـلى أحـد الـروايتين لقاتلتهم عليه، ولم ينكر عليه وفيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب وكبـار المهـاجرين والأنصار، وأين الطاعة منهم وهم على أخبث العصيان، وأعظم البهتان.

وأما حويدر فيأبى الله أن يكون قتله بمقالة من ألقى إليكم، أو نسـاعد عـلى سـفك الدماء على غير الشريعة المطهرة، ولكنه نكث العهود، ونقض العقـود، وتعهـد العهـد الأول في أول الدعوة ثم نكث وحارب أصـحابنا، ثـم تعهـد العهـد الثـاني في سـناع، ونكث بعد خروجه من المقام، وصرح بالخلاف، ثـم عـزم وادي ظهـر عنـد الباطنيـة، وحرضهم على الشقاق والمعارضة بحسين الهادي، وحارب وعاند أكبر عناد، واسـتمر على خبث الإعتقاد، فأمكن الله منه من غير عهد ولا عقد، وقتل على الشريعة المحمدية وليس بأعلا حالاً من القاضي مروان مع الهادي الحقينـي، ولا مـن ذيبـان مـع الإمـام

شرف الدين، ولا من طلحة والزبير مع الوصي أمير المؤمنين، ونحن نستعيذ بـالله مـن سفك دم حرام، على غير شريعة سيد الأنام.

وأما العمالات فلا نعلم أي عامل قد أرخينا له الرسـن، ولـيس لنـا عـمال يوصـفون بالجور أو العدل إلاّ مصدقين عند من رغب اختياراً لتسليم بعض الواجبات، وإن كان مثل ابن عباد وابن راجح نجعل لهم ولاية في بلادٍ أيديهم عليهـا قويـة، لمصـلحة نفـوذ الأوامر والتأليف وتقليل بعض الشرور، وكونهم أنهض في الولاية وأقوى على الرعية، وغيرهم وإن كان من أهل الدين وخُلَّص المؤمنين فهو لا يقوى على ما يقوى عليه مـن تأهل للولاية فقد ترك رسول الله ÷ مثل المقداد، وأبي ذر، وعمار، وسلمان، وولى خالـد بن الوليد وفعل ما فعل من قتل بني جذيمة بعد أن أسلموا وأذعنـوا إلى الموافقـة عـلى الإسلام فتبرأ من فعله ولم يعزله بعد قتـل أربعمائـة نفـس مسـلمين، وولى عمـرو بـن العاص غزوة ذات السلاسل على كبار المهاجرين والأنصار وصلى بهم وهو جنب وقد فرغنا من ذكر طريقة الأئمة الكرام، وفيه كفاية بالمرام.

وذكرتم دامت إفادتكم وضع العلايم في خاليات القوايم، فلا جرم أنا نجعل ذلك لمن نثق بأمانته، ونأمن خيانته، لغرض عروض حاجته في البعد لتؤيـد[1] كتـاب أو رد جواب كون بعض الأمور إذا تأخرت فسدت وبطل التدبير، الذي فيه صلاح كل أمـرٍ عسير، ولا نضع ذلك إلا عند الثقات الذين لا يضـعون إلا مـالا يعـد كـذباً ويتقنونـه لسان الحال، وموافق الغرض في المآل، من كتاب أو نضير[2] قد سبق الإذن بمعناه وهو فيما يعود نفعه، ويعم دفعه ولنا سلف، وهو ما ذكره القاضي أحمـد بـن صـالح بـن أبي الرجال في ترجمة السيد العلامة إبراهيم بن الهدى الجحافي أنه كان من خلص أصحاب

(١) كذا في الأصل، ولعلها لتأييد.

(٢) كذا في الأصل.

الإمام شرف الدين % وكان ركناً معه في جهة الأهنوم فكان يضع له علائم في القوائم لعروض مهمات، وبقيت تلك العلائم عند أولاده بعد وفاته إلى حين دعوة الإمام القاسم %، وكذلك الإمام القاسم بن محمد % كان يضع العلائم للقاضي يوسف الحماطي وهو في جهة الحيمة، فلنا أسوة بالأئمة المطهرين، والذي نقم على عثمان هو الركون على مروان وهو عاطل الدين، طريد بن طريد لعنه النبي ÷ هو وأبوه[1] الحكم ابن أبي العاص وطردهما، فبين الأمرين بون كبير، ولنا أسوة بالأئمة الأطهار.

وأما الطرف الآخر وهو تنزيل الناس منازلهم، فنحن إن شاء الله لا نحقر وافد، ولا ندخر موجود[2] بعون الله ، ولم يكلفنا الله فوق الوسع والطاقة، بل نبذل الموجود ونشارك الوفد فيما حصل، ونكون معهم أسوة في حاصل ما عندنا، وهذا غاية ما يجب، والواجب على مثلكم استثبات النقل أو الحضور حتى تكونوا على يقين فيما عرض من الشك واتخاذ الأعوان الصالحين قد طالبناهم فلما لم نجد إلا ناقماً رجماً بغيب أو مائل إلى الدعة والسكون أو معوّل على دنيا يصيبها أو عثرة يعيبها أوسطنا الباب، وأرخينا الجلباب، ومن الله نستمد الثواب، على قلة الأعوان، وأحداث الزمان، وتنكر الإخوان، ونسأله التوفيق، والهداية إلى أقوم طريق، واعذروا عن البسط في الجواب، مع كثرة أشغال تضيق لها الرحاب، والدعاء وصيتكم، وفي حفظ الله لا برحتم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الكرام.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وأباه، إلا أن أراد لغة من يعرب الاسماء الستة بالحركات.

(٢) كذا في الأصل والصواب: ولا نحقر وافداً، ولا ندخر موجوداً، والله أعلم.

أجوبة الإمام (ع) على عدة أسئلة وردت عليه

[سؤال حول الوصية والدرس]

ما يقول سيدي المولى حفظه الله فيمن أوصى ببيت أو نحوه قراءة وذكر أن أجرة الدرس على حسب العرف في كل زمن بعرفه، فإذا كان عرف التالي أنه لا يتلو إلا ختمة قرش مثلاً وعرف زمانه انتقص منه كعرف زماننا فهل تبرأ ذمته إذ الأخص عرف نفسه أم لابد من ملاحظة عرف الموصي؟ فأي العرفين يجب اتباعه؟

نعم وهذا التالي بمنزلة الموصى له بالمنافع والغلات إلى مقابل التلاوة فيكون البيت أو نحوه موقوف عليه أم لا؟ وهل التالي ولو عينه الموصي أو وصيه أو ذو الولاية مثلاً أجيرٌ أم لا؟ وإذا قيل إنه أجيرٌ فهل الإجارة صحيحة وحينئذٍ لا بأس بملاحظة ما اعتبره الموصي من العرف العام أم فاسدة؟ وحينئذ فاللازم أجرة المثل ويهمل ما اعتبره الموصي من العرف العام وهل يكون عرف التالي في أجرة التلاوة مقدم على ما يستأجره أمثاله أم يكون كما قالوا في الأيمان أنه يقدم عرف نفسه ...إلخ؟.

فعلى هذا يتلو إلى روح الموصي بالبيت أو نحوه احتساب ما قد جرى به عرفه من التلاوة أجير أم يهمل عرفه هذا ويرجع إلى اجرة أمثاله في العدالة والتقوى وحسن الأداء؟ فأوضحوا الجواب في هذا تخريجاً للمذهب الشريف أو نصاً له أو اختياراتكم، فالمسألة حادثة، والسائل مسترشد، ولم ير من تكلم في أمثال هذه المسائل، فشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[سؤال آخر في الدرس]

وسؤال آخر من استأجر شخصاً للتلاوة وقال له أدرس بهذا ما تيسر من القرآن وهكذا قد يقول الموصي بموضع أو بيت قراءة والدرس ما تيسر، ما الواجب على التالي؟ هل يرجع إلى أجرة مثله؟ أو يلغي قوله ما تيسر؟ وتبرأ ذمته بما تيسر ولو شرف

الفاتحة، إلا أنه يقال على هذا المتيسر مجهول لا ينضبط في قليل ولا كثير هذا وقد يقال إن عدول الموصي أو المدرس عن تعيين المتلو إلى قوله ما تيسر دليل على اعتبار ما تيسر للتالي، وإن قال إلا أن هذا قد يتم في حق أهل الفقه والمخالطين لهم، وأما في حق العوام فقد لا يسلم أن مرادهم، ذلك فأوضحوا بالجواب الشافي، فالأمر مشكل جداً، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

[سؤال آخر فيه أيضاً]

وسؤال آخر في حضرة سيدي المولى حفظه الله ما يقول سيدي المولى أقام الله به الدين، وأحيا به شريعة سيد المرسلين، آمين، فيما يقع في بيوت القراءة من العمارة فيها وإصلاح الخلل أيضاً ما حكم ما غرمه التالي؟ هل يملك بقدرها في البيت ولا يتلو إلا بقدر ما بقي للقراءة؟ أم يقال يقطع بحساب الغرامة من التلاوة؟ ولا يتلو للموصي إلا بعد استيفاء الغرامة فيبقى البيت جميعه قراءة إلا أنه إذا قطع بحساب الغرامة من التلاوة فقد تكون الغرامة كثيرة جداً فتمضي الأعوام المتكاثرة والميت محروم التلاوة إلى روحه لكون التالي في حالة قطع الحساب في الغرامة من التلاوة.

نعم: وإذا لم يقطع التالي من الحساب شيئاً ثم أوصى بتلك الغرامة لآخر هل يملكها الموصى له أم يكون البيت مشتركاً بينه وبين القراءة؟ ويدرس بحسابها فقط ويقطع بحساب الغرامة كما ذكر أو لا؟ وهل للتالي ولاية في الإصلاح أم لابد من إذن ذي الولاية ولو من جهة الصلاحية؟ وهذا إذا لم يكن هو الموقوف عليه وإنما تسلسلت إليه القراءة ممن عينه الموصي للقراءة أو ممن عينه وصيه فهل تثبت له ولاية على العين الموقوفة والحال ما ذكر أولاً؟ وذلك التعيين المتسلسل إليه باطل وإذا كان المعين للتالي

بالبيت أو نحوه هو الموصي، بأن قالوا يتلو به فلان، وكذا إذا لم يعين المـوصي تاليـاً بـل عينه وصيه مثلاً، فهل للموصي أو وصيه إذا كان هو المعين النقـل إلى تـالٍ آخـر أو لا؟ وهل لهذا التالي المعين المذكور أن يوصي بالقراءة إلى آخر والآخـر إلى آخـر ممـن يحسـن القراءة وهلم جرا أو لا؟ بل يورث عنه ولو كان ورثته نساء أو ممـن لا يحسـن الـتلاوة ويلزمهم أن يستأجروا من ينوب عنهم في التلاوة، ويقال ليس لـه أن يـوصي إلى أحـد ولا يورث عنه، بل تنتقل الولاية إلى الإمـام والحـاكم، ويقـال تكـون الولايـة لورثـة الموصي بالقراءة، وإذا قال الموصي في وصيته إن البيت مثلاً يكون بنظر فلان، يتلو به ثم إلى الصالح، فالصالح فهل هذا تعيين منه في الصالح فمن بعده من الصلحاء فثبـت لـه ولاية أم لا؟ وإذا غرم شيئاً كان متبرعاً.

نعم وإذا كان الإصلاح لا يتم إلا ببيع بعض البيت، فهل له أن يبيـع ولـو مـن نفسـه، بـأن ينصب الحاكم من يبيع إليه وهو يقبل أو لا؟ بل إن شاء عمـر وهـو متـبرع، أو إن شـاء بقّـى البيت ينهدم، وإن بطل غرض الموصي فتفضلوا بإيضاح الكلام على جميع الأطراف.

تم السؤال.

[أجوبة الإمام % على الأسئلة]

والجواب لمولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين، المتوكل على الله رب العالمين، كثَّر الله أنظاره، وأطاب أخباره، لفظه:

[بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

الجواب، والله الهادي أن الذي ترجح عندنا ولا يخلو من ملاحظة قواعد أهل المذهب ونصوصه في الحادثة، ويقع الكلام عليه في الواردة في ثلاثة مواضع:

[أدلة جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن]

الأول: في دليل المسألة، وما يتصل بذلك، فالأصل في جواز أخذ الأجرة على دريس القرآن، حديث الرقية، فمن حيث أنه رقية تحل الأجرة مطلقاً، وكونها رقية متأثر عن الفضيلة أثرها خالصة الرقية، فلا تسوغ لكافر ولا لفاسق ميت ولأنها دعاء ولا لحي، لما ذكرناه مما يتضمن الحضر، كالدعاء لهما بنحو البقاء إذ لا يجوز لغير المؤمن، ومن حيث أن التلاوة عبادة اشترط فيها النية، ومن حيث كونها عبادة متصلة، صحت في أولها، وكونها ذات أجزاء صح تفريق النية عليها، وكون أثرها المقصود فيها متوقف[1] شرعاً على الصحة اشترط فيها العدالة، وحسن التلاوة، ومن حيث أنها مشروعة بالأصالة صحت النيابة فيها للإجماع، إذ لا نيابة في العبادة إلا ما خصه الدليل كنحو الحج، ولما كان العرف دليلاً معتبراً إذا لم يصادم اعتبر، وهو عام وخاص، وناقل ومنقول، فاعتبر كلٌ في موضعه، ثم الأخص فالأخص كالأدلة.

---

(١) الصواب متوقفاً ولعله من الناسخ.

[مسائل تتعلق بأجرة التلاوة]

الموضع الثاني: في المسألة وما يتعلق بها، وهي إذا أوصى ببيت أو نحوه قراءة، فيحتمل أن تكون الرقبة والغلة وقفاً معاً، على المعين فيه دفعه، ثم استثنى الموصي الغلة أو المنافع في درس مستمر، فالرقبة وقف على المعين، أجيراً للدرس مدة حياته، إذ وصية العوام وقفاً، ويتبعها الغلة والمنافع كما نص عليه في الكواكب للمذهب، وتورث المنافع والغلة، ويستثنى عمن لا يحسن من الورثة حتى يحسن، والدرس للمستأجر المعين مدة حياته، وهو الوصي أيضاً للعرف.

ويحتمل أن تكون وصية، والمعين أجيراً بالغلة والمنافع، مقابل الدرس، ووصي[1] أيضاً للعرف، كما نصوا عليه فيما جرى به عرف العوام في بعض البوادي، أنه لا يقف، إلا ويبقى الموقوف تحت يد الورثة، ويقولون وصية جده، وأنه يكون موصٍ لهم بنصف الغلة إلى مقابل الإقامة، ويكون وصياً فلا يحتاج هذا إلى ولاية في الطرفين معاً، إذ هو وصي إلا في التأجير الصحيح له إن أراده، فلا يتولى الطرفين إلا في المعاطاة، فله معاملة نفسه بها وهي غير مملكة.

ومع كونه وصياً في الطرفين للعرف يوصي، وتسلسل الوصية، إذ الوصي يصح منه الإيصاء فيما هو وصي فيه، مالم يحجر لفظاً أو عرفاً، فيجعل الوصية في الصالح من ورثته، وعلى حسب العرف، والتفريق كما يفعل الآن عملاً بالطرفين، وجمعاً بين مقتضى العرفين، ومقتضى المقصدين، من الجهتين المتفقتين، هذا إن لم يعرف انفراد وجهٍ واحد لا غير، بأن يكون وقفاً بلفظه فتورث المنافع والغلة، بعد انتهاء مدة حياة المعين، أجيراً بالغلة والمنافع، ويعين الوصي وصياً بعده، أو يعرف بأنها وصية لا غير، من دون

(١) الصواب: ووصياً.

احتمال، كأن يأتي بلفظ الوصية، ولم يكن من العوام، أو منهم ولم يكن العرف جارٍ بـأن الوصية وقف، فيكون الوصي أجيراً مـدة حياتـه، فيعـين مصرـفاً أجـيراً ووصـياً عـلى مقتضى مراد الموصي، ولا ولاية لوارث مع وصي، ولا لوارث منافع الوقف به مطلقـاً، إذ انتقال الإرث إليه بالوقف انتقال منفعته لا غير، والرقبة ملك لله، فالولايـة فيـه لمـن هي أصالة، على الترتيب والإجارة ونحوهما في الطرفين فاسـدة، كونهـا لمسـتقبل، وفي مجهول.

وكذلك في الإذن من المستأجر في الدرس ما تيسر، يستحق في الكل أجرة المثل فـيما له أجرة، وما زاد فعلى مقتضى الإذن، ويتبع فيه مقصد المسـتأجر حكـماً، ويحـل الزائـد مقتضى قول النبي÷: «لا يحل مال امرء مسلمٍ إلا بطيبة من نفسه» فـإن لم يعـرف قـدر المتيسر فقدره ماله أجرة عرفاً.

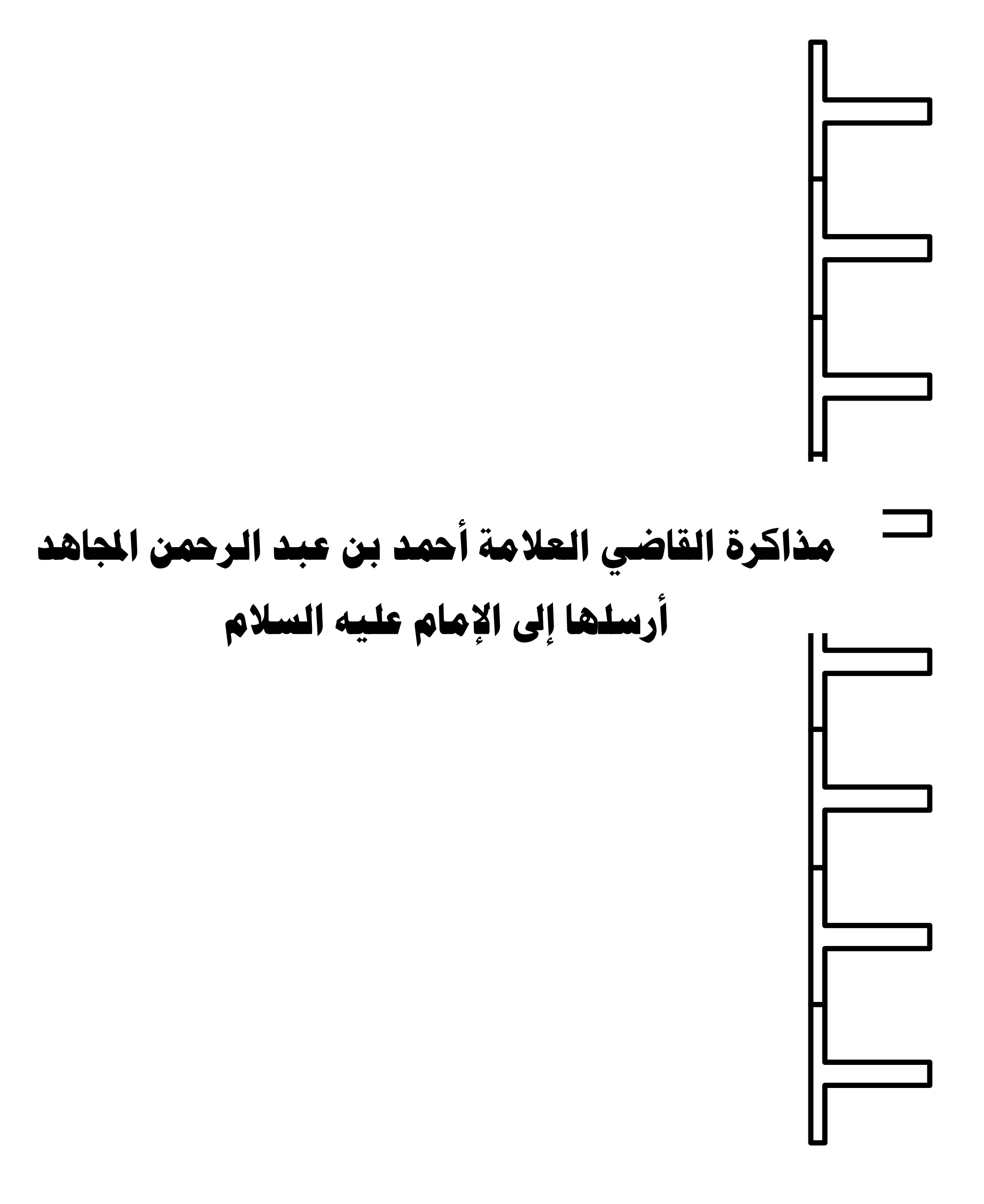
[حكم الزيادة والإصلاح في بيوت القراءة]

الموضـع الثالـث: البناء في بيوت القراءة، وإصلاح الخلل فيها، إذا كانت العمارة بـأمرٍ، نحو المتولي على الوجه المعتبر، وهو بحصول فساد، أو عدم الآلة الأولى، فإن كان البناء بالآلة الأولى، فله أجرة عمله، إن بناها بنفسه، أو غرامته إن بناها غيره بأمره، فإن سكن هذه الدار لزمته أجرتها معمورة، يتساقط المثلان، ويتراجعان في الزائد، وكذلك إن بنى بنيّة كونها لنحو المالك والمتولي بغير آلتها، وزاد زيادة على الأولى، أو غير متميـزة، وقـد حكم له بالإستهلاك، فله غرامته، وقيمة ما زاد، فـإن سـكن هـذه الـدار فعليـه أجـرة العرصة معمورة أيضاً، فيتساقط المثلان، ويتراجعان في الزيادة، وإن بناها لنفسه وأطلق بغير آلتها الأولى أو بزيادة متميزة أو غير متميزة، وقد حكم له بالإستهلاك، كأن غلـط متعدياً، فالبناء له، وعليه أجر العرصة لا غير، إن سـكن، فـإن أراد نحـو المتـولي رفـع

البناء، أو عدم سكناه، كان له الخيار بين طلب قيمته، ليس له حق البقاء، وبين رفع البناء، وأخذ ارش النقص، فإن كان البناء بغير إذن المتولي، أو بإذنه من غير فساد، ولا عدم الآلة الأولى، فلا خيار، ولزم الرفع، وقد عرفت أن التالي هنا هو الوصي عرفاً، فنجري له وعليه أحكام الوصي، نفياً وإثباتاً.

إذا تقرر لك هذا الطرف الثالث، وتمهدت لك ذيوله، عرفت ما يترتب عليه، وما يلزم التالي، وما يتوجه له وعليه، من تمليك منه لغرامة، وتقديم إصلاح، وتلاوة، فإن كان إصلاح، نحو بيت الوقف المختل إصلاحاً، مثل ما كان عليه أولاً، فهو أقدم من المتصرف، وإن انقطع عن الميت الدرس، في أيام التأجير بالغرامة التي أرجعته إلى حالته الأولى، فإن لم يكن البيت مختلاً، أو كان مختلاً، ولكن يريد إصلاحه إصلاحاً أبلغ من الحالة الأولى، جاز ذلك، ولكن مع غناء المصرف لا غير، إذ هو مثل شراء مستغل يفاضل غلة الوقف، فلا يكون إلا مع غناء المصرف، أو يكون من التالي وفيه ما تقدم، ليترتب على ذلك ما يقع الدرس به للميت، وهو ما زاد على غرامة المختل، وانقضاء التأجير لأيام الغرامة، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حرر يوم الربوع خامس شهر الحجة الحرام سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، تم نقل ذلك.



مذاكرة القاضي العلامة أحمد بن عبد الرحمن المجاهد

أرسلها إلى الإمام عليه السلام

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وصلى الله وسلم على، سيدنا محمد وآله وسلم إلى مقام المجد الأصيل، والفخر الأثيل، معدن العلم والعمل والفضائل، ومرد مشكلات المسائل، ومنبع التصانيف والرسائل، حجة الله والخليفة في الأرض، شرقها وغربها وطولها والعرض، مولانا وإمامنا الأواه، المتوكل على الله أيده الله بالمدد، وكثّره بالعدد، وأوسع بسببه لأوليائه، وأطال سيفه لأعدائه، وأهدي إليه أزكى التحيات، ونوامي البركات الغاديات والرايحات آمين.

هذه الحقيرة من الحقير لأداء المعاهدة وأداء السلام، وتقبيل محل الإستلام، ثم لوجوب العمل بما عندكم، فإنه لما أقيمت الحجة عليَّ من العلماء والأعيان، وسيف الإسلام أبقاه الله على التصدر في الشريعة وافتقاد الأحكام، وكان الرأي المفوض من مقامكم ورأوا أن ذلك من فروض العين، ولم يبق لقبول العذر مجال، فاحتجت إلى تعريفكم بذلك، وإن كان قد فعل سيف الإسلام، فليس الخبر كالعيان، لأنها عهدتكم، قمت بها عنكم، ثم لمذاكرتكم في أمور، ليكون العمل بما عندكم فيها.

منها: أن الأحكام قد تناقضت إلى غاية، وتكاثرت الأُجُر عليها حتى ظن الجهول أنها ما كانت إلا لذلك لإظهار الحق فهل تقع المناقشة في ذلك، أو نترك ما هنالك، ونستأنف العمل من الآن.

ومنها: أنه هل ينقض ما خالف المذهب الشريف، أو يبقى لأن من المذهب أنه لا ينقض الحكم إلاَّ بقطعي.

ومنها: أن جماعة من بيت الإمام والسادات، يتنازعون في زكوات، فإن وقع إلزام صاحب المال بالتسليم إلى المنازع، ففاقرة في الدين من جوه عديدة، وإن ألزم بالحق كان

الفوات والأحموقة، وإثارة الشر والفتنة والعداوة والواجب الإلزام بما أمر به الإمام.

ومنها: أن بعض المشائخ ذهب في إجازة الوارث، أنها تصح في حياة الموروث، بناء أنه قد وجد السبب، وهو بعيد والقواعد تخالفه، ويلزم محذور، وهو أنه يصح من الوارث إسقاط إرثه في حياة موروثه، سيما إذا كان الموروث ديناً عند أحد للموروث بل يصح من الوارث بيع العين في حياة الموروث ويكون موقوفاً، ولأن قوله÷ «لا إلا أن يجيز الورثة» يراد منه الحقيقي لأنه الأصل في الإطلاق، نظيره ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾[البقرة:٢٣٣] فلو أريد من نظير وارثاً مثل ﴿أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[يوسف:٣٦] فهو مجاز بلا صارف، والراجح عندي ما هو الراجح عندكم إن شاء الله.

ومنها: جهل مثل النساء أن التراخي ليس من مبطلات الشفعة، وقد صار الظاهر عدم الجهل بكثرة توارد الوقائع عند النساء، إلا من كثر غباوته، والمذهب أنه يعمل بالأصل الثاني، وهو الظاهر على أن المقرر المختار في الأصول، في مسألة الإستصحاب أن الظاهر ينقض الأصل، وهو معنى الأصل الثاني.

ومنها: التحيل في إسقاط الشفعة، قد بالغ الإمام القاسم بن محمد رضوان الله عليه، وبكَّت الفاعلين للحيلة، والقائلين بها، وبالحكم بها غاية التبكيت، ومن ألفاظه أن الله لم يأذن بذلك ولا لرسوله، والعقود لا تنبرم إلا بأمر الشرع، ولا مجال للعقل بل نفاها الله سبحانه على لسان رسوله بقوله: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» والأحكام من العقود التي جاء بها دين الله، ودين الله هو الإسلام، وقد نفى الضرـ والضرار عن الإسلام، والحيل في إبطال الشفعة حق للغير وإسقاطه ضر وضرار ضرورة. انتهى.

ومثله لأولاده المؤيد بالله والمتوكل على الله ×، وقال بقولهم من الأئمة كالإمام عز الدين بن الحسن، فما عندكم ما يرفع الإثم عن الحاكم وما يلزمه الحكم به أو يرد به عن

الإمام القاسم.

ومنها: تصرفات العوام، وأنها في حكم الوصية، وأنه يدخل للمذهب الشريف إذا لم يقع تصريحه بالهبة والنذر ونحوهما أن لها أحكامها، ولو من عامي جاهل، بل صرحوا في أبواب كثيرة أن عرف الألفاظ مقدم على اللغة، منها في الخلع وغيره، ولو لم يكن إلا قولهم وكلاهما كناية طلاق في الظهار، والحال أن صريح القرآن أن له حكم الظهار مع كون السبب أن أوس بن الصامت[1] ما كان يراه إلا طلاقاً ولكنه في ابتداء الشريعة، فبعد استقرار عرف العامة، تنزل الأحكام على ما ظهر واشتهر، وأما من عرف المعنى فلا إشكال فيه فهو محتاج إلى رأيكم في ذلك ضرورة.

ومنها: ما لهج به بعض القضاة أن تحقيق حاكم في شجار كان عنده أو عمار فيما عمر أو نحو ذلك أنه من تقرير الفعل فلا يقبل، والظاهر من المذهب أن الذي منعوا منه شهادة من له نفع أو تقرير فعل إذا كان يوهم المغالبة أو جَرَّ المنفعة إذ هو مظنة تهمة ،ولهذا قبلوا شهادة فاسق التأويل؛ لأنه ليس بمظنة تهمة وإن كان مسلوب الأهلية، ومن المعلوم أن المباشر للعمل مع العدالة تحقيقه أقوى، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤] وعدم ذلك يؤدي إلى مفسدة ومحذور، وهو أنه إذا رجع إلى الحاكم في تفاصيل ما حكم به لا يقبل ويلزم أن الإمام إذا خاصمه خصم أنه يتصرف من بيت المال وأقام حدود الله أو أقام القصاص، وادعى عليه مدع أنه تعدى وأنه يلزم الإمام البرهان والحاكم مثله، وهذا بعيد قطعاً إذ الإمام مقبول أنه فعل نحو ذلك وإن كان تقرير فعله.

ومنها: أن كثيراً ما يقع بيع شيء عملاً بموجبه من دَيْن أو نحوه، ثم ينكشف خلاف

(١) هو الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿الذين يظاهرون من نسائهم﴾ وهو مراد السائل.

ذلك وليس المقصود الأصلي الشراء بل ألجأت الضرورة إليه لظن لزوم الثمن في الذمة ثم انكشف خلافه وكأن يحكم على رجل بنفقة أو أرش أو ثمن غصب أو سرقة فتعذر الثمن فباع مالاً ثم انكشف لحاكم بطلان الحكم الأول وعدم اللزوم فهل ينفذ البيع ويسلم المشتري الثمن كما هو ظاهر القواعد، أو يقال إنه مشروط في علم الله وإن لم يصرح بالشرط، ولا شك أن مسائل الضمير للمؤيد بالله دون المذهب، وكان في الذهن من والدي ٥ أنه إذا تناقل رجلان فبطل أَوْ رَدَّ أحدهما بطل الآخر، وإن لم ينطقا به وقررته على الوالد في حاشية للمذهب وأنه ليس من مسائل الضمير بل يختص هذا بجواز التفاسخ من الجهتين؛ لأنه ما باع إلا لذلك الغرض وليس من يتعين في بيع إلا أنه يشبه على تأدية الثمن ليوم كذا وإلا فلا بيع، ولو قد صرحوا بأنه لا يقاس عليها، ثم بحثت عليها ولم أجدها لعدم الشرح الذي قرأت فيه عن الوالد رحمه الله، ويؤيده أن الإمام الناصر ٥ ألزم بأن من اشترى مالاً بِغِلَّةٍ لزمت الشريك فشروها وباعوا بها مالاً، فإنه أبطل المبيعات وألزم بإرجاع الحب لان بيع الطعام كالئ بكالئ وشراء المال ترتب على ذلك، وهذا معلوم للإمام الناصر، ولعله أخذه مما قلت ولكن القواعد تقضي بخلافه، والمسألة كثيرة الورود وما فهمت وجه ذلك للمذهب، وإن كان في نفسه قوي يتأيد بقول المؤيد بالله.

ومنها: ما اشتهر للمذهب تقديراً، والأمر بخلافه عملاً وفعلاً، وهي مسألة الخط والأخذ للمذهب من ظواهر، وإن لم تقاوم الصريح مثل ومقبض السفتجة ومنكر الوثيقة ما فيها وبرسالة أو وكالة وغيرها.

ومنها: حكم الحاكم المقلد، وقد شرط للحاكم الإجتهاد فهل يكون لحكم المقلد ما لحكم المجتهد، ومقتضى المذهب أن حكمه كلا حكم، والواقع وعمل الخلف والسلف أن له حكم المجتهد.

ومنها: ما تعذر الإحتراز منه، وهو تسارع الناس إلى شهادة الزور، ولا يقع الوثوق إلا بالعدالة، ولو انفتح الباب كان القدح أسرع من أصل الشهادة في المسارعة والتعديل كذلك، ثم قد يؤدي إلى محظورٍ أعظم بأن يخرج مَن ظاهر الحال فيه العدالة ويجرحه من هو أدنى حالاً منه، ويقال الجارح أولى وينسد باب البرهان وفصل الشجار، وإذا رجح العمل بقول المنصور بالله في قبول المستور فكيف يخالف المذهب، فهذه المسائل خطرت في البال، وما بدا بدا، وله مذاكرة فأحسنوا أحسن الله إليكم في تحرير هذه المسائل، والراجح عندكم وما تلزموا فيه الحقير لبراءة ذمة الحقير، ووجوب اتباع أمر الإمام حفظه الله، والمبادرة بها فالحاجة فورية، والله يزيدكم مما أولاكم، وأنعم عليكم من فضائله وفواضله، وحفظه وتأييده آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

حرر في شهر محرم الحرام سنة ١٢٨١هـ، ويتلوه الجواب لمولانا إمام العصر المتوكل على الله أيده الله بعزيز نصره آمين.

ولفظه:



جواب الإمام (ع) على مذاكرة أحمد عبد الرحمن المجاهد

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجواب الشريف أعزه الله على المذكور القاضي أحمد

أما المسألة الأولى: فالأحكام المتناقضة يصحح منها ما وافق المذهب لإلزامنا الحكّام الحكم به، فكل حكم يخالف ذلك فهو باطل، لعدم الولاية فيه، ولا يدخل فيما ذكر في الأزهار أن الحاكم إذا حكم بخلاف مذهبه خطأً فقد نفذ في الظني لأن إمام الزمان إذا قصر الأحكام على المذهب فلم يأذن فيما يخالف، وأما كثرة الأجر فيما مضى فينبغي تعريف الحكام في خطئه من باب البيان، فهذا هو القدر الممكن، وغيره مستعسر أو متعذر.

وأما المسألة الثالثة: فالزكاة لبني هاشم، المعلوم تحريمها، وتقريرهم عليها ليس إلا بمعنى تركهم لعدم المقتضي لمنعهم، وحينئذٍ لا وجه لإجبار من تحرج في التسليم إلى بني هاشم بل لا يجوز، بل يخلى هو وإياهم وإن خشي ظهور مفسدة دفعها الحاكم المرجح بما يقتضيه الحال على النمط الشرعي، وإن أعوز رفع إلينا.

[إجازة الوارث]

وأما المسألة الرابعة: وهي صحة إجازة الوارث لما فعله مورثه من الوصايا حال الحياة فهو صريح الأزهار، والخلاف بين كلام الأحكام والفنون في صحة رجوع المجيز بعد موت المورث، والصحيح ما في الأحكام وهو صريح ما في الأزهار أنه لا يصح الرجوع لأنه إسقاط حق وهو ثابت من قبل موت الموروث بدليل منع الوصي من التصرف إلا في الثلث لأجل الورثة وما في الفنون بناء على أن الإجازة إسقاط حق قبل ثبوته وإن كان المطالبة بالدليل فدليله ما ذكر ولا يلزم محذور أنه يصح من الوارث

إسقاط إرثه إلخ. لأن الشارع أثبت للوارث حقاً مخصوصاً لا يؤثر إلا منع الموروث في الوصية بأكثر من الثلث المنبه عليه لقوله÷ «والثلث كثير لأن تدع ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تدعهم فقراء... إلخ. وأوضحه قوله÷ «لا.. إلا أن يجيز الوارث» فصار حقاً مخصوصاً بشروط معروفة، وإذا اجتمعت وجب الحق، وإن اختل شرط منها تبين أن لا حق للوارث غير ذلك ولا يلزم منه إسقاط الميراث فإنه لا يستحقه الوارث إلا بعد الموت كما نبه النص في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾[النساء: ٧]...إلخ. فليس لهم نصيب إلا في المتروك بعدالموت، وهذا مثل حق الشفعة في المبيع، قصر الشارع الحق على أنه أولى بالمبيع عند البيع بشروط، فلو أسقط حقه في البيع ثم بيع مرة أخرى لم يسقط حق الشفعة في البيع الآخر فهو نظير إسقاط الميراث.

والحاصل أن ما أسقطه في غير ما كملت فيه الشروط فليس بحق ثابت وذلك ظاهر.

[التراخي في الشفعة]

المسألة الخامسة: في جهل النساء، أن التراخي يبطل الشفعة ، أنه قد صار الظاهر عدم الجهل، وقد ذكره الإمام القاسم %، فإذا قد صح هذا الظاهر للحاكم فلا بأس، ولقائل أن يقول إن المشهور في الألسنة اعتقاد أن النساء لهن الشفعة ولو تراخين فإذا ثبت ذلك الظاهر فبها ونعمت، وإلا ففي ذلك تفصيل وهو إن قد تقادم عهد الشراء حتى ظهر للحاكم أن تركهن للشفعة إضراب أو إعراض، فالظاهر البطلان لما يتضمن ذلك من حصول مسقط قولاً أو فعلاً مع العلم بالشراء بالمخالطة والجوار نظير ما قالوا في الشركة العرفية أن الاجتماع والتكافي في الأعمال قد تضمن التراضي بالشركة وإن تقارب العهد بحيث لم يتضمن ذلك فالظاهر ثبوت الشفعة مع التراخي.

[التحيل في إسقاط الشفعة]

والمسألة السادسة: في التحيل في إسقاط الشفعة، فقد كثر فيه الخلاف وشدد كثير من الأئمة% في ذلك، واختيار المذهب معروف، والأولى التفصيل في ذلك وهو إن كان قد وقع التواطئ والتراضي بين البائع والمشتري في شراء الموضع مثلاً ولكن وقعت العقود مفرقة صفقات فالظاهر في مثل هذا أنه وقع انطواء التراضي على بيع جميع الموضع في وقت واحد والتفريق من بعد فهي حيلة باطلة، وإن كان غير المتنازع فيه وإن كان شرى ناصفة الموضع أولا ثم شرى ثانياً قسط[1] لإسقاط حق الشفعة، وهذا محل النزاع، فكلام أهل المذهب قوي من جهة أن ذلك الترتيب لم يسقط حقاً ثابتاً للشفيع لا مباشرة ولا تسبيب كما في قصة أصحاب السبت لما ذكرنا أولاً أن هذا الحق لم يثبت للشفيع إلا بشروط منها بيع المبيع، ومنها وجود أحد الأسباب الأربعة وغير ذلك، فإذا اجتمعت حصل حق الشفيع وهو أنه أولى بالمبيع من المشتري لا غير، ومدار أحكام الشفعة كلها على ذلك، ومن اشترى على تلك الصورة فالصفقة الأولى لم يثبت فيها حق لعدم كمال الشروط، ولا يصح القياس لجامع الضرر لأن الضرر ليس بمنضبط بل وخفي ولا يصح تعليق الحكم إلا بوصف ظاهر منضبط كما قرر في الأصول، كما قرر في القصر في السفر فوقع المناط بالسفر بشرط أن يكون بريداً؛ لأنه مظنة المشقة التي ليست بمنضبطة، وهذا وقع المناط البيع المستجمع للشروط المعروفة ، على أن مسألة الشفعة مما لا نظير له، فلا مساغ للقياس فيه، ونظير ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين علي% أنه أمر من حلف لَيُجامع امرأته في شهر رمضان بأن يسافر بها إلى المدائن ويطأها، فقد فعل ما هو حلال، وإن كان قصده إسقاط ما كان يلزمه لو اجتمعت الشروط.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب (قصداً لإسقاط) هكذا.

[وصايا العوام]

وأما المسألة السابعة: وهو أن تصرف العوام في حكم الوصية، فما ذكره القاضي الصفي عافاه الله فصحيح، بل قد ظهر أن مثل وهبت وتصدقت ونذرت وغير ذلك من الألفاظ التي تذكر للتأكيد والترويح وربما لا يذكرها إلا الكاتب من دون لفظ الواهب فما القصد إلا الوصية، ولهذا يبقى في الغالب تحت يد المالك، وقد ذكر العلماء أبحاثاً في هذه الألفاظ، ولكن العرف مقدم.

وأما المسألة الثامنة: في أنه لا يقبل خوض الحاكم والعمال، فالجواب أن مجرد تقدير الفعل أ والقول مانع من الشهادة لأنه مضنة تهمة في حجية تمام قوله أو فعله لما جبلت القلوب على ذلك حتى يكاد يلحق بالإضطرار، ولهذا قيل المؤمن مصدق إلا في سلعته، ونظيره مما قيل لا ينبغي قبول هبة الظلمة لأنها جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وهذا في الحاكم إذا عزل، وأما قبله إذا شهد على حكمه فمقبول لثبوت الولاية، ولهذا منعوا قبول قول القسام وغيره من دون نظر إلى اتهام، وأما الإمام ومثله الحاكم فهم أمناء الله على خلقه يصدقون فيما قالوا فيما تولوا فيه.

[بيع الشيء عملاً بموجبه ثم ينكشف خلافه]

وأما المسألة التاسعة: في بيع الشيء عملاً بموجبه ثم ينكشف خلافه كأن يحكم الحاكم بنحو نفقة فيبيع المحكوم عليه ثم ينكشف بطلان الحكم عليه.

الجواب ينفذ البيع عملاً بالظاهر الأقوى ولأنه انتهاءَ أشبه بيع المصادر لا على نفس العقد، وأشبه مضمن بيع الكالي بالكالي، وقولهم على تأدية الثمن ليوم كذا وإلا فلا بيع إن قبل بالمضمن، وصحة القياس عليها ومع التردد بين النفوذ وعدمه، والصحة وعدمها، وترجيح الصحة والنفوذ، ويؤيده عدم اشتراط قسط[1] التمليك.

(١) كذا في الأصل، والمراد (قصد التمليك).

[حكم الحاكم المقلد]

وعن التاسعة: حكم الحاكم المقلد المنصوب من جهة الإمام صحيح نافذ سيما إذا عين له قولاً أو مذهباً فيكون كالمعبر، ولهذا يجب على المجتهد العمل بقول الإمام فيما ألزم به وإن خالف اختياره لأنه نائب عن الإمام في عهدته وولايته فيما عين له.

[شهادة ظاهر العدالة]

والجواب عن العاشرة: الذي نراه صحة شهادة المعروف بعدم الزور والكذب مع عدم العدول وسواء قلنا العدالة حق لله أو شرعت لحفظ الحقوق على قول المنصور بالله عبد الله بن حمزة ويكون شرط العدالة مع الإمكان لأن الأحكام الشرعية متعلقها الإمكان، وكما جاز شهادة غيرنا في حال الضرورة ﴿أَوْ ءَاخَرَان مِنْ غَيْرِكُمْ﴾[المائدة:١٠٦] جاز شهادة من ذكر من المسلمين بالأولى، ولأنه جمع بين الأدلة والقول بالنسخ قول به مع إمكان الجمع بين الأدلة وعدم الإهمال اللائق بكلام الشارع، وإلزامنا الحكم بالمذهب المراد به فيما عدا ما نرجح به لدينا وأمرنا به والله أعلم.

ومن أنظاره % ما أجاب به على بعض علماء العصر، وقد سأل عن بعض مسائل الخلاف واستفهم عما اختاره في مطارح الأنظار ومجال الأفكار، فقال % :



جواب الإمام عليه السلام على بعض علماء عصره

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله الطاهرين الأئمة الـذين لا يزالـون عـلى الحق ظاهرين. وبعد .. فإنه سألنا بعض العـارفين أن نحـرر مـا نختـاره مـن المسـائل العلمية ليكون العمل بمقتضاها والحكم والفتوى إن شاء الله بها إذ مسائل الخلاف على جهة الحصر والقصر، مرجعها بلا ريب إلى إمام العصر، فسردت ما حضرني وقدمت ما هو السبب في سؤاله من دون مراعاة ترتيب إذ المقصود الحفظ والإفادة.

[العمل بالخط]

المسألة الأولى: العمل بالكتابة، اعلم أن الكتابة مشروعة كتاباً وسنة، شرعـت لحفـظ الأموال والأنفس والأحكام، وإلا لبطلت شريعتها بالإهمـال، وعـدم الإعـمال، وهـو ممنوع في ثابت أحكام الله وكتابه وسنة رسـوله÷، ولكـن لا بـالفرط ولا بـالتفريط، لا يقال العمل بالكتابة مطلقاً، ولا يهمل مطلقاً، بل يفصل وتنقيح الدليل يدل عليه، فإن كان الكاتب عدلاً لا يتخذ آيات الله هـزواً، ولا يكتـب زوراً ولا عبثـاً، عمـل بخطـه المعلوم وبخط غيره سواء كان حياً أو ميتاً، بشرطه الثابت المرسوم، فإن جهل الكاتـب أو الكتابة أو غاب شرط، فلا يعمل بها على تلك المثابة.

نعم: إنما يعمل بالكتابة، إن لم يعارضها ما هو أقوى منها، وهو موضـع نظـر، لـذي النظر الإمام أو حاكمه المعتبر، بعد عرض نظره على إمامه، قبل عقد الحكـم وانبرامـه، فمسائل الخلاف مرجعها إلى إمام العصر، مـع أن قـد أمرنـا الحكـام والمفتـين بالعمـل بالمذهب الشريف، إلا ما ترجح لدينا وصح عندنا وأمرنا به.

فرع: فإن كان الظاهر دليله أو الغالب أن الثبوت مثلاً لا يكون إلا بوثائق الخط، فالظاهر مع من وثيقة الخط الصحيح بيده، والظاهر أن الثبوت المخالف لها ثبوت تعدٍ وغصب بخروجه عن الظاهر أو الغالب، فيطالب الثابت بالمستند فيأخذ ما في مستنده، ويطرح الباقي، وإن كان الظاهر أو الغالب مثلاً وقوع الثبوت من دون مستند فالظاهر أن الثبوت مقدم على وثيقة الخط ونحو ذلك.

فرع: وقد يخص الظاهر والغالب لوجه ما، نحو أن يكون المال لا يتسامح به من دون كتابة ولا بأقل قليل منه أو بالعكس أو يظهر ذهاب المستند الثابت، أو نحو ذلك من وجوه التخصيص للظاهر أو الغالب، وأما طريق العمل بالخط فالعلم يحصل إما بالرؤية أو من طريق العادة، كما نجد من أنفسنا العلم بخط كاتب أنه خطه من تكرار النظر ومعاودة الإطلاع على الخط المرة بعد المرة حتى يحصل اليقين أنه خط ذلك الكاتب كما ذلك مشاهد، فأما الشهادة على الخط وتحقيق العدل به فيحصل بهما الظن وذلك موضع اجتهاد، وإن دخل الخط احتمال فمرجوع أو مردود على ما يقتضيه الحال.

والحاصل أن الخط دليل من الأدلة مشروع في الجملة في أحكام الله سبحانه، فإن اطرح فلعلَّة لا لذاته.

فرع: وأما نحو الشيم القديمة التي لا تعلم ولا يعرف كاتبها ولا صفاته ولا ثبوته لأحد على ما تضمنته من نحو الطلول والأصلاب فما ذكر فيها بيت مال، والدعوى عليه ولكن من حيث ذكرها للمواضيع تفصيلاً صحيحاً مطابقاً للواقع قرينه أن ذلك المذكور فيها وذريته مهما عرفوا أخص بها من سائر المسلمين إذ استحقاقهم لها من جهة ذكرهم فيها، ومن جهة كونهم من المسلمين، إلا أن الولاية فيها للإمام يضعها حيث

أراه الله وهو حجة الله في أرضه، المؤتمن على مشروع سننه وفرضه، فإن قلت إنما لم يعمل بالكتابة لدخول الريب فيها لاحتمال التشابه في الخط والزيادة والنقصان فالعلة راجعة إلى ذاتها لا لوجود دليل أقوى منها.

قلنا: بل شرعت لما ذكرنا ولنفي الريب ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾[البقرة:٢٨٢]، ومع كمال شروطها المعتبرة المذكورة ينتفي الريب والإحتمال والإهمال، ويتحقق ما شرعه منها ذو الجلال، فالاحتمال راجع إلى أمر آخر لا إلى الذات، فإن قلت العمل بالخط في باب الإخبار دليله واضح فما تقول في العمل به في باب الشهادات التي يشترط فيها اللفظ وعدم التركيب والخط لا يفيد ذلك.

قلت: إن نزل الخط منزلة اللفظ **بدلاً** وهو أقل أحواله إن لم يجعل أصلاً لقوله÷: «القلم أحد اللسانين» وللضرورة عمل به فيها أيضاً بشرطه.

[مسألة الغايب]

المسألة الثانية: من مسألة الغياب، هذه المسألة من مداحض الأقدام، وقد خبط فيها أقوام، وإن كانت من مسائل الفروع إلا أن الدليل قد قام على عدم الفسخ، ودليل الشرع الشريف هو المتبوع، فنقول الدليل على ذلك طرفان، جملي وتفصيلي.

أما الجملي فإنه نكاح ثابت بيقين ولا ينتقل عن هذ الأصل المعلوم بالظنونات والوهوم إلا بدليل يقاومه فنحن باقون على الأصل في حيز المنع، وعلى المخالف الدليل، ومثل هذا الأصل أعني إذا احتملت الأدلة واحتملت رجع إليه استصحاباً له هو اختيار الإمام الأعظم المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد %، ولنا أن نستدل تبرعاً واستظهاراً وتأكيداً لمذهب الإمام الأعظم، إمام اليمن، محي الفرائض والسنن، أبي الحسين الهادي إلى الحق % فنقول:

وأما التفصيلي: فمن الكتاب والسنة والقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[النساء:٢٤] وهذه امرأة محصنة ذات زوج معلوم نكاحها ضرورة.

وأما السنة: فمنها ما روي عن النبي÷ أنه قال: «امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها البيان» رواه في الشفاء عن علي % .

ومثله في طرق أخر في كتب العامة، والبيان المراد به البيان الشرعي من موت أو طلاق أو ردة، ذكر هذا التفسير الوصي %، وهو معلوم في الشرع النبوي، وألحق أهل المذهب الشريف صورة رابعة مقيسة على إحدى الثلاث وهي إذا مضت مدة يحصل بمضيها الظن بموت الغائب عادةً عمل بها ، فكما أن الشهادة على الموت لا تفيد في الغالب إلا الظن ويعمل بها، كذلك مضي المدة الذي يحصل بها الظن بموته، ولكن حصل النبوء في متن الأزهار من جهة العبارة وتحديد مدة العدد مطلقاً وقيدها الشارح به.

وأما القياس: فعلى صورة مجمع عليها على الأسير المقيم في البلد، قال في شرح التجريد: لا خلاف أن الواجب عليها الصبر على احتمال الضرر، وأما الآيات السبع التي ذكرها الإمام يحيى بن حمزة % ونحوها، فالجواب أن تلك عمومات أو مطلقات مخصوصات أو مقيدات وغايتها العمل بمضمونها، وكذلك ما ورد فيها من أدلة السنة فكم من مخصوص ومقيد لأنواع الضرورة ويجاب عن حكاية قولها بإجابة الوصي % «إن ابتليتي فاصبري»، وأما الفسخ في الإيلاء فلأجل الغضاضة لا للضرورة وإلا لزم تكرره عند حصوله وإن كان قد حصل الرجوع مرة على أنَّا قد أمرنا الحكام والمفتين بالعمل بالمذهب الشريف إلاَّ لترجيح نراه نحن ونلزم به، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[المراد بنفوذ الأوامر]

المسألة الثالثة: أن المراد بنفوذ أوامر الإمام ونواهيه، والمقصود بها عندنا بلوغ الدعوة بنحو الرسل والرسائل، والولاية العامة لمن بلغته، والحجة قائمة عليه مطلقاً، وهو اختيار المحققين من أئمتنا لجواز قتالهم على الطاعة،والواجبات والحدود من جملة الطاعة بل من أجلّها وأعظمها، ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤] ولقوله÷: «من سمع واعيتنا أهل البيت ولم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم» فأثبت الدليل وجوب الإجابة لسماع الواعية وبلوغ الدعوة، والواعية: هي نفس الإمامة الداعية سميت واعية لأنها وعت عن الله أحكامه، فأحلت حلاله وحرمت حرامه، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾[الحاقة:١٢].

[مسألة القصاص مع وجود القاصرين]

المسألة الرابعة: أنه يسوغ إمضاء القصاص مع وجود القاصرين في الورثة إلاَّ حمل أو سُلِّم ما يخص القاصرين من الدية ورأى الإمام صلاحاً في ذلك لارتفاع العلة الموجبة للتأخير، وبحصول مراد الله سبحانه من حفظ النفوس ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾[البقرة:١٧٩] وحصول حق الصبي، ولم يبق إلا التشفي في الحال مع أنه يمكن أن يقوم فيه الولي ويمكن حصوله في الإستقبال، وجواز العفوفية تنفيه المصلحة المفروضة.

المسألة الخامسة: أن الوقف لبعد الموت للمال المستغرق بالمظالم لا ينفذ عندنا لانتقاله من الذمة إلى المال وانتقال انتفاء الملك حينئذ.

المسألة السادسة: أن يباح قتل الضرار من المسلمين والكفار سواءً كانت الخشية في

الحال أو في المآل.

[مسألة التسعير ووضع القوانين]

المسألة السابعة: أن وضع القانون وقصر المعاشات والتسعير مطلقاً الكائنة من الأئمة في نحو المدن سائغة لا من غيرهم، والوجه المسوغ متعدد عند أهل العلم وهي إما عدول عن عموم الدليل الدال على الإباحة إلى المصالح المرسلة المعتبر شرعاً كونها تختلف باختلاف الزمان والمكان كالشرائع والأحكام، أو دفعاً للضرر، أو لأجل حصول الإعانة، أو من وجه سائغ مقبول، أو لكون القصر تأخيراً لحق من أبيح له المعاش المسوغ، كما يجوز تأخير الحقوق من الأموال والنفوس، أو بحصول الكل أو البعض على ما تقتضيه الحال، إذ الأئمة أمناء الله، ولكن المأخوذ على الحاكم والعامل عدم الجزم بنفي ولا إثبات فيما هذا حاله إلا معروضاً على إمام الزمان، حجة الأوان، إذ هي مما يقوي أمره أو يضعفه، وإليه رجوع الحادثة ورفعها والنظر في أسبابها، فتارة توجد الأسباب وتارة تنتفي، وتارة تعارض بمفسدة، وتارة تخلى، وإنما جعل الإمام ليؤتم به، والله الموفق.

جواب الإمام على سؤال ورد إليه في المفاضلة بين الأئمة

ومن أجوبته الشافية وأنظاره الوافية جواب سؤال ورد عليه

لفظ السؤال:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما قول علماء الإسلام، وسادات الأنام، الفارقين بين الحلال والحرام، المأمورين من جهة الله بالبيان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيضاح في جواب السؤال، فاسأل العلماء بالله الذي لا يسأل إلا به بالإيضاح في شأن رجلين حدثت مذاكرة بينهما في شأن الإمام الأعظم العلامة أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، الحجة على الأمة في زمانه وبعد مماته، الناصر لدين الله رب العالمين، المقتول ظلماً، ودارت المذاكرة في شأن قيامه بأمر الله وإقامته الحدود، فقال أحدهما: إنه يساوي جده الهادي يحيى بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام، فأجاب رجل ثالث يتسمى بالفقه وقال: لا يجوز لك أن تتكلم بمثل هذا الكلام إنه مثل يحيى بن الحسين وأنه لا يقع إليه شيء، فأجبت عليه أنه إمام، فقال: نعم، فقلت: إن آل محمد لا يفضل بعضهم بعضاً من الأئمة، والسيرة الحسنة، وأنهم على السواء من عند إمام زماننا إلى عند زيد بن علي الشهيد صلوات الله عليه، إلا أنهم يتفاضلوا [1] في العلم، وأما الطريقة التي قاموا لأجلها فلا يفضل أحد على أحد، فما أمكنه إلا نفر وغضب، وقال: الناصر للحق عبد الله بن الحسن لم يُزِل المحابي، ولا تنزه عن الحرام، وأنه كان يأخذ المحابي ويستنفع بها، ويأهل منها، فافتونا مأجورين، فلم أستطع الجواب عليه حيث لم يكن لأئمة الحق شوكة فشكوت إلى الله ثم إليكم، فأوضحوا في الجواب، وطوّل عمركم والسلام، وأنتو الحجة المسؤولين في شأن ما اختلف فيه.

ولفظ جواب إمامنا عليه السلام

---

(١) الصواب: يتفاضلون.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المتوكل على الله ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران:٩]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠].

أقول في الجواب وبالله التوفيق، والهداية إلى واضح الطريق: إن عدم معرفة حق آل محمد الذين خلاصة خلاصتهم، ولب لبابهم، أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، أمرٌ خطير، ورزؤٌ عظيم، ليس شأنه عند الله باليسير، كيف لا يكون ذلك كذلك وهم الذين أوجب الله مودتهم والثناء عليهم، والتمسك بهم، وكيف يقوم بحقهم ويتمسك بهم من لا معرفة له بهم فهم قرناء الكتاب، والشهداء على عباده في البلاد، كما قضى بذلك محكم الدليل، والتلويح يغني عن الإسهاب، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، والجهل بحقهم، والإغماض عن مناقبهم، هو الذي أهلك المنحرفين من الأوائل، حتى مالوا عن طريقتهم، ورموهم بالصيلم فتفرقوا بسبب ذلك في الدين فرقاً، ومزقوا بغياً وعداوة مزقاً مزقاً، فضلوا بغمضهم حق آل نبيهم، وأضلوا ونازعوا أهل التأويل، ثم لم يكفهم ذلك حتى نسبوا إليهم الآثام والضلال، والتضليل إلا من عُصم وخلع ربعة التعصب عن عنقه وتفهم الحق وفهم، ﴿**وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**﴾[ص:٢٤] أولئك الذين حفظوا حق آل نبيهم الطاهر المطهر وثابروا على الحق وإن شق.

[تفضيل أهل البيت عليهم السلام]

اعلم أيها السائل المسترشد أن الله جل ثناؤه لما ختم النبوة بفصّ خاتمها، ومنتهى غايتها، محمد المحمود، حتى بلّغها أحسن بلاغ، وأوضحها أحسن إيضاح، فلما صار

إلى ما صار إليه إخوانه الأنبياء، مع كون شريعته باقية على مرور الدهور، وتعاقب الأزمان والعصور، إلى انقطاع التكليف والحاجة إلى من يقوم مقامه، لتجديد ما انطمس، وتبين ما التبس، كالحاجة إليه أقام عن أمر الله سبحانه مقامه ذريته، بعد أن استحفظهم على مكنون علمه، واستأمنهم أن جعلهم بصفته واسمه، أو بصفته لا اسمه، وجعل تلك الصفة علامة ذلك المقام والقدر المعلوم المقصود للشارع، وقد أثبتها العلماء -رضي الله عنهم- في مصنفاتهم ودونوها في كتبهم، من أتصف بها كان حكمُه حكمَه، والهادي إلى سبيله، المستخلف من بعده على أمته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧] وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[فُصِّلَت:٣٣] وقال÷: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله» فأثبت للخليفة حكم المستخلف في الطاعة والتوقير والتبجيل والتعظيم، وإن تفاضلوا بعد الإشتراك في القدر المعتد به المقصود لله سبحانه فلا ينفي ذلك الحكم بالمفاضلة كما فاضل بين الأنبياء فقال تعالى: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[البقرة:٢٥٣] يعني والله أعلم أن الرسول ابن الرسول والنبي ابن النبي أفضل من الرسول أو النبي غير ابن الرسول أو النبي في هذه الجهة على حدتها، والنبي المعدود في أولي العزم أفضل من النبي الذي لم يكن كذلك في هذه الجهة، كذلك وهذه الدرجة لا تخرجه عن درجة النبوة، ولا عما يستحق ذلك النبي الأول في أمته؛ لأنه صفوة الله وخيرته، والحجة على أهل زمانه، ولا يكون ذلك عذراً لأمته في عدم طاعته وتعظيمه وتوقيره ومعرفة حقه لما لم يكن مثل غيره من الأشياء في تلك الخلة أو الخلال المتفرد بها مع حصول مراد الله فيمن اصطفاه من عبيده، كذلك الأئمة سواءً سواء، وهذه الجملة لا تختلف فيها الأنبياء والأئمة ولا أتباعهم الصادقون فمن جعلها عذراً لتقاعده ووصمة وثلبة وسبب العداوة، فليس له في مقصده رضاءً ولا إرادة.

[وجوب اتباع الإمام]

إذا عرفت هذا، فلعمري أن الذي يجب على أهل زمن الإمام الأول من توقير إمامهم والقيام بحقوقه يجب على أهل زمن الآخر لإمامهم من وقتنا هذا إلى وقت إمام الأمة وصي رسول الله÷ أبي الحسن، علي بن أبي طالب المؤتمن، وإن تفاضلوا فكل إمام حجة زمانه، ولا مخالفة في ذلك من أحد من الأئمة وأتباعهم المحققين ، وكل منهم يروي فضائل الآخر ويرى له الحق، فمن رام التفضيل لبعضهم على بعض توصلاً إلى نقص الآخر وحطّه، فذلك مما لا يرتضونه ولا يقولونه، بل يعدون ذلك رفضاً وتفريقاً بين أئمة الحق، وقد قال الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني %، في رسالته إلى أهل طبرستان: المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين الأنبياء، حكى عنه ذلك السيد حميدان بن القاسم[1] في مجموعه، وقد روى الهادي %، في فضائل الإمام زيد بن علي %، مالم يكن فيه بخصوصه، وروى من روى عن الهادي %، مالم يكن في زيد بن علي %، وكذلك روى بعض الأئمة عن بعض مالم يكن في الآخر، وكل منهم يُقِرُ للآخر بالفضيلة والمزية، كما وقع في صحيفة زين العابدين علي بن الحسين%، من رواية متوكل بن عمير الثقفي، عن الإمام يحيى بن زيد % حين سأله متوكل المذكور من أعلم أنتم أم بنو عمكم محمد بن علي الباقر؟ فأطرق الإمام يحيى بن زيد % إلى الأرض ملياً، وقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كلما نعلم ولا نعلم كلما يعلمون.

وقال أبو عبد الله الصادق %، لما حدثه متوكل بحديث يحيى % رحم الله ابن عمي وألحقنا به، وفي أمالي الإمام الناطق بالحق أبي طالب %، بإسناده قيل لجعفر بن محمد %، ما الذي تقول في زيد بن علي وخروجه على هشام؟ فقال جعفر بن محمد % : قام

---

(١) هو السيد العلامة الإمام الكبير المتكلم الأصولي لسان العترة حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم بن الحسن بن إبراهيم الحسني صاحب التصانيف في علم الكلام، عاصر الإمام المهدي أحمد بن الحسين، وكان شاعراً فصيحاً بليغاً، وتوفي بهجرة الظهراوين.

زيد بن علي مقام صاحب الطف يعني الحسين بن علي%، فكل من الأئمة معترف بفضيلة الآخر، ولو عددناهم وعيناهم لطال الكلام، ومن ذلك أنه اجتمع لدى محمد بن منصور المرادي أربعة من الأئمة كل منهم لَـمَّحَ إلى الآخر بالقيام، واعترف له بالفضيلة والمزية، ذكر ذلك أبو العباس[1] في المصابيح.

[وجوب إتباع أهل البيت عليهم السلام ومودتهم]

وإنما ذكرنا لك هذه المادة لتعرف أن المفرق بينهم غير ساعٍ في طريقتهم، وإن زعم أنه من أتباعهم، وأنه غاضب في ذلك لهم، وأنه من أشياعهم، كمن ذكره السائل، بل لا ينخرط في سلك مودتهم إلا من تولاهم جميعاً، ولم يفرق بين أحدٍ منهم، ولهذا يقول جدهم الصادق المصدوق÷: «من أحب أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب وذريته الطاهرين أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده فإنهم لم يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة».

وقال÷: «من سره أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب وأوصياه فهم الأئمة والأولياء من بعدي أعطاهم الله علمي وفهمي، وأن عترتي من لحمي ودمي إلى الله أشكوا من ظالمهم لا أنالهم الله شفاعتي».

وقال÷: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» روى هذه الأحاديث الثلاثة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم % في مجموعه، وغيره من الأئمة وشيعتهم، فنسأل الله أن يجعلنا وأشياعنا ممن تولاهم، واعترف بحقهم، وسلك سبيلهم، حتى نشاركهم في صالح أعمالهم، بتوليهم والمحبة لهم.

وحكي في نهج البلاغة للوصي % وقد قال بعض أصحابه لما ظفر بأصحاب

---

(١) في الأصل: ابن عباس، والصحيح ما أثبتناه.

الجمل: وددت بأن أخي[1] فلان شهدنا ليرى ما نصرك الله على أعدائك، فقال لـه%: هو[2] أخيك معنا؟ قال: نعم، فقال: «قد شهدنا والله لقد شهدنا في عسكرنا هـذا قـوم أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان».

ومن أجزل غنماً ممن شارك أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، في أعمالهم ومقاساتهم ولم يقاس ما قاسوا لمجرد المحبة والتولي، ومن أخسر صفقة ممن حشر في فجـرة الخـوارج، نفاة الفضائل، الطاعنين على الهداة، بمجرد عقيدتـه وغمضـه لحقهـم، فنسـأل الله لنـا وللمؤمنين لطفاً إلى الخير قائداً، وعن الخسران والزيغ ذائداً .

[تبرئة الإمام الناصر عليه السلام مما نسب إليه]

هذا وما وصفه السائل من طعن المذكور على الإمام المشار إليه بمجرد ما ذكـر مـن ترك المحابي فلعمري ماله إلى الطعن بذلك من سبيل إن صح وتحقق ما ذكره، ومع هذا ففي مصنفات الأئمة المتداولة بين المبتدي والمنتهي إزاحة العلة، والشفاء من كل غلـة، فيما لمح إليه المعترض، وأن له في الشرع مسرح[3]، فهلاَّ سأل إن جهل، فإن شفاء العـيّ السؤال، والذي نعلمه جملة من مشائخنا رضوان الله عليهم أن هذا الإمام المشـار إليـه هو الإمام العظيم، والطود الأشم الفخيم، وأنه من الأئمة السابقين، الذين أحيوا معالم الدين، ونفوا المآثم في جهات أهل الدين، وأن له السيرة الحسنة التي لا تنكر، والفضل الأكبر، والعلم الأوفر، والزهد الأشهر، ٥وألحقه بآبائه الصالحين، وحسـبنا الله ونعـم الوكيل.

حرر بقلم أمير المؤمنين بحصن كحلان المحروس في شهر القعدة سنة ١٣٧٥هـ.

(١) الصواب: فلاناً، كما في نهج البلاغة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أهوى أخيك، كما في نهج البلاغة.

(٣) الصواب: مسرحاً.

[تذييل القاضي العلامة القرشي على جواب الإمام عليه السلام]

ولما اطّلع على هذا الجواب القاضي العلامة، الزاهد، الأورع، المجاهد، شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل بن صالح القرشي كتب أسفله ما لفظه:

أقول: لقد أفاد مولانا إمام الزمان أيده الله بما هو حقيق أن يكتب بماء الذهب أو بالذهب، وكلام الإمام إمام الكلام، وشفاء الأوام، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وأما شأن الإمام الناصر سلام الله عليه فعند جهينة الخبر اليقين، فهو الذي بلغ في العلم الغاية، وفي الحلم والفضل النهاية، استجمع شرائط الإمامة حتى فاق مشائخه فضلاً عن أقرانه، واعترف بفضله ألوا العلم والفضل وبايعوه سراً كما بويع نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم %، شرى نفسه من الله، حتى وثب إلى دار الإمارة، واعتقل الخليفة فيها غِيرةً على الإسلام وأهله، واقتلع جرثومة الظلم كما هو مشهور معلوم، وكم أشاد من معالم الدين، وكم أقام حدود الله على المعتدين، والشأن أشهر من أن يذكر.

وأما ما اعترض به المعترض فقد نادى على نفسه بعدم المعرفة للأئمة، ولم يعرف سيرهم وطريقهم، كيف وقد فعل المحابي من أئمة الهدى كما هو مذكور في سيرهم، فمن نقم في ذلك فقد نقم على جميع الأئمة، ولا قوة إلا بالله.

[انتهى كلام شيخ الإسلام، عليه الرحمة والرضوان، أتممنا به الفائدة للقيام بحق الإمام الناصر سلام الله عليه، إذ قد جهل حقه الأشقياء، وقدح فيه الأعداء، ونسبوا إليه العظائم، وافتروا في سيرته، واعترضوا في طريقته، وهم أعوان الظلمة، وأركان الجور الآثمة، الذين غلب عليهم اعتياد سيرة الجور وأهل الإنحراف على أهل بيت المصطفى وأهل العقائد الردية، وطائفة الحشوية، وأهل البطالة واللهو الذين أوقع بهم عقوبته، وأصدق فيهم سطوته، فكان قذى أبصارهم، وشجى حلوقهم، وما نقموا منه

إلا القيام بأمر الله سبحانه، والنهي عن المحرمات، والأمر بالواجبات، وإقامة حدود الله في المستحقين، مع أنه كان من أوعية العلم الذين شقوا شج أمواجه، وارتقو سماء معراجه، فإنه بلغ الغاية، وأخذ قصبة السبق ولم يشق غباره، ولا جرى أقرانه في مضماره، وكنت ممن رافقه في الطلب، وزامله في خير مكتسب، فرأيت عليه مهابة أهل التقوى، وجلالة أهل العلم، وصيانة نفسه عن الخلاعة في ريعان الشباب، فما أحقه بقول أبي العلى: [من الطويل]

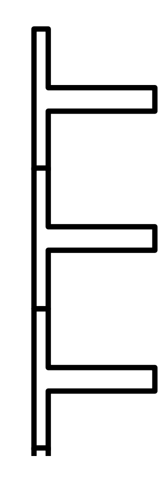
فيا ليت شعري هل يخف وقاره
إذا صار أُحْدٌ في القيامة كالعهن

وهل يرد الحوض الروي مبادراً
مع الناس أم يأتي الزحام فيستأني

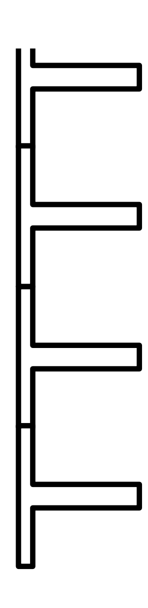
ألحقه الله بأسلافه من أئمة الهدى، ورفع درجته في الملأ الأعلى] [1] .

---

(١) ما بين المعقوفين تذييل العلامة محمد إسماعيل الكبسي مؤلف السيرة لجواب الإمام % والعلامة القرشي.



جواب الإمام عليه السلام على سؤال من بعض سادات وادعة



بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الـذي قولـه الفصـل، وحكمـه الحـق والعـدل ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ شرع الشريعة البيضاء، وأوضح منهاج الملة الغراء، فأعلا شأنها، ونوَّر برهانها، وبيَّن أحكامها، وفصَّل حلالها وحرامها، والصلاة والسلام على رسوله محمد صاحب هذه الشريعة وإمامها، وآخر الأنبياء وإمامها، وعلى آله الأصفياء، قرناء الذكر الذي يتلا، من تبعهم نجا، ومن ضل عنهم وتنكب عن طريقهم غوى، فهم صراط الله المستقيم، وذرية باب مدينة التعليم، اللهم فكما جعلتنا من نسلهم، وأورثتنا من علمهم، ووفقتنا لطريقتهم وحجتهم، فاحشرنا في زمرتهم، وأدخلنا في شفاعتهم، وانظمنا في سلكهم يا واسع المغفرة يا ولي الدنيا والآخرة.

وبعد.. فإنا عثرنا على رسالة من بعض إخواننا الأكابر، آل القاسم بن محمد أهل الظاهر، انحصر حاصلها في طرفين جعلهما في تحليل الزكاة من العرب لبني هاشم دليلين أحدهما: مسند إلى جامع العقد النضيد المختصر من شرح ابن أبي الحديد، والجامع له هو السيد العلامة عبد الله بن يحيى بن الحسين بن يحيى بن أحمد بن المؤيد.

الطرف الأول: أن أرض اليمن خراجية استولى عليها علي الفضل وقد ظهر كفره واشتهر، ثم استفتحها الإمام الهادي يحيى بن الحسين وولده وأولاده بالأجناد الأمجاد، الخيول الجياد، والسيوف الحداد.

الطرف الثاني: أن بعض الأئمة% أقر بني هاشم على أخذ الزكاة، وأجراها أرزاقاً لهم من محالها وغيرها مثل الإمام القاسم بن علي العياني، والإمام أحمد بن الحسين، والإمام علي بن محمد، وغيرهم من الأئمة% كما ذكر، ومن الشيعة القاضي العلامة

عبد الله بن زيد العنسي، والقاضي العلامة عبد الله بن معرف وولده، ومن الفقهاء أبي حنيفة ومحمد[1] فلا حرج عند صاحب الرسالة في أخذها لبني هاشم فهي أرض خراجية، وقد أجازها من ذكره في الطرفين فأردت أن أوضح له في الطرفين، والحكم فيهما، وأزيل الشبهة إن شاء الله، فلا يبقى لها أثر ولا عين، وأرشده إن شاء الله لواضح الطريقين، واسأل الله لي ولكافة المؤمنين الرشاد والهداية، في البداية والنهاية، وأن يجنبنا مهاوي الغواية، آمين.

[أقسام الأرض]

والجواب عن الطرفين أن نقول: اعلم أن الأرضين سبع وذلك معلوم عند أهل النقل.

الأولى: أرض أسلم أهلها طوعاً كاليمن فهي ملكهم وعليهم العشر.

والثانية: أرض أحياها مسلم عليه فيها العشر.

والثالثة: أرض أجلى عنها أهلها بلا إيجاف فهي ملك للنبي÷ وللإمام وتورث عنه.

الرابعة: أرض صالح عليها أهلها على خراج يؤدونه كسواد الكوفة ومصر والشام وخراسان فهي خراجية فإن انتقلت الأرض الخراجية إلى مسلم وجب الخراج كما يأتي وإن طرأ ما يبطل تجدد الحكم.

الخامسة: أرض صولح عليها أهلها كنجران فيؤخذ منها ما صولح عليه.

السادسة: أرض لذمي فإن كان تغلبياً فعشران.

---

(١) ابن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة.

السابعة: أرض افتتحها الإمام قيل والمسلمون فالإمام مخير بين أربعة أمور.

الأول: أن يضعها بأداء خراج وهو يؤخذ في السنة مرة لا غير، أو معاملة بجزءٍ من الغلة وهو يؤخذ في كل ثمرة وأن[1] يقسمها بين المجاهدين بعد إخراج نحو الخمس وأن[2] يبقيها بيد أهلها بلا شيء ويمن[3] بها، فالإمام مخير بين هذه الأمور سواء كان الفتح ابتداء أو كانوا المسلمين ثم غلب على أرضهم كافر التصريح أو التأويل، فإن انقلبت أرض إلى مسلم وجب عليه الخراج والعشر كما تقدم، فوجب الخراج الأرض[4] الموضوع ابتداءً لنحو عقوبة ببقاء الخراج ببقاء الأرض وينتقل بانتقالها إلى مسلم وموجب الزكاة الخارج، فاجتمعا لاختلاف الجهتين، ووجود الموجبين، وعدم وجوب الخراج في الأرض الخاربة خصةُ الإجماع، ومن جهة كون أرض الخراج والمعاملة ملك بيت المال ابتداء صح نزعها ممن هي في يده انتهاء إما لانتهاء المصلحة أو لأن حكمها التأخير ولهم حق اليد، ولحديث مسلم والبخاري وأبي داود في قوله÷ لأهل خيبر بعد أن صالحهم على نصف ثمارها: «نقركم على ذلك ما شئنا» وفي موطأ مالك في مراسيل ابن المسيب «أقركم ما أقركم الله» وفي البخاري من حديث نافع أنه÷ قال لأحد بني الحقيق: «كيف بك إذا خرجت من خيبر يعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة» ولصحة تصرفهم في أرض الخراج والمعاملة بالإجماع حكم لهم بالملك إجراءً للوضع مجرى الحكم.

فإذا طرأ عليها تغلب الكفار بطل الوضع الأول تبعاً لليد والملك إلا بوضع جديد

---

(١) هذا هو الثاني.

(٢) هذا هو الثالث.

(٣) هذا هو الأمر الرابع.

(٤) كذا في الأصل ولعلها: فوجب خراج الأرض.

إن تحقق الوضع وإلا فالأصل بعد البطلان العدم، ولجواز أن يكون أهلها أسلموا طوعاً بعد التغلب فلا يلزم الخراج لقوله÷: «لا يجتمع الخراج والعشر على مسلم في أرضه» وقد حمل على ما أحياه المسلم أو أسلم عنه جمعاً بين الأخبار والأدلة.

فإذا تقرر لك هذا أرشدك الله تعالى فلا يصح ولا يسوغ ولا يجوز أن يجعل المأخوذ في ديار الزيدية خراجاً كما ذكرته ناقلاً عن صاحب العقد إذ أرض اليمن إسلامية أسلم أهلها طوعاً، وثانياً أنَّا لا نعلم يقيناً أن الدار المأخوذ منها الزكاة الآن هي الدار التي تغلب عليها علي بن الفضل لعنه الله بعينها وخصوصها، إن فرضنا ظهور كلمة الكفر فيها جهاراً من دون جوار، ولا علمنا حصول المخالفة له من أهلها والمناصرة على المسلم لأجل إسلامه أو على كل عدوٍ بل يدخل الإحتمال، ولا علمنا بالحكم الذي يصير المسألة قطعية، فإن رجعت إلى الظاهر في الماضي فارجع إلى الظاهر الآن إذ هو الأصل الثاني، والظاهر الآن الإسلام[1] مع أن التكفير بالظاهر لا يقوى لدينا، فإن سلم إحدي الحكم على الظاهر في الماضي.

قلنا: قد تملكها الأتراك ونحو الخراج والمعاملة يبطله تغلب كافر التصريح والتأويل، ويحتاج إلى وضع جديد متحقق، وإلا فالظاهر العدم إذ الظاهر الآن الإسلام وهو المقدم، ولم يعلم أن القاسم بن محمد وأولاده% وضعوا خراجاً على أرض الزيدية، إذ جهاد الأتراك وقع برجال الزيدية الأمجاد، أهل السيوف الحديد والخيول الجياد، كما ذكرت فأين العسرة والتغلب.

فإن قلت: بالدفعة هي هو.

قلنا: إن سلم ففي أرض مخصوصة، غير أرض الزيدية، وهي اليمن الأسفل، وهي

(١) في الأصل: إلا أن الإسلام، ولعل ما أثبت هو الصواب.

المراد بقول المتوكل على الله إسماعيل % وهو العرق فمالك لا تأخذ بالظاهر تركته الآن وأنت تسكنه، وتأخذ به سابقاً وأنت الآن لا تفطنه.

وأيضاً فإن النية نية المخرج في الزكاة لا نية القابض هنا وهم يخرجونها زكاة لا خراجاً، وذلك معلوم لا ينكر تديناً أو خوفاً من العاهات فلا نجد للجامع هذا سبيلاً، ولا طريقاً واضحاً ولا دليلاً، وأيضاً فولاية نحو الزكاة والخراج والمعاملة إلى أئمة الحق بعد ظهور دعوتهم وسماع واعيتهم وهي المراد بنفوذ الأوامر وتنقيح الدليل كتاباً وسنة يدل عليه وهو الذي نختاره.

وأما ما فعله الأئمة % وشيعتهم-رضي الله عنهم- فاعلم أن زكاة العرب حرام على بني هاشم في الجملة بإجماع آل محمد، والأدلة في ذلك طافحة بل صار ذلك معلوماً[1] عند أهل الصدر الأول حتى قال الشافعي رحمه الله: تحرم الصدقة على بني المطلب بن عبد مناف لقوله÷: «أنا وبني المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام» **وأما قول الجلال**[2] ومن وافقه فمسبوق بإجماع آل محمد والأدلة تحجه وما فعله الأئمة% فلمسوغ شرعي قد ذكروه ونصّوا عليه تبعاً للأدلة وذلك إما لضرورة تسوغ الرخصة بإذن الإمام في وقته نحو صرف شرعي أو مع أمرٍ لم يمكن معه دفع الهاشمي كمنكر لا يمكن دفعه أو يؤدي إلى أنكر منه أو تأليفاً أو قرضاً ويقضي من وجهٍ سائغ لبني هاشم أو نحو ذلك، فكيف يحمل فعل أئمة الحق الذي لا ظاهر له على غير ما نصوا عليه وأجمعوا، وعلى ما يخالف الدليل، وهم قرناء السنة والكتاب، والعارفون بوجه الحق والصواب.

وأما من أجازها من الفقهاء ونحوهم لبني هاشم فإجماع العترة يحجه، والدليل يدفعه، وعلة الحل عندهم هي وجود العوض أو حصول التهمة، فإن زالت العلة

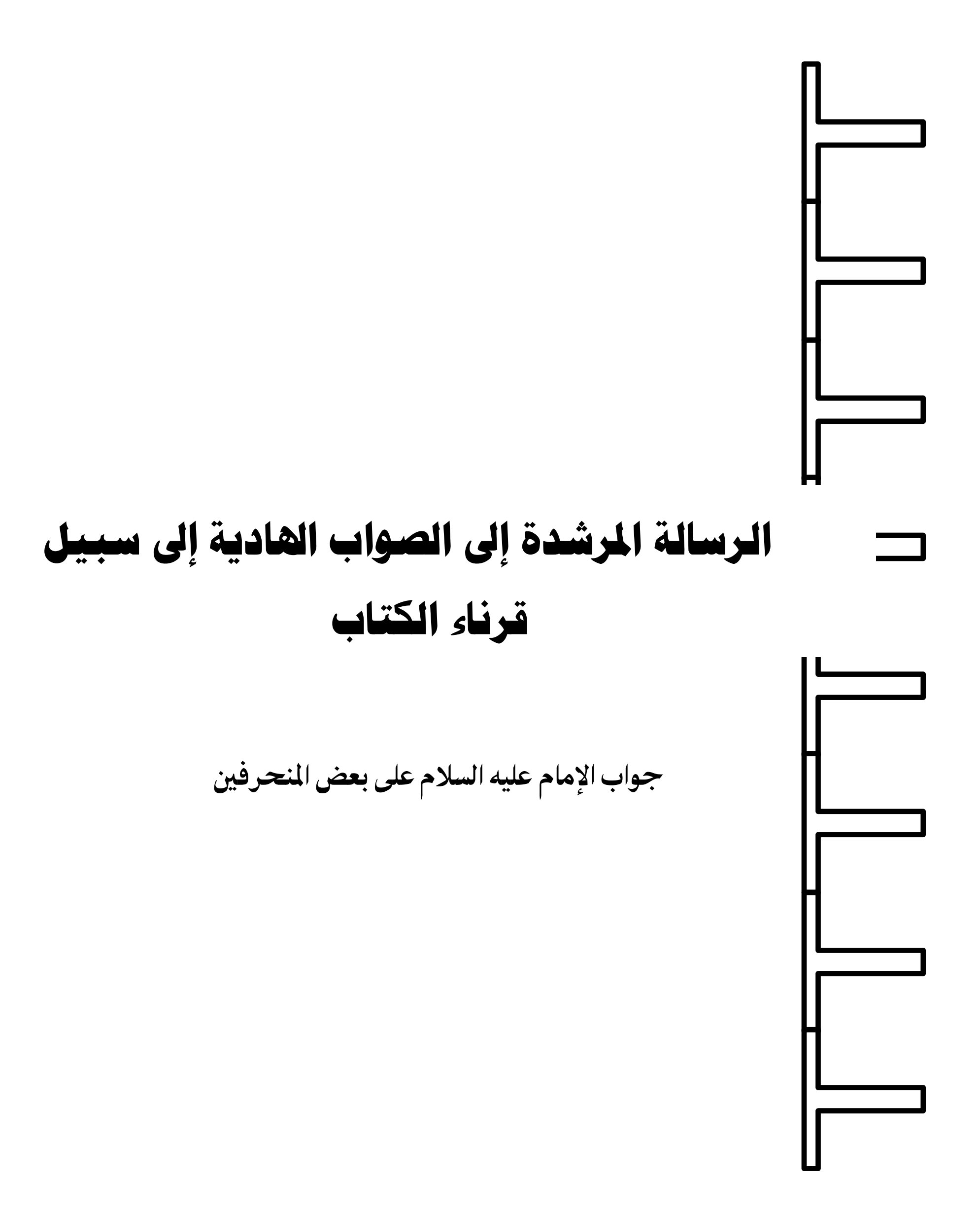
(١) في الأصل: معلوم، وهي خبر صار بالنصب، ولعله من الناسخ.

(٢) الحسن بن أحمد الجلال العلامة المحقق، ولد عام ١٠١٣هـ وتوفي ١٠٨٤هـ، ودفن بصنعاء.

عندهم زال المعلول، والصحيح أن علة التحريم عليهم هي شرف أصلهم فحرم الله عليهم غسالة أوساخ الناس والأدناس، وجعلهم الشهداء وهداة أمةٍ هي خير أمةٍ أخرجت للناس.

وأما دعاء الناقل على من غَيَّر عليهم فإنه دعاء على محمد÷ نبي الرحمة، صاحب الشريعة، فهو المحرّم لها على بني هاشم، فما حكم المستنكر على رسول الله÷ وشريعة الله وعلى من اتبعها فلا حول ولا قوة إلا بالله ما هكذا أخذ الله على العلماء.

وأما زكاة الهاشمي للهاشمي، فأجازها كثير من أئمة الهدى، بل روى الإمام المطهر بن يحيى % إجماع آل محمد على ذلك، والمستند حديث العباس رضي الله عنه المخصص لعموم التحريم، فتحل بإذن الإمام وهو الذي نختاره وحسبنا الله ونعم الوكيل. تمت.



الرسالة المرشدة إلى الصواب الهادية إلى سبيل قرناء الكتاب

جواب الإمام عليه السلام على بعض المنحرفين

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [النمل:١٩].

الجواب عن الرسالة، يقع في مواضع إرشاد، من رام الرشاد، وسلك سبيل الفوز والسداد، وإن كان الأغلب على أهل الزمان عدم الإنصاف إلا من وفقه الله تعالى من صالح عباده، ﴿**وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**﴾[ص:٢٤].

فنقول: اعلم أيها الواقف الناظر بين البصر والبصيرة، العالم أن الله مطلع على سرائره وضميره، من كل صغيرة وكبيرة، فمجازٍ له على عمله فلابد أن يكون بلاشك خصمه أو نصيره، ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**﴾[سبأ:٣]، ﴿**مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[ق:١٨]، ﴿**مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[فُصِّلَت:٤٦] إن الله تعالى وله الثناء الأوفى، والوصف الجميل، ابتلى عباده عموماً وخصوصاً بضروب من البلوى، وجعل سبحانه معظمه بخاصة خلقه، وخلاصة صفوته، في كل زمان إلى انقطاع التكليف، كل ذلك جار على وجه الحكمة الربانية، والقدرة الإلهية، قدر سبحانه تقديراً كذلك ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾[الفرقان:٢٠] وتثبيتاً لأقدامنا وتسليةً لنا أن علمنا بما طَرَقَ مَنْ قبلنا، وطرق البلوى كثيرة لا تنحصر فربما وقعت من الأوداد، وربما كانت من الأضداد، إلا أن الضد المعاند لا يقبل الرشاد، إذ مقصده غالباً نقص الحق وأهله، وإن رأى للحق وجهاً لائحاً، ودليلاً مسلوكاً واضحاً، ولذا تراه يتلون في الأقوال، ويتتبع وجوه الجدال، مع الشريعة المطهرة سيما في مسائل النظر سمحة سهلة يكفي فيها ظهور وجهٍ مرضي، وبروز طريق سائغ شرعي، مستنبطاً أو مسبوقاً إليه قد وضح قيله، وتنقح دليله.

ومن البلوى المستمرة أن المعاصي إذا برزت من أي فرقة من الفرق الهالكة لا تستنكر، ولا تنهى في الغالب ولا تذكر، وإذا برزت حادثة صلحت، أو مسألة في الدين رجحت، فَوَّقُوا إليها نبال المقال، ونصال الثلب والجدال، وأدرجوا السائغ الشرعي، في طي الباطل المنهي، واستحلوا الأعراض بلا ملجٍ ولا طائل إلا مجرد ارتكاب الهوى، وترك الأوجب، ورفض الأولى، وشبّوا نار العداوة في القلوب المراض الغاوية، وسلكوا سبيل من سلك من القرون الماضية، الذين رفضوا آل الرسول، وجحدوا فضلهم المنقول﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٧٤]، ولا ساءٍ مما يضمرون ويقولون، ومع ذلك الغمض والإعتراض لا يلونهم عن إظهار دين الله، ومنابذة أعداء الله، لعلمهم بما أعده الله لهم من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، وإن قيل فيهم في ذات الله ما قيل، وأن النقص والثلب لا يكون دليلاً على النقصان، بل يعد من رمي بما لا يكون أنه من ذوي الكمال وعلوّ الشأن، وإنما ذكرنا لك هذه المادة لتكون على ذكرٍ منك، فمن الدسائس الحاملة للبغضة الكذبة أعداء العترة الطاهرة إلقاء النميمة يريدون بذلك سب أهل البيت الحي منهم والميت، ويفرقون بينهم ويظهرون لمن لا يعرف أن هذا حالهم أولهم وآخرهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويعلي كلمته، ويظهر على الحق في كل أوان طائفته.

الموضع الثاني: في الجهاد[1].

اعلم أن فريضة الجهاد هي الفريضة العظمى، والطاعة الكبرى، فريضة تقام بها الفرائض، وتحيى المسالك والموارد، وهي طريقة الأنبياء، وخلفهم الأتقياء، والقائم بها معهم جنود الله، والتارك لها من دون عذرٍ في كل زمان يعد من أعداء الله، وقد

(١) لم يذكر تعداد الموضع الأول ولعل الكلام السابق هو الموضع الأول والله أعلم.

اختصت الزيدية بفريضة الجهاد على الحقيقة دون غيرهم من سائر الفرق لا يشاركهم فيها مشارك، وغيرهم يجاهد للدنيا، وإن زعم أن جهاده للدين، بقتال الكافرين المعتدين، فلا جهاد له في الحقيقة لفساد عقيدته وأصل دينه، بخلاف الزيدية أهل العدل والتوحيد، وأتباع أئمة الحق، فهم طائفة الحق وأنصاره، دعاة الصدق أرباب العقائد الصحيحة ، وأن الدين النصيحة، وقد ورد في تفسير قول الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾[الفتح:٤] جنود السماوات الملائكة، وجنود الأرض الزيدية[1]، واختصت الزيدية بالزهد في الدنيا لما كان الجهاد روحه وسنامه، بذلوا النفس والنفيس في كل الأحوال، في طاعة الله ذي القوة والجلال، ورفضوا الرغائب الفانية، واختاروا الدار الباقية، وما عند الله خير للأبرار، وهو يخلق ما يشاء ويختار، وغيرهم حريص على نفسه وماله، في حاله ومآله، لا يحب فراقه ولا تغير حالته، ولهذا تراهم يعادون أولياء الله من آل محمد وأتباعهم ويوالون الأشقياء من الأضداد ﴿**فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[الأنعام:٨١].

ولما دعونا الأمة إلى رشادها، وامتاز بفضل الله أهل صلاحها من أهل فسادها، وظهرت لنا الحجة، ووضحت المحجة، وأصلح الله بحميد سعينا تحدثاً بنعمة الله جماً غفيراً، وعدداً كثيراً، ولا يضرنا من كابر أو جحد، فذلك ﴿**مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[يوسف:٣٨] نال منا أرباب العناد والوبال، ومن تنكب عن طريقة الآل، من الإعراض، لنيل الأغراض، وشفعوا عنادهم بالفعال، عنادهم بالمقال، عليهم وعلى أتباعهم، واستعانوا بمن لا يقبلون له قولاً ولا فعلاً، ولا يرون له حقاً، ولا يعدون أفعاله وأقواله صدقاً، إلا فيما كان فيه ثلب الأئمة وأتباعهم إذ مقصدهم عناد الحق من أي طريق تقبل، وبأي رواية تنقل، نشكوا إلى الله منهم،

(١) روى هذه الرواية الإمام المنصور بالله % في الشافي (ج٢/ ٣٢٢).

يطمعون أن تنالهم شفاعة جدنا المختار، وأن ينتظمون[1] في سلك عباده الأبرار، وقد خذلوا آل رسول الله، وشاركوا في توهين دين الله، لا يكون ذلك، ولا ينالون ما هنالك، فإن آل محمد نجاة كل مؤمن، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وقد علم كل عاقل، وذو فهم غير غافل، أن فريضة الجهاد، لا تقوم إلا بأعوان وأجناد، ولا يثبت الأعوان والأجناد، إلا بالزاد والمواد، والواجب على الإمام أن يبذل الوسع في الجهاد وينظر في تحصيل ما لابد من الزاد، مهما أمكن فما لا يتم الواجب إلا به يجب كوجوبه، والواجب على المسلمين أن يسمعوا له ويطيعوا ويبذلوا في نصرته ونصرة دين الله أموالهم وأنفسهم وأموال الله تعالى وإلا كانوا هم المقصرين دون الإمام ولزمتهم الحجة ونالوا إن خالفوا أو خذلوا غضب الله والعياذ بالله، ونزلت بهم الجوائح من السماء والأرض ألا وإن الخليفة منا أهل البيت من وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[الحج:٤١] وبقوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٥] وبقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة:٢٤٧]

وبقوله÷: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله، ومن أخاف الظالمين وأخافوه وباينهم وباينوه ليس من أغلق بابه وأرخى جلبابه» قاله زيد بن علي %، فكيف يسوغ ترك الجهاد والتخذيل

(١) كذا في الأصل، والصواب (ينتظموا) ولعله من الناسخ.

عنه، وقد استولت الطوائف الهالكة على اليمن، هذه الأتراك أخذت جانباً، والإفرنج أخذت بندر عدن، والباطنية أخذت حراز والحيمة ونجران، واستولى أهل الطاغوت والجهل على أكثر البلدان، فماذا ينتظر المؤمن وقد علم أن وجوب الجهاد في النفس والمال معلوم كتاباً وسنة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[الصف: ١٠-١٤]، وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٤١].

فقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، وقال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١]

وقال النبي÷: «اجعل مالك وقاية دون دمك واجعل مالك ودمك وقاية دون دينك» وفعله÷ فإنه صالح الأحزاب بثلث ثمار المدينة من دون استئذان أهلها دفعاً عن أنفسهم وجهاداً لعدوهم، وسير الأئمة سلام الله عليهم لا يجهلها إلا جاهل أو متجاهل، أو علج غافل، وآل محمد خلفاء أبيهم رسول الله÷، لهم ماله إلا ما خصه دليل فالحجة قائمة على كل مسلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

الموضع الثالث: في بيان الحادثة الباعثة لاعتراض المعترض.

فنقول: اعلم أرشدك الله، والإعتراض يفهم من الجواب الجملي والتفصيلي[1] أن المسألة الحادثة من مسائل الخلاف بين العلماء رحمهم الله مدونة في كتب الأئمة وشيعتهم -رضي الله عنهم- فلا يحسن النكير فيها والنميمة حرام فلا يجوز سب غير الفاسق بالإجماع، وللناظر العمل بنظره واجتهاده بعده لا بغيره بالإتفاق وهذا معلوم عند المتدرسين، دع عنك الفحول المبرزين إذا عرفت ذلك علمت أن الإعتراض وارد على غير قانون أهل العلم.

[أقسام الوقف]

وأما التفصيلي: فاعلم أرشدك الله تعالى أن الأوقاف قسمان، وقف تمليك خاص، ووقف لمظالم.

فالأول[2]: لا يصح لدينا وقفها لبعد الموت، إذ المظلمة تنتقل إلى المال بعد الموت فيبقى الملك حينئذٍ، فتسميته وقفاً كالصورة المنقوشة على الجدار، وقد ذكرنا المسألة في مجموعنا في المسائل المختارة وهو قول بعض أئمتنا كما سيأتي بل قيل إنه قول سبعين مجتهداً، ووقف الأهجري من هذا القبيل بمصادقة الواقف أعني الموصي.

والثاني[3]: الوقف الخاص، فإن كانت الإستعانة من غلاته مع بقاء تحبيس أصله جاز ذلك إذ التحبيس والمصرف المعين الأصلي باقٍ في الجملة، فإن كان الأخذ بنية

(١) لعل هذا هو الجواب الجملي لأنه لم يذكر في الأصل وإنما ذكر الجواب التفصيلي كما سيأتي.

(٢) لعله الثاني كما يفيد سياق الكلام.

(٣) لعله القسم الأول كما يفيد سياق الكلام.

المعونة جازت من الأوداد والأضداد، مع حصول شروط الإستعانة، أو تضميناً أو عقوبة أو قرضاً كل ذلك موكول إلى نظر الإمام، وسواء كان المصرف آدمياً أو غيره، يعامل كل مصرف بمقتضاه، ومن هذا القبيل بيع يد الوقف أعني الشقية المتعارف بها، ومن هذا النوع بيع المشتري من غلة الوقف لعدم التحبيس، وبالنسبة إلى نقل الأصل المحبس أو نقل المصرف المعين للمصلحة، الخلاف فيه فقال أهل المذهب الشريف: لا يجوز نقل المحبس لمصلحة لقوله تعالى في الوصية: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾[البقرة:١٨١]

والآية وردت في الوصية لا في الوقف، ولكنه يجب فيها مطابقة مقصد الموصي والواقف ، ولأن مقتضى الوقف وصية مع زيادة التحبيس، وقوله÷ : «إن شئت حبست أصله وسبلت ثمرته» رواه الأمير حسين في الشفاء، وقوله÷: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها» رواه الجماعة في حديث طويل.

وفي رواية للدارقطني «احبس أصلها واجعل ثمرها صدقة».

وفي رواية ابن عمر أنه استأذن رسول الله÷ في صدقة مال بثَمْغٍ فقال: «إحبس أصلها» وقال: «وسبل ثمرها» رواه الدارقطني وابن ماجة والنسائي عن ابن عمر قالوا: فأمر رسول الله÷ بالتحبيس وهو يقتضي أن لا يزول لأنه÷ في محل التعليم ولأن عمر بن الخطاب قال في مكتوبه: لا يباع ولا يورث، وأقره النبي÷، ولم يرووا عن أحدٍ أنه استجاز نقضه، ومنع الوصي علي % عن أخذ كسوة الكعبة للجهاد[1] ، والنقض للمحبَّس مخالف لمقصد الشارع، والواقف، إذ فك التحبيس متوعد عليه وكل متوَّعَد عليه حرام، ويخصون هذا بصور يجوزون فيها البيع منها البيع لإصلاح الموقوف عليه،

---

(١) موجود في نهج البلاغة حين استشاره عمر يأخذها للجهاد فمنعه علي %.

أو لإصلاح بعضه في حال، أو عند بلوغه في حال، لا يمكن الإنتفاع به في المقصود، إذ ذلك معروف من مقصد الوارث، ويقصرون وجوه التخصيص، على الصور التي نصوا عليها دون غيرها، إذ غيرها إما محتمل التخصيص أو غير ثابت، والأصل عدم التخصيص والبقاء على الأصل أمر مرجوع إليه، وأجاز بعض العلماء من الأئمة وغيرهم -رضي الله عنهم- نقض التحبيس مهما وجد المخصص الشرعي، قيل: مطلقاً، وقيل: للأئمة، وهو المختار.

قالوا: وقد وجد المخصص وصح في ذلك ما روي أن عبد الله بن زيد الأنصاري وَقَّفَ حائطاً له وجعله على رسول الله÷ فأمره النبي أن يجعله لوالديه، فلما ماتا جعله له.

وروي أنهما لـمّا ماتا جاء إلى النبي÷ فقال: قد ماتا، قال النبي÷: «نعم وكلُه هنيئاً» رواه الأمير الحسين في (الشفاء).

قال الأمير: دل الخبر على حكمين، جواز نقل المصرف، وعلى أن منافع الوقف تورث.

قلت أنا: وهذا وجه تخصيص دال على جواز النقل لمصلحة إذ أبواه رحمائه وأشد حاجة من رسول الله÷، ولا يخلو النقل إما أن يكون للمصرف المعين أو للأصل وهو الأظهر لقوله÷ فيما يأتي «وكله هنيئاً مريئاً» وكل فيه دليل على جواز النقل للمصلحة للأئمة إذ هم خلفاء الرسول÷.

قال في الأثمار: سواء كان النقل عن حق أم لا.

قال في شرح الأثمار: هو الذي خرجه علي خليل وأبي مضر للقاسم % والمؤيد بالله %، وإليه ذهب والدنا الإمام المطهر بن يحيى %، وهو قول القاسم بن إبراهيم نصاً، ورجحه الأمير الحسين، وقواه الإمام المهدي في (البحر) ونص عليه الإمام يحيى بن

حمزة وأمر به، قال: إذ هي أموال الله في [.....] [1]، وأجـازه الإمـام النـاصر لـدين الله الحسن بن علي بن داود وفعله، ذكره في سيرته ، وفي المتأخرين مفتـي صـنعاء في وقتـه السيد العلامة الجهبذ أحمد بن زيد الكبسي وفعله.

وجواز النقل للمصلحة العامة أو الراجحـة مسـتفيض عنـد ولاة أوقـاف صـنعاء مونوس إليه إن صدر من أفعالهم، ومن يلوذ بهم، فثم بيوت عمرت في مقاشيم صنعاء بيعت عرصات المقاشيم وحررت وهي محبسة.

قالوا: للمصلحة التي رءاها الولاة، ولا حرج عليهم في ذلـك، وإنـما المسـتنكر رأي أئمة الهدى ومصابيح الدجى أهل الولاية الأصلية خلفاء الله في أرضـه، المـؤتمنين عـلى مشروع سننه وفرضه، فلا يفارقون الحق قيـد شـبر ولا يقولـون بـلا علـم، جعـل الله سبحانه طاعتهم حكماً واجباً، ورأيهم نظراً ثاقباً، ومرجعاً عند الإختلاف، لا تصـافهم بتلك الأوصاف، وإن رَغِمَت أنوف وأفضى بها إلى الحتوف.

ويؤيد ذلك ما أخرجه البيهقي عن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الذي رأى النداء أنه أتى النبي÷ فقال: يا رسول الله حائطي هذا صدقة وهو إلى الله وإلى رسوله، فجاء أبواه فقالا: يا رسول كان قواماً عيشنا، فرده رسول الله÷ إليهما فماتا فورثهما بعد، قال البيهقي: مرسل.

وروى من طرق أخر عن عبد الله بن زيد كلهما[2] مرسلة.

وفي حديث فجاء أبواه إلى رسول الله÷ فقالا: إن عبد الله تصدق بماله وله فيه كفاية ولم يكن لنا وله مال غيره، فقال النبي÷: «إن الله قد قبـل منـك صـدقتك وردهـا عـلى أبويك» فورثه عبد الله بعد من أبويه.

---

(١) ما بين المعقوفين كلمة لم تظهر في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب كلها.

وعن عبادة بن الصامت أن عبد الله بن فلان نسي شيبان الراوي أتى النبي÷ فقال: يا رسول الله كل شيء هو لي صدقة إلا فرسي وسلاحي، قال: وكان له أرض فقبضها رسول الله÷ فجعلها في الأوقاص، فجاء أبواه فقالا: يا رسول الله اطعمنا من صدقة ابننا فوالله ما لنا شيء وإنا لنطوف مع الأقاص، فأخذها رسول الله÷ ودفعها إليهما فماتا فورثهما ابنهما الذي كان تصدق بها فأتى النبي÷ فقال: يا رسول الله صدقتي التي كنت تصدقت بها فدفعتها إلى والدي أفحلال لي هي؟ قال: «نعم وكلها هنيئاً مريئاً».

قال الدراقطني: وهذا مرسل.

قلت: قد ثبت متنه عند الفريقين وإن اختلفت ألفاظه، والمقال إنما هو في عدم اتصال سنده، وضعف بعض رجاله عندهم، فقيل: مرسل، وقيل: منقطع، وقيل: في بعض طرقه إسحاق بن يحيى، وهو ضعيف، وأبو أمية بن يعلى وهو متروك.

وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله÷ يقول: «لولا قومك حديثوا عهد بجاهلية أو قال: بكفر، لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها من الأرض ولأدخلت فيها من الحجر» رواه مسلم.

وعن أبي وائل قال: جلست إلى شيبة في هذا المسجد فقال: جلست إلى عمر في مجلسك هذا فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين، **قلت**: ما أنت فاعل، قال: لِـمَ؟ **قلت**: لم يفعله صاحباك، قال: هما المرءان يقتدى بهما، أخرجه البخاري.

فإن قلت: الوقف من خصائص الإسلام وهو شرط فيه، وكنز الكعبة محتمل أنه إسلامي وأنه جاهلي، وحائط عبد الله بن زيد يحتمل أنه صدقة محبَّسة أو غير محبَّسة.

قلت: الإحتمال في الأول أقوى باعتبار الأصل، وقرب الإسلام المعلل به لا بغيره فيكون دليلاً في نقل غير المحبس إلا أن الظاهر في وقته أصل ثانٍ، وإلا لزم في الأوقاف التي استولى على أهل بلدها الكفار ثم ظهرت كلمة الإسلام عليها ولم يعلم بتجدد وقفها بل بالاشتهار بعد الظهور.

وعن الثاني التحبيس ظاهر، فقد ورد في بعض الروايات بلفظ: وقف حائط[1] له وجعله على رسول الله÷ كما تقدم من رواية (الشفاء) فيرد محتمل الدلالة إلى واضحها، كما هو معروف في مضانه.

ومن الحجج أن بيت المال لما سرق في زمن عمر بن الخطاب نقلت الصحابة المسجد إلى قربه لحفظه، ذكر هذه الرواية في (الشفاء)، والتقرير عن الطبري حكاها الفقيه يوسف في (الثمرات).

قلت: وقد عرف الوجه في حكاية فعلهم في سرق المال وهو الحفظ، والمسجد المذكور في الكوفة.

ووجه الاحتجاج أن النقل لا يخلو إما أن يكون رأي الصحابة فيكون إجماعاً في جواز نقل المحبس لمصلحة، أو يكون رأياً لعمر، فقد صوبوه لأن المسألة اجتهادية لا نكير فيها ، فيكون إجماعاً أيضاً، وكونه ذي الولاية في الجملة، والخليفة يرجع إلى نظره فيما هذا شأنه وينقطع به الخلاف.

ومن وجوه التخصيص الضرورة فلها أحكام، وللدين حفظة وقوّام، ومنها خشية الإستيلاء في نحو محله، وهو نفوذ أمر الظالمين فيها، فكما جاز قتل الترس المسلم للضرورة وللمصلحة الرابية جاز النقل لذلك إذ حرمة المسلم والدين أبلغ كما تقدم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: حائطاً، ولعله من الناسخ.

وفي خطاب النبي÷ للكعبة «ما أعظم حرمتك عند الله وهدمك على حجر حجر ولا هدم مسلم» أو كما قال.

الموضع الرابع: في طرق مسائل الإمامة وقطعيتها.

اعلم أرشدك الله تعالى أن الإمامة عندنا قطعية في الأئمة المعصومين الوصي، والحسنين، وفي ثبوتها في آل محمد جملة، واختلف القول بذلك في أفرادهم، فقال أهل المذهب الشريف: هي قطعية في أفرادهم أيضاً إذ تحصل المعرفة بالشروط نفياً وإثباتاً، وأيضاً ترتب المعلوم على المظنون صحيح، وقيل: ظنية في الأفراد إذ لا تعلم الشروط قطعاً، قيل: مطلقاً، وقيل: في حق من لا يعرف منها شيئاً، ففرضه التقليد، واستيفاء الحجج في علم الكلام، وهذا كافٍ هنا، ولا يخلو عن تعلق بالمراد فما لهج به المعترض من الحكم بالنكث والسباب، على من ذكر في الكتاب، فكان الأولى سد الباب، والنظر في سير الأئمة قولاً وفعلاً، فهم قرناء الكتاب الذين مقصدهم الدين، وتقوية مناره، وإحياء شعاره، وكَبْت أضداده، وقمع حساده، وقد تعارض الدعاة من آل رسول الله÷ من دون تضليل، والجملة تغني عن التفصيل، فقد نكس بعض دعاة آل رسول الله÷ رايته لما سمع بقيام داع بعده خشية أن يكون أكمل منه وأنهض، فيكون قد عاد على مقصوده بالنقض وترك واجب التنحي وأخل، وبعضهم كان يقول في محاورته لمعارضه جعلني الله فداك، وهو في منصبه إذ مقصدهم المقصد المرضي، وشعارهم الشعار الشرعي.

وإن أحببت طرفاً من التفصيل بياناً وإن قيل في ذلك ما قيل.

فنقول: اعلم ثبت الله أقدامك، وأرشدك في إحجامك وإقدامك، أن العلماء المشير إليهم صاحب الرسالة، والناظرين لأنفسهم وجه النجاة، طرائق باعتبار ما علموا وشاهدوا وسمعوا، واتفقوا في القدر المشترك؛ فمنهم من كان عالم بخروج صاحب

الرسالة من طاعة الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم % بعد التولي من صاحب الرسالة أعماله، جمعة وجماعة، وقبض واجبات، وتجييش مقادمه وجيوش، وإمضا حدود، كل ذلك تولى صاحب الرسالة من طريق الإمام أحمد بن هاشم في بلاد خولان الشام في بلاد صعدة، فطلبوا من صاحب الرسالة التوبة فأظهرها عند قيامه ثم ظهر من أقواله خلافها، والمقاولة ابتداء وانتهاء شرحها يطول ولا حاجة لنا في ذلك إذ هي بينهم تفصيلاً، ومنهم من عرف نقصانه مع ذلك، وجعلوا فيه مزبوراً عليه علامات العلماء، وأجمع الحاضرون عليه، وهم المعتد بهم في الوقت في العلماء والحلماء والكملاء، ومنهم من ظهر له مع ذلك فيما ذكر وزبر الأرجحية على كل تقدير، ومنهم من سمع منه التبري، ومنهم من كان غائباً لم يحضر لا دخولاً ولا خروجاً ولا باشر ولا نظر بل سمع واستند إلى الدخول، والمعرفة الأصلية وحسن الظن عجيب، ومنهم مثل المتوكل على العزيز الرحيم، لم يحضر ولم يتابع ولم يشاهد، فكلما أجاب به على كل فهو جواب منهم عليه مع أن المرء إن أصلح عمله عند الله، وأبلغ وسعه في طاعة الله، فليس بملوم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[التغابن:١٦]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وقد علم الله بصلاح النية، وخلوص الطوية، في طاعة باري البرية، وبذل النفس في إحياء مذهب العترة الطاهرة الزكية، وأن المرام البيان الذي جاءت به السنة والكتاب، لا النميمة والسباب، فقد أوصدنا باب العتاب، إذ المقصود رضى رب الأرباب، فإن كان هذا بيان[1] وإرشاد فاسأل الله أن يأجرني عليه، وإن كان غير ذلك

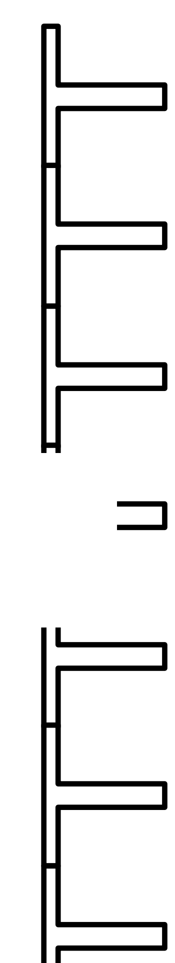
---

(١) الصواب: بياناً وإرشاداً.

فاستغفر الله وأتوب إليه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

حرر في شهر صفر الظفر أحد شهور سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بمحروس بيت سبطان.

هذا ما قد وجد من رسائله وأجوبته وأنظاره العلمية، مع أنها كثير متفرقة في البقاع، متشتتة في الأصقاع، مع اشتغاله بالمهم الأعظم، من التنقل في الجهاد من وادٍ إلى واد، ومن بلادٍ إلى بلاد، وعدم من يشتغل بجمعها إن صدرت وحين أنشئت وألفت، فالمقصود الإشارة إلى سبقه في مضمار المعارف، ولحوقه بكرام الأئمة، الذين ارتووا من تالد العلوم والطارف، ليعرف من جهل واعتذر، أنه الذي تكاسل وقصر، ولم يأخذ في دينه بالوثيقة، ولا أمعن في نفسه بأخذ الحقيقة، ووضوح الطريقة، ودين الله لا يكفي فيه تطلب المعاذير، فربنا بعباده خبير بصير، ونسأله التوفيق والهداية، في البداية والنهاية إنه على ما يشاء قدير.



تراجم الآباء عليهم السلام

(الإمام الحسن بن الحسن – الإمام المحسن)

جمعه راجي عفو ربه وتوفيقه

عبد الرحمن بن محمد بن محمد المتوكل

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
[٤٠هـ - ٩٢هـ]

هو والدنا الإمام أبو محمد الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

مولده عليه السلام:

لعل مولده % سنة (٤١هـ) وذلك لاتفاق المؤرخين على أن وفاته كانت بعد عام [٩٠هـ] بسُّم الوليد بن عبد الملك له، وأجمعوا أيضاً على أن الحسن بن الحسن% كان وصي أبيه وأبوه الحسن السبط % توفي سنة [٥٠هـ] على أصح الروايات وأنه حضر الطف مع عمه الحسين % عام [٦١هـ] وأنه طلب من عمه الحسين بن علي % أن يزوجه ابنته.

وعلى هذا لا بد أن يكون الحسن الرضى % في ريعان الشباب وأن يكون قبل مأساة كربلاء أو فيها على الأقل وأن بعض المؤرخين قد رووا أن عمره % يوم المأساة عشرون عاماً ولم أقف على رواية أن الحسن الرضى % ولد قبل استشهاد جده أمير المؤمنين % عام [٤٠هـ] [1].

(١) قال في حاشية على التحف الفاطمية في ترجمة الإمام الحسن الرضي % ما لفظه: يبدو للمتتبع غموض كبير في ترجمة الإمام الحسن الرضا % لا سيما في تاريخ ولادته ووفاته ومبلغ عمره وبعد التتبع والجهد =

* وأمه خولة بنت منظور الفزاري.

صفته وبيعته وشيئاً من سيرته.

قال الشهيد حميد رحمه الله ما لفظه: كان % مشهوراً فضله، ظاهراً نبله، يحكـي في أفعاله مناسبةُ العالية وكانت له مواقف عظيمة بين يدي عمـه الحسـين بـن عـلي × في كربلاء وكان فارساً وله يومئذ عشرون سنة، وقتـل تسـعة عشرـ مـن جنـود الضـلال وأصابته ثماني عشر جراحة حتى ارتث ووقع وسط القتلى فحمله خاله أسـامة [١] بـن خارجه الفزاري ورده إلى الكوفة وداوى جراحه وبقي عنده ثلاثة أشـهر حتـى عـوفي وانصرف إلى المدينة [٢].

ويروى أنه لما أراد جيش ابن زياد أخذ الرؤوس وجـدوا في الحسـن % رمقـاً مـن الحياة فأرادوا حزَّ رأسه فقال خاله أسامة الفزاري: دعوه فإن وهبه ابن زيـاد وإلا رأى فيه رأيه فبلغ ذلك ابن زياد فقال دعوا لأبي حسان- يعني خاله أسامة – ابن أخته.

وكان % أحد السبعة عشر الذين جمعهم عبد الله بـن الـزبير في الشـعب مـن بنـي هاشم وأراد إحراقهم ثم أنقذهم من سطوة المختار بن أبي عبيد؟.

وفي أيام الوليد بن عبد الملك المتولي عام [٨٦هـ] عقدت له البيعة في أيامه وأيام ابنه عبد الملك وكان السبب في قيامه أن الحجاج ولى عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي سجستان فاجتمع له ثلاثون ألفاً وسار إلى الحجاج فخلع عبد الملك والحجاج وهمَّ أن يدعو لنفسه فقال له من معه من علماء الكوفة والبصرة وهـم أشـهر العلـماء والتـابعين

واستقراء الحوادث والتواريخ ظهر أنه % ولد سنة [٤١] وذلك لأمور، ثم ذكر بمعنى التقدم مع زيـادة يسيرة معولاً على كتاب [الحسن وثورة العلماء].

(١) وفي عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبه أسماء.

(٢) الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية.

والمحدثين آنذاك – هذا الأمر لا يلتئم إلا برجل من قريش فراسلوا الحسن بن الحسن فقام بأمر الله، وله مع الحجاج أكثر من ثمانين وقعة، حتى خانه ابن الأشعث وهزم، ثم ارتحل إلى الحجاز وبقي بها متخفياً.

وفاته وعمره وموضع قبره

اشتد طلب الوليد للحسن بن الحسن % حتى أرسل إليه من سقاه سماً فمات وحمل إلى المدينة على أعناق الرجال ودفن بالبقيع وقد نقل بعض المؤرخين أن عمره كان سبعاً وثلاثين سنة وقيل ثمان وثلاثين سنة، وقيل خمساً وثلاثين سنة.

قلت: وقد تأول بعض المؤرخين بأن في هذا الكلام تقديماً وتأخيراً وتصحيفاً من الرواة والنساخ وأن القصد في ذلك ثلاث وخمسون سنة.

وقد قدمت الإشكال عليه في مولده % حيث كانت وفاته بعد التسعين إجماعاً بين المؤرخين ومولده سنة [٤١هـ] وبذلك يكون عمره % ما بين [٥٢-٥٧عاماً] على ما قررناه والله أعلم.

وقد اختلف المؤرخون في أي عام كانت وفاته فقائل يقول عام [٩٢هـ] وآخر [٩٣] وآخر [٩٦] وآخر [٩٧] وغيرهم [٩٨هـ، ٩٩] والله أعلم.

أولاده:

١- محمد ولا بقية له وبه يكنى ورقية وفاطمة وأمهم رملة بنت سعد بن عمرو بن نفيل.

٢- عبد الله وإبراهيم والحسن وزينب وأم كلثوم وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب" ولما خطب الحسن بن الحسن" إلى عمه الحسين بن علي وسأله أن

يزوجه إحدى ابنتيه فقال له الحسين % اختر أحبهما إليك فاستحيى من عمه ولم يجب فقال له الحسين بن علي": قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجه إياها.

- فأما عبد الله بن الحسن فلقب بالكامل وخرج له أربعة أئمة جاءت البشارة لهم وبفضلهم عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصصهم مشهورة ولهم أخبار محزنة وحديثهم ذو شجون وهم النفس الزكية محمد بن عبد الله ويحيى بن عبد الله وإبراهيم بن عبد الله وإدريس بن عبد الله.

- وأما الحسن بن الحسن المثلث فخرج من نسله أئمة هدى منهم ولده علي بن الحسن المثلث كان يدعى بالزوح الصالح والزوح العابد [(١)] وولده الحسين بن علي بن الحسن وهو شهيد فخ.

- ومن أولاد الحسن الرضى % جعفر وداود ولهم ذرية وفاطمة وأم القاسم ومليكة وإمهم أم ولد رومية [(٢)] تدعى حبيبة وهي التي علمها الصادق % الدعاء المعروف بدعاء أم داود وكان به خلاص ابنها داود من الحبس في قصة يطول شرحها [(٣)].

- فأما ولدنا إبراهيم فهو الآتية ترجمته:

---

(١) وكان بنو الحسن " في سجن أبو جعفر المنصور لا يعرفون أوقات الصلاة إلا بأوراده وتلاوته وذلك لأنهم كانوا في سجن مظلم.

(٢) عمدة الطالب [١٢٠].

(٣) وقد ذكر القصة بتمامها والدعاء الذي علمها الإمام جعفر السيد العلامة القاسم بن أحمد المهدي عافاه الله في كتابه المسنونات والمندوبات فليراجع.

الإمام إبراهيم الشبه بن الحسن الرضا [٧٨هـ -١٤٥هـ]

والدنا الإمام أبو إسماعيل إبراهيم الشبه والغمر والجواد بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

كان % إماماً عالماً عاملاً كريماً شجاعاً سخياً زاهداً عابداً ورعاً جامعاً لخصال الإمامة.

* أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ".

مولده

ولد % عام [٧٨هـ [١]] وقيل [٧٦هـ].

صفته ومواقفه وشيئاً من سيرته

كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وخُلقاً ومن كان هذا حاله يكفي عن وصفه، وله المواقف الحسنة والسيرة المرضية ولاقى من سلاطين الجور ما لاقى أهله وإخوانه من أهل البيت " من حبس وتعذيب وتشريد.

وقد عدَّه ابن أبي الحديد من الرجال الذين لا يماثل بهم أحد أبداً.

فقال: إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان مقدماً في أهله يقال إنه أشبه أهل زمانه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين وعنه أولاده وغيرهم.

---

(١) قال ابن عنبه في عمدة الطالب مولده سنة [٧٨هـ أو ٧٣هـ].

(٢) شرح النهج [١٥/ ٢٠١].

قال في الطبقات: والأصح أنه كان إماماً قبض عليه المنصور [1].

قلت: وقد اختلف المؤرخون في إمامته فقائل يقول: إنه كان إماماً وآخر لم يثبت ذلك فمن عده إماماً من الأئمة، الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى % وحكى ذلك عن الفقيهين العالمين عمران بن الحسن بن ناصر الشتوي وأحمد بن محمد الأكوع [2].

وفاته عليه السلام

لما تولى أبو جعفر المنصور الملك الثاني من ملوك بني العباس قتل وسجن جماعة بل كوكبة من نجوم العترة الزكية وفعل بهم الأفاعيل وأدخلهم سجناً مظلماً فمنهم عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن وإبراهيم الشبه ومن أولادهما وإخوانهما عدة وكان أول الناس موتاً في السجن هو إبراهيم الشبه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وذلك في شهر بيع الأول سنة [١٤٥هـ] وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني [3] رحمه الله أن إبراهيم دفن حياً.

وممن كان في السجن الحسن المثلث بن الحسن الرضى بن الحسن السبط وقتلهم أبو جعفر بضروب من القتل فمنهم من بنا عليه وهو حي ومنهم من سمرت يداه في الأرض.

والذين دفنوا بشاطئ الفرات سبعة منهم وقد قال فيهم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون» [4].

---

(١) الكاشف المفيد عن رجال التجريد للعلامة محمد بن الحسن ...

(٢) مقدمة البحر الزخار.

(٣) مقاتل الطالبين [١٥٤].

(٤) التحف الفاطمية، وقد روى الحديث بسنده أبو الفرج في المقاتل.

أولاده عليه السلام:

- إسماعيل الديباج والعقب منه فقط [1] وهو الآتية ترجمته.
- محمد الأكبر [2].
- محمد هو الديباج الأصغر وروي أن أبا جعفر المنصور نظر إلى محمد بن إبراهيم فقال: أنت الديباج الأصغر؟ قال: نعم فقال أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرغت ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حي وأمه أم ولد تدعى عالية[3].
- يعقوب وأمه ربيحة بنت عبد الله بن أبي أمية المخزومي درج [4].
- إسحاق وهو شقيق يعقوب [5] وتزوج رقية بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن وأنجبت عبد الله بن إسحاق وهو أحد التابعين للإمام يحيى بن عبد الله " [6].
- علي بن إبراهيم وأمه أم ولد تدعى مذهبه [7] وهو ممن بايع الحسين بن علي الفخي وشهد [8] وقعته.

-أما البنات [9] فهن رقية وخديجة وفاطمة وأم إسحاق وحسنه.

---

(١) عمدة الطالب [١٨٨].

(٢) حاشية على كتاب عمدة الطالب [١٨٨].

(٣) مقاتل الطالبيت [١٣٦] عمدة الطالب [١٨٨].

(٤) عمدة الطالب حاشية عليه [١٨٨].

(٥) عمدة الطالب حاشية عليه [١٨٨].

(٦) مقاتل الطالبين.

(٧) حاشية على عمدة الطالب [١٨٨].

(٨) التحف شرح الزلف [١٠٩] ط٣، وحاشية على عمدة الطالب [١٨٨].

(٩) عمدة الطالب [١٨٨].

إسماعيل الديباج

[بعد ١٠٠هـ - ١٦٩هـ]

أبو إبراهيم إسماعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب %.

وأمه: ربيحة بنت محمد بن عبد الله بن أبي أمية يقال له زاد المراكب أبو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم [(١)].

مولده عليه السلام:

لعل مولده % بعد عام [١٠٠هـ].

كان سيداً فاضلاً كريماً شجاعاً سخياً مجاهداً مجتهداً حسن الهيئة والصورة وسار سيرة آبائه " وكان يلقب بالديباج وسجنه أبو جعفر المنصور مع من سجن من بني الحسن وشهرته % تغني عن الإكثار، فقال بعضهم: كان غلاماً مثل سبيكة الذهب كلما اشتد الوقيد عليها ازدادت حسناً وهو إسماعيل بن إبراهيم. أ هـ [(٢)].

وترجمه العلامة المؤرخ ابن أبي الرجال فقال الإمام العلامة أبو الأئمة الكرام، ويسمى الشريف الخلاص وشهد فخاً رحمه الله وذهب إلى جوار الله أيام المنصور العباسي أهـ [(٣)].

قلت: وفي العبارة الأخيرة نظر حيث كانت وفاة المنصور العباس عام [١٥٨هـ]

---

(١) مقاتل الطالبين [١٣٥].

(٢) الشافي.

(٣) مطلع البدور.

ومعركة فخ عام [١٦٩هـ] فكيف تكون وفاته % أيام المنصور مع أنه شهد فخاً وبينهما فارق زمني ما يقارب من أحد عشر عاماً ففي العبارة سهو واضح قليتأمل.

وفاته عليه السلام:

اختلف في تاريخ وفاته فقائل يقول توفي في سجن أبي جعفر المنصور الذي استمر من عام [١٤٤هـ إلى ١٥٩هـ] الذي أخرج آخرهم ولده المهدي بن المنصور، وآخر يقول: توفي في معركة فخ، وغيرهم يترجمه ولم يذكر وفاته وقد تعارضت الأخبار في ذلك.

قال ابن عنبة ما لفظه: أبا إبراهيم ويقال له الشريف الخلاص وشهد فخاً أهـ [(١)].

قلت: وروايته كانت عن أبيه وعن الإمام الحسين بن علي الفخي تدل على أنه شهد معه الوقعة.

ومما يؤيد ذلك رواية أبي الفرج بسنده المتقدم على أن الديباج % نجا من سجن أبي جعفر المنصور.

وبهذا تكون وفاته % عام [١٦٩هـ أو ١٧٠هـ والله أعلم].

أولاده عليه السلام.

- إبراهيم الآتية ترجمته.

- الحسن الملقب التج، شهد فخاً وحبسه الرشيد نيفاً وعشرين سنة حتى أخرجه

---

(١) عمدة الطالب [١٨٨].

المأمون وعقبه بمصر والعراق [1].

إبراهيم بن إسماعيل
[بعد ١٣٠هـ - ١٩١هـ]

هو والدنا أبو الحسن الإمام إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر والشبه بن الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب %.

قوم كرام سادة   من هم؟ ومن هم؟ ثم من؟

كان % فاضلاً عابداً زاهداً كاملاً عالماً شجاعاً كريماً ورعاً جامعاً لخصال الإمامة كان يلقب بالمحض والكامل وبالغمر لجوده وكرمه وكان يلقب أيضاً طبا طبا يعني سيد السادات.

روى عن أبيه وعن الإمام الحسين بن علي الفخي وروى عنه ولده الإمام القاسم بن إبراهيم وهو أحد مشائخه.

وقال العلامة الولي محمد بن الحسن العجري: أبو الأئمة طباطبا الفاضل المشهور حبسه العباس وكان القاسم في بطن أمه وبقي محبوساً سبع عشرة سنة أولها سنة [١٧٠هـ] أخرجه بحيلة بعض الشيعة توفي بعد التسعين والمائة روى عن أبيه وعلي بن الحسن الحسني وعنه ولده القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليهم. أهـ.

و قصة سجنه وإخراجه من السجن والتقائه بولده القاسم بعد خروجه من السجن قصص مبكية وعظيمة حاصلها أنه سُجن والقاسم في بطن أمه، وخرج من السجن

(١) عمدة الطالب [١٨٨].

بحيلة بعض الشيعة الأخيار، وبقي في السجن عشرين عاماً، ورجع إلى أهله فوجد ولده القاسم يُحدث الناس فدار بينهما حوارٌ يُثير حزناً وفرحاً في حالة واحدة.

وقد بايع % الإمام الحسين بن علي الفخي " وحضر وقعته المشهورة في ذي القعدة سنة [١٦٩هـ] وحضر فيها جماعة من أهل البيت " منهم عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن وسليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وغيرهم.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة % ما لفظه: وما فلت منهم إلا من خرج من بين القتلى لما جنَّ عليه الليل كيحيى وإدريس ابني عبد الله وإبراهيم وإسماعيل في جماعة منهم يزيدون على العشرة. أهـ.

وفاته عليه السلام:

توفي % بعد التسعين ومائة كما ذكره المؤرخون ولعلها سنة [١٩١هـ] والله أعلم.

أولاده عليه السلام:

قال ابن عنبة: كان إبراهيم طباطبا ذا خطر وتقدم وأمه أم ولد وأعقب من ثلاثة رجال.

- القاسم ترجمان الدين الآتية ترجمته.
- الحسن وعقبه بمصر.
- محمد وهو الإمام محمد بن إبراهيم دعا قبل أخيه القاسم سنة [١٩٩هـ] وفيها كانت وفاته بالسم وأخباره مشهورة قال عنه الإمام المنصور بالله عبد

الله بن حمزة %: كان أشجع من رُكِّب فيه الروح. أهـ.

- أحمد وعقبه بمصر ومن ذريته السيد الإمام العلامة الملقب بطباطبا أيضاً محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل.
- عبد الله بن إبراهيم وله من الولد محمد بن عبد الله بن إبراهيم وكان شاعراً ترجمه مؤلف نسمة السحر.

قال ابن عنبة في عبد الله بن إبراهيم: كان له ذيل لم يطل أي نسل انقطع. أهـ.

ترجمان آل الرسول الإمام القاسم بن إبراهيم

نسبه عليه السلام:

هو والدنا أمير المؤمنين ترجمان الدين أبو محمد القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الكامل بن الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قوم بهم وبجدهم نرجوا النجاة مع النجاح
وصلوا السيوف بخطوهم فإذا الممنع كالمباح
جبريل خادم جدهم أولاد حي على الفلاح

وغيره:

إليكم كل مكرمة تؤول إذا ما قيل جدكم الرسول

ألـيس أبـوكم الهـادي عـلي وأمّكـم المطهـرة البتـول

أمه عليه السلام

هند بنت عبد الملك بن سهل بن مسلم بن عبد الرحمن بـن عمـرو بـن سـهل بـن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر مالك بن خسل بن عامر بن لؤي.

مولده عليه السلام

ولد % بالمدينة عام ١٧٠هـ وذلك لأن والده سجن ذلك العام والقاسـم في بطـن أمه كما قدمنا.

صفته عليه السلام

كان أبيض اللون، حسن الوجه، تام الخلق، كثّ اللحيـة، قـد غلـب البيـاض عـلى شعره، لا يكاد أحد يكلمه لهيبته إلا أن يبتديه الكلام، وعاش في عصر الدولة العباسية وعاصر هارون، والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.

بعض مناقبه وأحواله عليه السلام

كان % نجماً من نجـوم الآل، ظهـرت أخبـاره، وانتشرـت أنـواره، وأحـد عظـماء الإسلام، ورواد الفكر الإسلامي، وتفرد على أبناء دهره بالفضل والأعمال، أبو الأئمة وإمامهم إمام المعقول والمنقول، متكلم الزيدية، لقب % بترجمان آل الرسول، وترجمان الدين، وذلك لعظم شأنه ومكانته في العلم وبعد أنظـاره وقـوة اسـتدراكه واسـتنباطه للأحكام والأدلة وصدق فيه قول الشاعر:

نـور مـن الملكـوت مثَّـل صـورة بشرـية ضـلت عليـه دلـيلا

لـولم يكـن خـتم الرسـالة جـده خلنـاه في هـدي الرسـول رسـولا

هـذا الـذي بهـر العقـول جلالـه وتجـاوز التشـبه والتمـثلا

إن كنـت تجهـل قـدره فأسـأل بـه القـرآن والتـوراة والإنجـيلا

فأما زهده وورعه فمما لا شك فيه فلا يختلف في ذلك اثنان، ومن أراد معرفة ذلك فعليه بكتابه (سياسة النفس والمواعظ) فسيجد إماماً عابداً صواماً قواماً قد تفجرت الحكمة من جوانبه ونطق بالعلم من نواحيه.

وسيقف على كلام ندر أن يأتي بمثله أحد إلا أن يصل إلى رتبته وسيعلم صدق نيته وإخلاص طويته.

وهيهـات أن يـأتي الزمـان بمثلـه إن الزمـان بمثلـه لبخيـل

ومن ذلك ما رواه الإمام أبو طالب % عن أبي عبد الله الفارسي وكان خادم الإمام القاسم % وملازمه في السفر والحضر قال: دخلنا معه % حين اشتد به الطلب أظنه قال أوائل بلاد مصر فانتهى إلى خان فاكترى خمس حجر متلاصقات فقلت له: يا ابن رسول الله نحن في عوز من النفقة وتكفينا حجرة من هذه الحجر، فَفَرَّغ حجرتين عن اليمين وحجرتين عن اليسار ونزلنا في الوسطى منهن وقال: هو أوقى لنا من مجاورة فاجر وسماع منكر.

قال الشهيد حميد رحمه الله: روى السيد أبو طالب بإسناده عن أبي عبد الله الفارسي قال حججنا مع القاسم % فاستيقظت في بعض الليل فافتقدته فخرجت وأتيت المسجد الحرام فإذا أنا به وراء المقام لاطياً بالأرض ساجداً وقد بل الثرى

بدموعه وهو يقول إلهي من أنا فتعذبني فو الله ما تشين ملكك معصيتي ولا تزين ملكك طاعتي، قال السيد أبو طالب وحكى عن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين × عن أبيه: أن المأمون كلف بعض العلوية أن يتوسط بينه وبين القاسم% ويصل ما بينهما على أنه يبذل له مالاً عظيماً فخاطبه في أن يبدأه بكتاب أو يكتب أو يجيب عن كتابه فقال %: لا يراني الله أفعل ذلك أبداً.أهـ.

وكان % مستجاب الدعوة روى الشيخ أبو الفرج في كتابه الصغير في أخبار الطالبيين أن القاسم % دعا إلى الله في مخمصة فقال (اللهم إني أسألك بالاسم الذي دعاك به سليمان بن داود فجاءه العرش قبل ارتداد الطرف فتهدل البيت عليه رطباً) وروى بإسناده أنه % دعا مرة في ليلة مظلمة فقال اللهم إني أسألك بالاسم الذي إذا دعيت به أجبت فامتلأ البيت عليه نوراً.

من أخذ العلم منه ومن روى عنه

فأما الذين أخذوا العلم عنه فكثير أولهم وأولاهم بالذكر أولاده النجباء الفضلاء العلماء الكملاء، قال السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير % ما لفظه: وكان له% أحد عشر ولداً كل واحد منهم يصلح للإمامة اشتغل % بتهذيبهم وتعليمهم وتفهيمهم. اهـ.

قال المولى مجد الدين المؤيدي رحمه الله ما لفظه: قال الإمام أبو طالب وله من الأصحاب الذين أخذوا العلم عنه الفضلاء النجباء كأولاده محمد والحسن والحسين وسليمان ومحمد بن منصور المرادي والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي ويحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين صاحب كتاب

الأنساب وله إليه مسائل ومنهم عبد الله بن يحيى القومسي العلوي الذي أكثر النـاصر للحق رضي الله عنه الرواية عنه ومنهم محمد بن موسى الحواري وقد روى عنه فقهـاء كثيراً وعلي بن جهشيار وأبو عبد الله أحمد بـن محمـد بـن الحسـن بـن سـلام الكـوفي صاحب فقه كثير ورواية غزيرة. اهـ.

قلت: وممن روى عنه أيضاً جعفر بن محمد بن شعبة الفيروني وعبد الله بـن الحسـين الإيوازي والحسن بن يحيى العقيقي وخلق كثير وقد روى أبو الفـرج الأصـفهاني عـن الإمام القاسم % أيضاً في مقاتل الطالبيين.

وأما رواية الإمام % فكانت عن أبيه عن جـده وعـن السـيد الإمـام عبـد الله بـن الحسن بن الإمام إبراهيم بن عبد الله عن أبائه % وعـن موسـى بـن جعفـر وعـن أبي بكر بن أبي أويس وعـن حسـين بـن عبـد الله بـن ضـميرة عـن أبيـه عـن جـده أمـير المؤمنين% وأخيه إسماعيل بن أبي أويس.

بيعته وشيء من سيرته عليه السلام.

له % بيعات كثيرة وفي أوقات مختلفة أولها بعد وفاة أخيه الإمام محمد وهـو بمصرـ دعا إلى نفسه فأجابه عالم من الناس وجاءته بيعة أهـل مكـة والمدينـة والكوفـة وأهـل العدل من البصرة والأهواز وأهل الري وقزوين وطبرسـتان ونجـوم الـديلم وخـرج جماعة من دعاته من بني عمه وغيرهم إلى بلخ والطالقان والجوزجان فبايعه كثـير مـن أهلها وسألوه أن ينفذ إليهم ولده ليظهر الدعوة فانتشر خبره قبل أن يتمكن مـن ذلـك فوجهت الجيوش الكثيفة في تتبع أثر الإمام الأمر الذي أدى إلى انتقاض ظهوره.

والبيعة الجامعة لفضلاء أهل البيت " كانت سنة [٢٢٦هـ] وذلك في منزل محمد بن

منصور المرادي بالكوفة وهم أحمد بن عيسى بن زيد بن علي فقيه آل محمد وعابدهم وعبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن الفاضل الزاهد والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد والإمام القاسم بن إبراهيم " واتفقوا على بيعة الإمام القاسم بن إبراهيم % وهذا الاجتماع هو الاجتماع التاريخي العظيم وحق للتاريخ أن يسجله وأمثاله، فقد اجتمع فيه نجوم العترة الطاهرة وأهل الفضيلة والسبق إلى منابذة الظالمين وكانوا قد اختفوا لما اشتد طلبهم من هارون فذهب أحمد بن عيسى (ع) إلى البصرة واختفى بها وعبد الله بن موسى إلى الشام وأخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن.

قال الشهيد حميد رحمه الله ما لفظه: روينا عن السيد أبو طالب (ع) في أماليه قال روى أبو عبد الله محمد بن يزيد المهلا قال حدثنا محمد بن زكريا قال صرت إلى أحمد بن عيسى وهو متوار بالبصرة، فقال لي: لما طلبنا هارون خرجت أنا والقاسم بن إبراهيم وعبد الله بن موسى فتفرقنا في البلاد فوقعت إلى ناحية الري ووقع عبد الله بن موسى إلى الشام وأخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن فلما توفي هارون اجتمعنا في الموسم فتشاكينا ما مر علينا.

فقال القاسم %: أشد ما مر بي أني لما خرجت من مكة أريد اليمن في قفارة لا ماء فيها ومعي زوجتي وهي حامل فجاءها المخاض في ذلك الموقف فحفرت لها حفرة لتتولى أمر نفسها وضربت في الأرض أطلب لها ماء فرجعت وقد ولدت غلاماً وأجهدها العطش فالحت في طلب الماء فرجعت إليها وقد ماتت والصبي حي فكان بقاء الغلام أشد علي من وفاة أمه فصليت ركعتين ودعوت الله أن يقبضه فما فرغت من دعائي حتى مات. اهـ.

ثم ذكر قصة عبد الله بن موسى وذكر قصة أحمد بن عيسى وأشد ما لاقاه كل واحد

منهما أيام اختفائه.

قال رحمه الله: وروى أبو طالب % أيضاً بإسناده عن أبي عبد الله الفارسي قال ضاق بالإمام القاسم بن إبراهيم % واشتد الطلب ونحن مختفون معه خلف حانوت إسكاف من خلص الزيدية فنودي نداء يبلغنا صوته برئت الذمة ممن أوى القاسم بن إبراهيم وممن لا يدل عليه ومن دل عليه فله ألف دينار وكذا كذا من البر والأسكاف مطرق يسمع ويعمل لا يرفع رأسه، فلما جاءنا قلنا: ما ارتعت؟ قال: ومن لي بارتياعي ولو قرضت بالمقاريض بعد رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عني في وقاية ولده بنفسي. اهـ.

وهذه كانت حياة الإمام القاسم بن إبراهيم % منابذاً للظالمين ومجاهداً لهم سكن الجبال والقفار هرباً بدينه حتى ألفته الوحوش واستأمن الوحدة، ولا غرابة ليس هذا بجديد عليه إنها حال أبائه " وشعارهم يفدون الدين بأرواحهم وراحتهم من أجل إعلاء كلمة التقوى لا غرض لهم سواه.يريدون صلاح الأمة وهدايتها ولو كانت في ذلك نفوسهم هذا هو طريق ومنهج جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين % الذي تركته الأمة وعملت بنقيضه وسعت في ثلب الأئمة لسلوكهم هذه النهج وأعلنت العداوة لهم فيا خيبة الأمة كيف فعلت وتفعل بقرابة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعلمون قطعاً ويقيناً أن أجر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على تبليغ رسالته مودة قرابته فالله المتسعان.

والأكثر عجباً أن الأمة ترجوا شفاعته بعد أن فعلت بأولاده وأهل بيته ما يعجز القلم عن استرساله في هذا الشأن من ظلم وقتل وسجن وتشريد وغير ذلك وإلى يومنا هذا وما أوردناه في هذه الترجمة وغيرها من تراجم الآباء إلا عبارة عن نفثة من بحر

لجي فالله المستعان وعليه التكلان.

إلى الـــديان يـــوم الحشرـــنمضيـــ وعنــــد الله تجتمــــع الخصـــــوم

البشارة به من رسول الله صلى الله عليه آله وسلم وأقوال العلماء والأئمة فيه

خير ما ابتدي به تحت هذه العنوان هو كلام الملك الديان حيث يقول عـز سـلطانه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾[الرعد: ٧] فهو % إمام عصره وهادي قومه باعتراف معاصريه وتابيعه وموالفيه ومخالفيه.

ثم كلام سيد البشر مَن كلامه فوق كلام الناس تحت كلام القرآن رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم.

روى الشهيد حميد رحمه الله عن الإمام المنصـور بـالله عبـد الله بـن حمـزة % يرفعـه الإمام عن أبائه إلى شيخ من شيوخ آل الحسن كان يدرس عليه فتيان آل الحسن وكـانوا إذا جاؤا قام في وجوههم وعظمهم وأقسموا عليه لا فعل وكان القاسم % من شـباب ذلك العصر وكان إذا أتى قام في وجهه وعظمه فقالوا له أيها السـيد إنـا قـد أعـذرناك وهذا الفتى لك عذر، فقال: لو تعلمون من حق الفتى ما أعلم لاستصغرتم مـا أصـنع في حقه فقالوا وما تعلم قال هذا الفتى قال فيه رسول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم «يخرج من ذريتي رجل مسروق الرباعيتين لو كان بعدي نبي لكان هو».اهـ.

قلت: وفي بعض الروايـات بلفـظ «يـا فاطمـة إن منـك هاديـاً ومهـدياً ومسـتلب الرباعيتين لو كان بعدي نبي لكان هو» وبعضها «يا فاطمة يخرج ...الخبر».

قال الأمير الحسين (ينابيع النصيحة ص٤٦٥): ولم تصح لي فيه الرواية عمـن أثـق

به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقل، ثم روى لي من أثق بـه بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يا فاطمة ... » الخبر. اهـ.

وألفاظها مترادفة، ومعانيها متفقة، وكفاه مدحاً بشارة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وسأذكر شذرات من كلام بعض العلماء والأئمة فيه كقيام ببعض ما يلزم ولداً تجاه والده وإلا فهو النور اللامع والبدر الساطع صاحب الفضل والكرامات، يعجز القلم عن ذكر صفاته ويخرس البليغ عند ذكر مدائحه، ولكن سأنقل بعض العبارات التي قيلت فيه أداءً لبعض واجبٍ يلزمني وإتماماً للفائدة وهل يختفي البدر بين النجوم.

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: كان يقال له نجم الرسول، وهو المبرز في أصناف العلوم وبثها ونشرها وإذاعتها وتصنيفها وإجابة عن المسائل الواردة إليه، والمتقدم في الزهد والخشونة إلى غاية لم يبلغها أحد من أهل عصره، ولزوم وظائف العبادة. اهـ .

قال السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير رحمه الله: فضائله % لا تحصى، ومحامده النبوية لا تستقصى، وله العلم الغزير والتصانيف الفائقة في علم الكلام وغيره من الفنون، إنه البحر الزخار، والقمر النوار، والغمام المدرار، وتصانيفه % في الفقه أكثر من أن تذكر، وقال:

وهم جهلوا الرسي وهو مقدس ... عن الجهل بحر الحكمة المتلاطمُ
وهم أنكروا إسناد يحيى وقاسمِ ... وما لهما في العالمين مقاسمُ
إذا القاسم الرسي ضل بزعمكم ... فمن يهتدي في الناس إن ضل قاسمُ

وأثنى عليه الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله، كما قال له قاضي القضاة محمد بن ظهيرة الشافعي ما أحسن يا مولانا لو انتسبت إلى الإمام الشافعي، فأجاب عليه السيد سبحان الله! أيها القاضي إنه لو كان يجوز لي التقليد لم اعدل عن تقليد الإمام القاسم بن إبراهيم أو حفيده الهادي.

وقال الحاكم الجشمي: نجم آل الرسول، وفقيههم وعالمهم المبرز في أصناف العلوم، يضرب به المثل في الزهد والعلم، وقال أيضاً في كتابه تنزيه الأنبياء والأئمه: فأما القاسم % فلا يساوى في فضله وعلمه، وله الكتب المعروفة والأصحاب، فأما الزهد فأشهر من الشمس.

قال الشهيد حميد رحمه الله: كان % من أقمار العترة الرضية، ويواقيتها المشرقة المضيئة، انتهت إليه الرئاسة في عصره، وتميز بالفضل على أبناء دهره.

وقال: وله العلم العجيب والتصانيف الرائعة في علم الكلام وغيره من الفنون، وله في الفقه التصانيف العجيبة التي تشهد بتدقيقه وحسن تحقيقه، ومعرفته بالإختلاف بين الفقهاء وجودة غوصه على استنباط الغرائب.

وقال الهادي بن إبراهيم: ولو كان الإتباع في الدنيا على قدر العلم والفضل والزهد لكان من في الدنيا كلها من فرق الإسلام على مذهب القاسم بن إبراهيم، بل لو وقف التقليد في الفروع على الإتقان في الرواية ومجرد الصدق والعدالة لكان القاسم % أحق الأئمة كافة بتقليده وأولاهم بالرجوع إلى قوله واجتهاده.

وقال صارم الدين رحمه الله: القاسم والهادي وأمثالهما من أكابر وسادات الأئمة وقادات الأمة، وقال في البسامة:

وترجمان الهدى والدين قاسمنا أجل معتصم بالدين مشتهرِ

خليفـــة بركـــات منـــه ظـــاهرة كأنهـــا بركـــات إليـــاس والخضرِ
لمـا دعاهـا إلى التقـوى ومـا نظـرت مـــن العيـــون إلى عـــيش لهـــا نظـــرِ
أشـــلت عليـــه كـــلاب لا مراقبـــة إلّا فهـــاجرهـــا واعتـــاض بـــالهجرِ

قال العلامة الجنداري: ترجمان الدين ونجم آل الرسول المبرز على أقرانه كان بحراً لا تقطعه الألواح الإمام الحجة مجدد القرن الثاني القاسم بن إبراهيم. اهـ.

قال أبو زهرة: كان ذلك الإمام منقطع النظير في تلك الديار كان من علماء الإسلام ذوي الشأن. اهـ.

وقال جعفر بن حرب الهمداني: وهو من عيون المتكلمين والمتبحرين في الكلام بعد أن دخل على القاسم بن إبراهيم فجاراه في دقائق الكلام فلما خرج من عنده قال لأصحابه: أين كنا عن هذا الرجل فو الله ما رأيت مثله.

وقيل للفقيه محب آل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين محمد بن منصور المرادي رحمه الله: ان الناس يقولون إنك لم تستكثر من القاسم بن إبراهيم وقد طالت صحبتك له، فقال: نعم صحبته خمساً وعشرين سنة ولكنكم تظنون أنا كلما أردنا كلامه كلمناه ومن كان يقدر على ذلك منا.

وكنا إذا لقيناه فكأنما أُشرب حزناً لتأسفه على الأمه وما أصيب به من الفتنة من علماء السوء وعتاة الظلمة.

وقال بعضهم فيه شعراً:

ولـــو أنـــه نـــادى المنـــادي بمكـــة بـــبطن منـــى فـــيما تظـــم المواســـمُ
مَـــن الســـيد الســـباق في كـــل غايـــةِ لقـــال جميـــع النـــاس لاشـــك قاســـمُ

إمــام مــن ابنــاء الأئمــة قــدمت		لـه الشرف المعروف والمجد هاشمُ
أبــوه عــليٌ ذو الفضــائل والنهــى		وآبـــاؤه والأمهـــات الفـــواطمُ
بنــات رســول الله أكــرم نســوةٍ		عـلى الأرض والآبـاء شـمٌ خضـارمُ

وقال الإمام الناصر الأطروش % في قصيدة طويلة اخترت منها:

محمـــد وعـــليٌ والبتـــول ومـــن		قــد كــان يــأتيهم بــالوحي جبريــلُ
اشــكو إلى الله أن الحــق مــترّكٌ		بــين العبــاد وأن الشرــك مقبــولُ
وأن حكـــم كتـــاب الله مطّـــرحٌ		وحكـم مـن خـالف القـرآن معمـولُ
وأن ذا اليـــتم والمســـكين بيـــنهمُ		بمزجـر الكلـب مبهـول ومعتـولُ
وأن مـــن نصرـــ الشـــيطان متّبـــعُ		وأن مـــن نصرـــ الـــرحمن مخـــذولُ
وأن امتنـــا أبـــدت عـــداوتنا		أن خصّـنا مـن عطـاء الله تفضـيلُ
إذا ذكرنـــا بعلـــمٍ أو بعارفـــةٍ		صـاروا كـأنهم مـن غيضـهم حـولُ
وأن عـترة خـير الخلـق بيـنهمُ		مبغّضـــون فمطـــرودٌ ومقتـــولُ

وسأكتفي بهذا القدر من كلام العلماء والأئمة والمؤرخين فيه، وكان أكثر اعتمادي في هذا على كتاب أسانيد آل محمد لشيخنا العلامة القاسم السراجي أطال الله عمره ونفعنا بعلومه، ولو فتحنا الباب واستقصينا الكلام في هذا لما كفى المقام ولكن الغرض الاختصار والاقتصار، لا الإسهاب والإطناب، فهو أشهر من أن يذكر وأظهر من القمر الأنور، وإنما على هيئة الإجمال أوردنا بعض المحاسن والخصال.

ومن أدبه وشعره عليه السلام

له الشعر الفائق والأدب الرائق، وأشعاره كثيرة، وقصائده وفيره، وتعمها الفائدة، فالأدب عنده سليقة وكلامه ذو معانٍ دقيقة، لا يتكلف إن تكلم بالشعر ، ولا يعجز إن اراد التأليف والتصنيف، ويصدق فيه قول الشاعر:

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سيلقيٌّ أقول فأعربُ

ومن شعره هذه القصيدة التي يتأسف فيها على الأمة مما تعانيه من أئمة الجور والفساد ويتمنى فيها ظهور أئمة الهدى من بعده الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حيث كان هذا هو هدفه ومراده منها:

زمانك هذا أيها المتجبرُ وإن قال فيك القائلون فأكثروا

زمان الهوى والحق والحق والهوى إذا اجتمعا فالحق أعلا وأنور

نسيت أم استوحشت من دار فتنةٍ رأينا الهوى فيها على الحق يُؤثرُ

أُديل الهوى فيها على الحق دولة أحارت ذوي الألباب حتى تحيروا

أسى شبهت والناس يجرون بالأسى فلا ينكرون الظلمُ والظلم منكرُ

تظالم أهل الأرض حتى كأنهم به أُمروا وهو الذي عنه حُذِّروا

يقولون حكم الله بالجور أمره وحاشا لحكم الله بل عنه يزجرُ

فيا مستسيغ الظلم يشجيك غيه ظلمت وحكم الله بالحق آمرُ

عسى مشربٌ يصفو فتروى ظمية أطال صداها المنهل المتكدرُ

عسى بالجنوب الغاديات ستكتسي وبالمستذل المستظام سينصرُ

عسى جابر العظم الكسير بلطفه	سيرتاح للعظم الكسير فيجبرُ

عسى بالأسارى سوف تنفك عنهمُ	وثائق ادناها الحديد المسمرُ

عسى صورٌ أمسى لها الجور دافناً	سينعشها عدلٌ فتحيا وتنشرُ

عسى الله لا تيأس من الله إنه	يسيرٌ عليه ما يعزّ ويكبرُ

عسى فرج يأتي به الله عاجلاً	بدولة مهدي يقوم فيظهرُ

تُقَسَّمُ أعشار ويشبع ساغبٌ	وينصف مظلوم ويوسع مقترُ

ويظهر حكم الله في كل شارقٍ	وينشر معروف ويقمع منكرُ

ويجلد سكران ويقطع سارق	وتنفى ظلامات وترجم عُهَّرُ

وينعش من قد كان في الجور خاملاً	وَيَسْتَرَّ علي ويخمل مجبرُ

ويحيى كتاب الله بعد مماته	وذاك بمنِّ الله والله أكبرُ

وقال %:

مضى عمري وقد حصلت ذنوبُ	وعز علي أني لا أتوبُ

نطهر للجهال لنا ثياباً	وقد صدئت لقسوتها القلوبُ

وأعربنا الكلام فما لحنَّا	ونلحن في الفعال فلا نصيبُ

وقال %:

فلم تشكر لنعمته ولكن	قويت على معاصيه برزقه

تبارزه بها يوما وليلاً	وتستحيي بها من شر خلقه

وقال:

اخضــع لربــك في الصــلاة ذلــيلا واذكـر وقوفـك في الحسـاب طـويلا

وله %:

فـــلا تجـــزع إذا أعسرـــت يومـــاً فقـــد أيسرـــت في الـــدهر الطويـــلِ
ولا تيــأس فــإن اليــأس كفــرٌ لعـــل الله يغنـــي عـــن قليـــلِ
ولا تظــنن بربــك ظــن ســوءٍ فـــــإن الله اولى بالجميـــــــلِ

وقال أيضاً:

لقد علمت وما الإشفاق مـن خلقـي أن الـذي هـو رزقـي سـوف يـأتيني
أســعى اليــه فيعنينــي تَطَلُّبــه ولــو كففــت أتــاني لا يعنينــي
لا خـير في طمـع يـدني إلى طبـعٍ ورغفـة مـن قليـل العـيش تكفينـي

وقال أيضاً:

إذا لم تصـن عرضـاً ولم تخـشَ خالقـاً ولم ترض مخلوقـاً فـما شـئت فاصـنعِ

وقال أيضاً:

اغتـــنم ركعتـــين عنـــد فـــراغٍ فعســى أن يكــون موتــك بغتــة
كـم صـحيح رأيـت غـير سـقيمٍ ذهبــت نفســه الصــحيحة فلتــة

وقال أيضا:

دنيـاي مـازال همـي فيـك متصـلا وإن جنابـك كـان المزهـر الخضرـا
إذا انقضـت حاجـة لي منـك أعقبهـا هــمٌّ بــأخرى فـما ينفـك مفتقـرا

متـــى اراني إلى الـــرحمن مبتكـــراً		في ظـل رحمـي ورزقـي قـلّ أم كثـرا

وقال أيضاً:

وإني لمعـــروف بإســوة صـــاحبي		ودافـع مـا يؤذيـه بالمـال والـنفسِ

أحـــامي عليـــه إن تغـــير حالـــه		وإلا فلسـت القاسـم العـالم الـرسي

بـــذلك وصـــاني ســـلالة أحمـــدٍ		بحفظي لأصحابي على السر ـ التعسِ

ومــن لم يكــن يــوسي أخــاه بنفســه		فذاك من الإملاق أهل الخنـا الـنكسِ

وقال أيضاً:

الـــرزق يبســـطه والـــذنب يغفـــره		والتـــوب يقبلـــه والوعـــد يوفيـــه

لم يقــض جــوراً ولا ظلــماً ولا عبثــاً		ولا يشـــاءُ قبيحـــاً مـــن معاصـــيه

وقال أيضاً:

ألم يتـــــدبر آيـــــة فتدلـــــه		على بعض مـا يـأتي أم القلـب مقفـلُ

وقال أيضاً:

تـــدرعت درعـــاً للقنـــوع حصـــينة		أصون بهـا عـرضي وأجعلهـا ذخـرا

وأعـــددت للمـــوت الإلـــه وعفـــوه		وأعـددت للفقـر القناعـة والصـبرا

وقال %:

أنســت إلى التوحــد طــول عمــري		فـــمالي في البريـــة مـــن أنـــيسِ

وجانبـــت اللئـــام فطـــاب عيشيـــ		وجـــانبني لـــذلك كـــل بـــؤسِ

لأن الحـــــر في الـــــدنيا قليــــلُ ونفسيــــ لا تميــــل إلى خســـــيسِ

مقتطفات من كلامه عليه السلام

قال عن نفسه: العقول حظوظ مقتسـمه، والأخـلاق غرائـز مسـتحكمة، فالحـازم مغتبط بما أُلهم، جذل بما قسم، والمفرط متأس على ما حرم، يقرع سنهُ من الندم فإن قهر نفسه على تعوض ما فرط أو رده صغير الهم في أعظم الـورط، وإن تمـادى في التقصـير دحض دحضة الحسير، وإني لما زايلت قلة الآثام، وخضت في أفانين الكلام، وناسمت كثيراً من علماء الأنام، أطللت على مكنون من العلم جسيم، واستدللت عـلى بنـاء مـن ضمائر القلوب عظيم.

لأن صحيح الجهر يدل على كثير من مكنون السر، واطلعـت عـلى ذلـك بخصـال أوتيتها وآخر تجنبتها.

فأما للواتي أوتيت فذكاة الفطنة، وقلة المشاحة في المحنة، والإصغاء لأهل الإفتنان، وكثرة الاقتباس من أولي الحكم والأذهان، والزهادة في الزائل الفان وصـحة الناحيـة، وتكافئ السريرة والعلانية، وسلامة القلب وحضور اللب فافهموا يا بني.

وأما اللواتي اجتنبتها فمهازلة الحمقاء، ومشاحنة الأدباء، وترك ما تشره إليه النفس من عرض الدنيا، والمكاثرة والحقد والحسد والاستزراء للحـر والعبـد والمماكسـة فـيما يكسب الحمد، با بني فبعض هذه الخصال طبعت عليـه بالتركيـب وبعضـها اسـتعنت عليه بقبول تأديب الأديب، والتمثيل بالأديب اللبيب مع رغبـة حـداني عليهـا طلـب الازدياد مما أرجو به النجاة في المعاد والزلفة يوم التناد اهـ.

وقال عن نفسه «قرأت القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وما علمي بتأويلهـا دون

علمي بتنزيلها» اهـ.

وعن العالم والمتعلم يقول: ومثل العالم والمتعلم مثل نور الشمس ونور العينين إفهم لو أن رجلاً بصير العينين بقي في بيت مظلم قد سدت عليه بابه وهو لا يهتدي إلى شيء فيه مخرجه أليس يكون متحيراً لا ينتفع ببصر عينيه ما دام البيت مظلماً حتى إذا فتح عليه الباب وخرج وراء ضوء الشمس انتفع ببصر عينيه عند ضوء الشمس كذلك المتعلم يكون في بيت الجهل موثقاً عليه بابه لا يهتدي إلى الخروج حتى يفتح عليه العالم العارف لأن المتعلم يستضيء بنور العالم.

وقال في علماء السوء: العلم شفاء وزين، لا يدخل معه داء ولا شين، وليس العلم علم اللسان المعلق على ظاهر الإنسان الخالي عن القلب وإنما مثله كمثل شبكة الصياد التي ينثر عليها الحب للطير وليس يريد بذلك منفعة الطير، ولكنه يريد أن يصطادها بذلك الحب المنثور على الشبكة كذلك عالم السوء لا يريد بعلمه رضا الله ولكن يريد رضى نفسه ومنفعتها وقد جعل هذا علمه شبكة ليصطاد حطام الدنيا.

قال عليه السلام في مديح القرآن ونقلت هذه المقطوعة بتصرف: من اعتصم بنور كتاب الله وبرهانه ما فيه من أموره وتبيانه أدخله الله كما قال سبحانه ﴿مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[النساء: ٣١] وهداه له كما وعد صراط مستقيماً، نور أعين القلوب المبصرة، وحياة ألباب النفوس المطهرة، وأسراره برحمة الله لأوليائه فعلانية، وأموره لهم فظاهره بادية، فهو الظاهر الجلي المجهور، والباطن الخفي المستور، وهو بمنّ الله المصون المبذول، والجزم الذي لا يدخل شيئاً من هدر ولا فضول، بل قربت فيه لأهله مجامع حكمه وسهلت به لهم مسامع حكمه فقرعت من قلوبهم مقارع، ووقعت من أسماعهم مواقع لا يقعها من غيرها عندهم واقع، ولا يسمع مثل تفسيرها أبداً منهم سامع، سماوي أحله الله برحمته

أرضه، وأحكم به في العباد فرضه، فلا يوصل إلى الخيرات أبداً إلا به، ولا تكشف الظلمات إلا بثواقب شهبه، مَن صحبه صحب سماوياً لا يجهل، وهادياً إلى كل خير لا يضل، فاتخذوه هادياً ودليلاً، واجعلوا سبيله لكم إلى الله سبيلاً، حافظوا عليه ولا ترفضوه، واتخذه حبيباً ولا تبغضوه، فإنه لا يحب أبداً له مبغضاً، ولا يقبل على من كان عنه معرضاً، ولا يهدي إليه من عاداه، ومن تعامى عنه أعماه، ولا يبصر بضيائه إلا من تأمله، ولا يعطي هداه إلا أهله، من ضل عنه أضله.

وهو المعطي المانع، والقريب الشاسع، المكتوم وهو العلانية، المعلوم ظاهره ضياء وبهجة، وباطنه غور ولجة، لب كل ألباب، وفصل كل خطاب وحكمة من حكم رب الأرباب.

وفاته وعمره وموضع قبره

انتقل الإمام القاسم % آخر أيامه إلى جبال الرس وهي أرض اشتراها بالقرب من ذي الحليفة وبنى هنالك لنفسه ولولده وتوفي بها سنة [٢٤٦هـ] ودفن بها وقبره هناك مشهور مزور.

أولاده عليه السلام

محمد- الحسن – الحسين- سليمان- عيسى – موسى – علي – إبراهيم- يعقوب – داود – إسماعيل – يحيى.

قال المؤرخ ابن عنبة: وأما القاسم الرسي أبو محمد له عدة أولاد متقدمون فأعقب من سبعة رجال يحيى العالم الرئيس والحسن وإسماعيل وسليمان والحسين الجواد وأبو

عبد الله محمد وموسى.

وأما يحيى بن الرسي فكان رئيساً ونزل الرملة وكان له بها عقب وأما الحسن الرسي وكان بالمدينة سيداً رئيساً فأعقب من محمد وبراهيم.

وأما إسماعيل بن الرسي فكان رئيساً متقدماً فعقبه من رجل واحد وهو ابنه أبو عبد الله محمد الشعراني نقيب الطالبيين بمصر وولده نقباء وسادة.

وأما سليمان الرسي فذكر ابن عنبة عقبه في البصرة وصنعاء وأما أبو عبد الله الحسين بن القاسم الرسي وكان سيداً كريماً فأعقب من رجلين أبي الحسين يحيى الهادي- ستأتي ترجمته قريبا- وأبي محمد عبد الله السيد العالم وأما أبو عبد الله محمد بن القاسم الرسي فأعقب من ثلاثة إبراهيم وعبد الله الشيخ وأبي محمد القاسم الرئيس وعقب محمد بن القاسم الرسي في شيراز،أما موسى بن الرسي وكان بمصر وعقبه من سبعة رجال كلهم بمصر.

قال الإمام القاسم عليه السلام في ولده محمد بن القاسم: صحبت الصوفية أربعين سنة ودرت المشرق والمغرب ولم أرَ رجلاً أشد ورعاً من ابني محمد. اهـ.

ومن مؤلفاته عليه السلام

له التآليف العديدة، وقد طبع له مجموع كتب ورسائل.

الحسين الحافظ بن الإمام القاسم بن إبراهيم

هو والدنا الإمام الحافظ أبو عبد الله الحسين بن ترجمان آل الرسول القاسم بن

إبراهيم، كان إماماً في العلم، حافظاً لعلـوم أبائـه، حجـة أهـل عصرـه، أحـد الحفـاظ المحدثين، والعباد الزاهدين، ولقد تراوحت عبارة المـؤرخين عنـد ذكـره بـين وصـفه بالحافظ تارة وبالزاهد والعالم تارة أخرى.

قال السيد العلامة الهادي بن إبراهيم: واختص الحسين بن القاسم من بين إخوته بهـذا اللقب يعني الحافظ فدل على أنه حافظ العلم عن أبيه القاسم " اهـ

قلت: وأخذ العلم عن أبيه القاسم بن إبراهيم وأخـذ وروى عنـه أحمـد بـن سـهل الرازي كما أفاده في المستطاب وسكن جبال الرس وفي المدينة المنورة.

قال العلامة الجلال: وقبر ولده الحسين بن القاسم مما يلي قـبر أبيـه وأخيـه إلى جهـة الشام وتوفي سنة [٢٧٩هـ].اهـ.

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام
[٢٤٥-٢٩٨هـ]

مقدمة:

بأي كلام أبدأ، وبأي لسان أتكلم، لأصف جانباً واحداً وشيئاً يسـيراً مـن فضـائل وصفات إمام الأئمة الهادي إلى الحق.

وأي ديباجة أنيقة أصيغها لأذكر ومضات وخطرات تسكن فؤاداً مليئاً بحـب هـذا الإمام العظيم، كل هذا عاجز وقاصر عن أن يصف أو يذكر طرفاً من أحوالـه فيعطيـه شطراً من حقه.

فكيف بي؟! وقد عجز عن أداء حقه فطاحلة المؤرخين والكتاب والعلماء والباحثين بل واعترف بالقصور عن ذلك أئمة وما ذلك إلا لعلو مكانته عند الله وعظيم منزلته.

ثم ما بالك بإمام مادحه ومبشر به سيد الكون والثقلين خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم ما بالك بإمام مدحه وبشربه سيد الوصيين وإمام المتقين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب % وهو فارس ميدان البلاغة وأمير حلبات الفصاحة.

فكيف أستطيع ذلك وأمامي شخصية إسلامية هاشمية عظيمة، بل إمام الأئمة - قال على سبيل المثال فقط- لقومه: (والله لو أطعتموني ما فقدتم من رسول الله إلا شخصه).

هذه كلمة صغيرة في المبنى واسعة في المعنى، كلمات صدرت من رجل قد شرى نفسه من الله واشترى الله منه نفسه، عقدت بينهما صفقة تجارية عظيمة كان الثمن فيها الجنة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ﴾ [التوبة: ١١١] ولكن استحيت من أن أترك ذلك وسأذكر ما استطعت من مناقب وفضائل وعلم وشجاعة إمام اليمن الميمون الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين مع قصر باع وقلة إطلاع.

وسأتكلم وأذكر ذلك رعاية لحقه الواجب والأكيد عليَّ مع اختصار شديد واعترافي بالقصورأكيد، ولكن صلة مني له عليه وآبائه السلام ولطلب الأجر من الله ولكن بضاعتي المزجاة.

نسبه عليه السلام

هو والدنا الإمام أمير المؤمنين أبو الحسين الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ بن القاسم ترجمان آل الرسول بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر والشبه والجواد بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء الدنيا والأخرى بنت سيد البشر خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

نسب يفوق القمر في ضيائه، ويرتفع على زحل والمريخ في علوه وارتقائه، ويحكي فضلَه وعظيمَ منزلته ذِكْرُ أسمائه، فكيف بك إذا ذكرت سيرته وسيرة آبائه ، يتردد نسبه بين نبي ووصي وإمام مجدد وناهيك بنسب يصل إلى سيد الأنبياء ووصيه سيد الأصياء وسبطه سيد شباب أهل الجنة.

نسب كأن عليه من شمس الضحى ردءاً ومن فلق الصباح برودا

أمه: هي الشريفة الفاضلة أم الحسن بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ".

مولده عليه السلام

ولد % بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ وحمل إلى جده القاسم بن إبراهيم فوضعه في حجره المبارك وعوذه ودعا له ثم قال لابنه –يعني الحسين أبا الهادي– بم سميته؟ قال : يحيى وقد كان للحسين أخ لأبيه وأمه يسمى يحيى توفي قبل ذلك فبكى القاسم % حين ذكره وقال هو والله يحيى صاحب اليمن وإنما قال ذلك لأخبار رويت عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ونشأ وترعرع في حجر أبيه، وأخذ العلم عن أبيه حافظ علوم العترة، وعن عمه الإمام محمد بن القاسم، حتى تفجر العلم من جوانبه، وصار إماماً لا يبارى وبدأ التصنيف وهو في السادسة عشر من عمره، وروى عن أبيه وعميه الحسن ومحمد وغيرهم وعنه أولاده أحمد ومحمد الناصر والمرتضى وعلي والعباس وأحمد بن فيروز الكوفي ومحمد بن سليمان الكوفي وغيرهم.

صفته عليه السلام

كان % أسدياً أنجل العينين، واسع الساعدين غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز كالأسد، هكذا ذكر صفته الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة والشيهد حميد وقد أعطاه الله قوة وصلابة حتى روي عنه أنه كان يأخذ الدينار فيؤثر في سكته بإصبعه ويمحوها، وروي أنه كان يطحن الحنطة بيده.

طرف من مناقبه وأحواله وأقوال العلماء والأئمة فيه بين المخالف والموالف

قال الشهيد حميد رحمه الله: فضله ظاهر لا يخفى، ونور مجده لا يطفى، وظهور حاله يغني عن ذكر محاسن خلاله، ومناقبه أكثر من أن تظم في سلك المدائح.

وأما أقوال العلماء فيه فقد اعترف له بعلو المنزلة وعظم المكانة جمهرة من العلماء من المخالف والموالف بل قد بشّر به وذكر فضله رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وجده ترجمان آل الرسول القاسم بن إبراهيم وهؤلاء قبل حدوثه % دع عنك معاصريه ومَن بعده فكتب التاريخ ملئية بذكره وذكر فضله وسيرته وتراجمه.

كيف لا..!؟ وحلقات العلم ومجالس الدرس والتدريس والتعليم من عصره إلى يومنا هذا يتردد فيها ذكره وذكر كتبه وأجوبته ومسائله وأرائه في شتى أنواع المسائل ويترنم بها مشائخ العلم وطلابه ومثل هذا لا يخفى فضله ولا ينكر حاله.

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: كان موصوفاً من حال صباه بفضل القوة والشدة والبأس والشجاعة والاشتغال بالعلم... إلى قوله والزهد والورع والعلم شامل لبيت القاسم بن إبراهيم عام في أولاده وأسباطه إلى يومنا هذا والحمد لله رب العالمين.اهـ.

قول النبي والوصي في الإمام الهادي عليه السلام

أول ما يلزم البدء به هو ما أشار إليه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ثم وصيه وباب مدينة العلم.

قال الشهيد حميد رحمه الله: وقد روينا عن بعض علمائنا رحمهم الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «يخرج في هذا النهج- وأشار إلى اليمن- رجل من ولدي اسمه يحيى الهادي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحيى الله به الحق ويميت به الباطل» فكان هو % هو الذي نشر الإسلام في أرض اليمن.اهـ.

وقد أخرج هذا الخبر الشريفَ الشهيدُ حميد في الحدائق الوردية وفي ينابيع النصيحة ، وفي مآثر الأبرار وفي التحف الفاطمية وفي نهاية التنويه وفي لوامع الأنوار وغيرها.

وفي سيرته قال: قال أبو جعفر محمد بن سليمان حدثني محمد بن سليمان حدثني محمد بن عبدالله قال وجدت في كتب جدي عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه أن القائم من ولد الحسن إذا خرج وبدأ المسير في نجد فيمر من بني عقيل يقال لهم معاوية بن حرب فيسير إلى اليمن فيسوق يمنها إلى تهامتها ... إلخ.

وقد تحقق ذلك في الإمام الهادي % ومنها أيضاً عن محمد بن سليمان عن علي بن أحمد القطان الكوفي عن عمر بن الوليد بإسناد رفعه إلى محمد بن علي باقر العلم قال: إذا قتل أهل مصر أميرهم وظهر اليماني باليمن فإنه يملأ الأرض عدلاً وقد قتل أهل مصر أميرهم سنة مائتين وثمانين.

وبلغنا عن أبي العباس الفريابي بإسناده قال: صاحب الأمر حسني يظهر باليمن واسم أبيه الحسين ستة أحرف وقد أخرجه في الينابيع.

وقال مصنف سيرته: بلغنا عن عبيد الله بن موسى قال: حدثني أبي عن بشربن رافع ورفع الحديث إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: يا أيها الناس ما تمر فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها -ثم ذكر فتنة بين الثمانين ومائتين- فيخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه كما تتألف قزع الخريف، انظروا في الأربع والثمانين ومائتين وقد أخرج الخبر أبو العباس الحسني في المصابيح وفي الحدائق الوردية ونهاية التنويه وفي مآثر الأبرار وفي ينابيع النصيحة وفي التحف الفاطمية وغيرها.

وأما ثناء الأئمة والعلماء له فسأعتمد في أكثر ذلك على ما أورده شيخنا العلامة المحقق القاسم بن الحسن السراجي أطال الله عمره ونفعنا الله بعلومه وذلك خلال ترجمته للإمام الهادي % في كتابه أسانيد آل محمد ولكن مع اختصار وتصرف في بعض الألفاظ والروايات.

قال عافاه الله بعد إيراد اسمه وصفته %:

ثناء الأئمة والعلماء عليه

أثنى عليه جده ترجمان آل الرسول ودعا له وذكرنا القصة في مولده %.

وأثنى عليه محمد بن القاسم % مخاطباً الإمام الهادي : ياأبا الحسين لو حملتني ركبتاي لجاهدت معك، يا بني أشركنا الله في كل ما أنت فيه.

وقال علي بن محمد العباس:

يحيى الذي أحيا لأمته الهدى	من بعد أن أودى بها الكفار
بأبي الحسين قد اصبحت آياته	بيضاء صافية لها أنوار

وهي قصدية طويلة ذكرت في سيرته.

وأثنى عليه أبو بكر بن يعقوب عالم أهل الري وحافظهم ومن ذلك قوله: كنت لا أعترف لأحد بمثل حفظي لأصول أصحابنا وأنا الآن إلى جنب الهادي جذع بينا أجاريه في الفقه وأحكي عن أصحابنا قولاً فيقول : ليس هذا يا أبا بكر قولكم فأُرَادّه فيخرج إلي المسألة من كتبنا على ماحكى فقد صرت إذا ادعى شيئاً عنا وعن غيرنا لا أطلب معه أثراً.اهـ.

وأثنى عليه علي بن موسى النيسابوري في مجلس الإمام الناصر الحسن بن علي الأطروش وأثنى عليه الإمام الناصر % عندما نعي إليه الإمام الهادي فقال: اليوم انهد ركن الإسلام.

وقال الزحيف: إن الهادي أشبه أمير المؤمنين في علمه وشجاعته وسخائه وورعه وغير ذلك من خصاله المحمودة ومقاماته المشهودة.

قال الإمام أبوطالب في الإفادة : أما تقدمه في العلم فاشتهاره يغني عن تقصيه.

قال الشهيد حميد في الحدائق الوردية: هو الذي فقأ عين الضلال، وأجرى معين العلم السلسال، وضارب عن الدين كافة الجاحدين حتى عرف الله من أنكره، وقال: وقد نشأ على العلم والعبادة حتى صار بمنزلة الطبع له إلى قوله: حتى تفجر العلم من جوانبه ونطق من الحكم بغرائبه وقال: وكان له عليه السلام خصائص وكرامات تكشف عن علو منزلته عند الله عز وجل ثم نقل حكاية أبي الحسن الهمداني المعروف بالحروري الذي تطلب رؤية الهادي فلما رأه وتابعه ورآه يطعم الطعام ويداوي الجرحى بنفسه قال للهادي: رأيتك أيها الإمام أول ما رأيتك تطوف على المرضى في المسجد تعودهم فقال: هكذا كان آبائي كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وأنت إنما عهدت الجبابرة والظلمة، فاندهش وصار أحد أتباع الإمام.

وأثنى عليه السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير في نهاية التنوية بقوله: وأول تصانيفه صنفها وهو في ستة عشر سنة بلغت تصانيفه ثمانية وأربعين كتاباً ... إلى قوله فرع طابت ثمرته، وكرمت شجرته، ولولا علمنا بأبيه لقلنا أبوه من الملائكة الكرام تهدأت إليه أغصان الفضائل وبشرت به الملاحم والدلائل... إلى قوله: وقال الفقيه الديلمي في وصفه شعراً:

يسدُّ مسدَّ الألف بأساً ونجدة إذا فرقوا من حوله وتفرقوا

إلى قول الهادي قال الفقيه رحمه الله وثبات الزيدية والأشراف في اليمن من حسنات الهادي عليه السلام.

وفيه يقول الشاعر:

إذا ما شئت أن تحيا حياة حلوة المحيا
فزر يحيى تجد يحيى لدين الله قد أحيا

قال: ومع أن الله تعالى قد أحيا بالهادي عليه السلام أرض اليمن والحجاز وأكثر بلاد

الديلم وأثنى عليه الإمام المؤيد بالله عليه السلام فقال: كنا نهاب نصوص يحيى كما نهاب نصوص القرآن.

وقال الإمام المنصور عليه السلام: وقول يحيى بن الحسين ينقض بقوله لا بقول غيره إذ لا سلطان للغير عليه ولا سبيل إليه.

قال شيخنا العلامة أطال الله عمره ونفعنا بعلومه بعد إيراده لهذا الكلام ما لفظه:

قلت: وحاشاهم أن يقولوا ذلك كذباً أو جهلاً وما قالوه إلا لأنهم عرفوا منزلته في العلم ورسوخه فيه. اهـ.

قال ابن حجر في فتح الباري: كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش فَسَّر الخبر المروي في البخاري وهو: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» فأفاد أنه صدق الحديث ببقاء الأمر في قريش باليمن من المائة الثالثة في طائفة من بني الحسن قال لا يتولى الإمام فيهم إلا من يكون عالماً متحرياً للعدل ... إلى قوله: والذي في صعدة وغيرها من اليمن لا شك في كونه قرشياً لأنه من ذرية الحسن بن علي عليهم السلام .

وقال صاحب الرياض المستطابة أبو بكر العامري ما لفظه: وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم ... إلى قوله : وجاء إلى اليمن وقد عمَّ بها مذهب القرامطة والباطنية فجاهدهم جهاداً شديداً وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة لم ينهزم في شيء منها وكان له علم واسع وشجاعة مفرطة.اهـ.

وأثنى عليه أبو العباس الحسني فقال: له وقائع مشهورة ومقامات محمودة وحروب معلومة وكان مع هذا مجتهداً عابداً يصوم في أكثر أيامه ويحيى أكثر ليله وقد شرى نفسه لله وهان عليه ما يلقى من المحن والأهوال.اهـ.

وأثنى عليه ابن حزم في جمهرة الأنساب ونشوان الحميري في رسالة الحور العين.

وأثنى عليه الذهبي في تاريخ الإسلام حوادث سنة [٢٩١-٣٠٠] **فقال**: يحيى بن الحسين بن

القاسم بن طباطبا العلوي كان قد غلب على اليمن ودعا بصنعاء وما والاها وضربت السكة باسمه ثم خرج من صنعاء بعد غلبة القرامطة فصار إلى صعدة وتسمى بالهادي وملك نجران وتلك النواحي وخطب له بأمير المؤمنين وكان حسن السيرة مات سنة ٩٨هـ وقام بعده ولده محمد ولقب بالمرتضى.اهـ.

ومن أعذب ما كتبه عن الهادي هو الدكتور الفلسفي الإسلامي أحمد محمود صبحي في كتابه الزيدية فقد ابتدأ أول ترجمة الهادي % بقول الله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**...﴾الآية [الحج: ٤١].

قال صبحي في سيرته: كان الهادي داعية إلى حكم إسلامي على المذهب الزيدي إذ حدد أصول الدين في معرفة الله وتوحيده، والعدل، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم الخروج مع أئمة آل البيت من ولدي الحسن والحسين وقال: وقد استطاع الهادي أن يقضي على العصبية الجاهلية بين القبائل المتصارعة حتى دانت له الرقاب ... قال صبحي: كما كان يعود المرضى ويطعم اليتامى بنفسه ولا يأكل طعاماً حتى يبدأ بإطعام المساكين وقال: وكان إذا رأى امرأة سافرة في الطريق أمرها بالحجاب فهو أول من أدخل البراقع «اللثمة» باليمن.

وقال صبحي وهو في سياق تعداد فضائل الهادي عليه السلام: سئلت ألا تعتقد أن هناك مغالاة من أتباعه في إضفاء هذه الأوصاف عليه؟ فقلت-أي صبحي- لو لم يكن ذلك حقاً لما كانت مولاته إلى يومنا هذا ولافتضح المستور كما تفتضح سير الملوك بعد موتهم مهما خلعوا على أنفسهم أو خلعت بطانتهم عليهم من تمجيد فشتان بين الأئمة وبين الملوك وشتان بين أتباع يوالون إلى اليوم وبين بطانة تنافق زمن السلطة.

ويقول الدكتور صبحي عن الهادي: أهم شخصية في المذهب الزيدي لا يفوقه إلا المؤسس الإمام زيد عليه السلام أحاط الإمام الهادي إحاطة كاملة بعلوم الدين وأخصها الكلام والفقه إلى جانب مثابرة على الجهاد دون كلل فكان نموذجاً كاملاً للإمام الزيدي

لا غرو أن يطبع المذهب الزيدي في اليمن بطابعه، وبخاصة في الفقه وإذا كان قد جمع بين العلم والجهاد فقد جمع كذلك بين صفتين يبدوان متعارضتين وهما رجل الدولة ثم الزهد وما ذاك إلا لاجتماع النظر والعمل فيه إلى حد التطابق، «والله إنها لسيرة محمد أو النار».

وقال: وإما أن يتحد العلم مع الجهاد على نحو فائق وأن يكون الورع والزهد ومواساة المحتاجين من خصال رجل الدولة فذاك ما لا يكون على مر العصور والدهور إلا في الواحد بعد الواحد ومنهم الهادي يحيى بن الحسين إنه في علم الكلام من كبار شخصياته وهو في الفقه من أكبر فقه المذهب الزيدي.

وقال: أضاف الإمام الهادي الزهد والتصوف إلى الجهاد والخروج وندر من جمع بينهما ولكنه مقتد في ذلك بإماميه علي وزيد وعباراته تنم عن إخلاص وصفاء نفس .اهـ. المراد باختصار.

قال شيخنا العلامة أطال الله عمره بعد إيراده لكلام الدكتور صبحي ما لفظه:

قلت: لقد أجاد وأفاد وبلغ القمة في الجواب، بما يدل أن القائل قد حقق واستفاد، والكلام حوله يطول ولنتشرف بذكر كلام سيدي العلامة الحافظ مجد الدين المؤيدي يكون خاتمة لكلامنا عن إمام الأئمة الهادي عليه السلام حيث قال في التحف: ففضل إمام اليمن محيي الكتاب والسنن كالشمس وضحاها قد ملأ العالم ضياؤه، وعلا وجه البسيطة نوره وسناؤه، اعترف له الموالف والمخالف وخلد ذلك في صفحات الصحائف في الشام واليمن والشرق والغرب-ثم نقل كلام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري- ثم قال: وكذا ابن حزم في الجمهرة والعامري في الرياض المستطابة.. وكذا الرازي في مفاتيح الغيب وغيرهم، وأما المؤرخون من اليمنيين فقد شرفوا بذكره دفاترهم كالهمداني في إكليله ونشوان الحميري في رسالته الحور العين وأشعاره والسلطان الرسولي في طرفته والشوكاني في مؤلفاته وأما المؤلفون في علوم الشريعة فعليه اعتمادهم وإليه سندهم واستنادهم.

سل سنة المصطفى عن نجل صاحبها　　　من علم الناس مسنوناً ومفترضا

ولله القائل:

وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها　　　ويجهد أن يأتي لها بضريب　اهـ.

وقال المولى في التحف: وما نشر الله في أقطار الدنيا أنواره وبث في اليمن الميمون بركاته، وآثاره –منذ أحد عشر قرناً– إلا لشأن عظيم ولقد ملأ اليمن أمناً وإيماناً وعلماً وعدلاً ومساجد ومعاهد وأئمة هدى وما أصدق قول القائل فيه %:

فسائل الشهب عنه في مطالعها　　　والفجر حين بدا والصبح حين أضا

سل سنة المصطفى عن نجل صاحبها　　　من علم الناس مسنوناً ومفترضا

قال الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير في ثنائه على ابن الأثير ما لفظه: فابن الأثير لا يوازي يحيى بن الحسين الهادي في علمه وورعه وتقواه وجهاده ودعائه العباد إلى الله وإن لم يكن % مصنفاً في غريب الحديث والأثر مثل النهاية لأنه اشتغل بما هو أهم من ذلك.اهـ.

وقال الإمام مجد الدين عليه السلام: أراد لم يكن له % على سبيل الاستقلال المجرد في ذلك الفن ولكن له في علمي المعقول والمنقول من الكتاب والسنن ما أحيا الله تعالى به معالم الإسلام على أقوم سنن... إلخ.

وقال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله في الهادي عليه السلام في ديوانه:

فذالك مذهب يدعى ليحيى　　　إمام القطر والبحر العباب

هو المتبوع وهو لذاك أهل　　　إلى المحراب يغدو والحراب

له عند التقا الأبطال وجد　　　وشغل بالطعان وبالضراب

وعنـــد الســـلم أقـــلام تبـــاري بـــــأقوال تؤيـــــد بالكتـــــاب
وســـنة أحمـــد مهـــما رواهـــا جهابـــذة الأئمـــة والصـــحاب
كـــذلك مـــا تسلســـله ثقـــات إلى المـــولى الـــوصي أبي تـــراب

اهـ.

وقال الأستاذ المصري محمد أبو زهرة في كتابه الإمام زيد حياته وعصره: رأينا أن الإمام الهادي كان قطب الدائرة في القرن الهجري ... إلى قوله: وكان مرجعاً في الدين من كل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة ويسألونه ويستفتونه وهو يرد عليهم برسائل قيمة أثرت عنه يدافع فيها عن القرآن والسنة وبَيَّن الحق الذي يرد الزائغين.اهـ.

وقال الواسعي في تاريخ اليمن: المبرز في العلوم، الحافل بمنطوقها والمفهوم، صاحب المذهب الشريف والمنصب المنيف.. زاده الله بسطة في العلم والجسم والقوة.اهـ.

بيعته وجهاده

كان قيامه % سنة (٢٨٠هـ).

قال علامة العصر المولى مجد الدين المؤيدي: ولما انتشرت فضائله، وظهرت أنواره وشمائله، وفد إليه أهل اليمن فسألوه إنقاذهم من الفتن فساعدهم وخرج الخرجة الأولى-وذلك سنة ثمانين- ثم كر راجعاً لما شاهد من بعض الجند أخذ شيء يسير من أموال الناس فنزل بأهل اليمن من الشدائد والفتن ما لا قبل لهم به، فعاودوه الطلب وتضرعوا إليه فأجابهم وخرج ثانياً عام(٢٨٤هـ).

وفيه يقول الشاعر الخيواني وهو ابن البلس:

لـو كـان سـيفك قبـل سـجدة آدم قـد كـان جـرد مـا عصى ـ إبلـيس

اهـ.

وأخباره مشهورة وجهاده ووقائعه مع القرامطة في كتب التاريخ مزبورة.

إذا كان فضـل المـرء في النـاس ظـاهراً فلـيس بمحتـاج إلى كثـرة الوصـف

وله % مع القرامطة الخارجين عن الإسلام نيف وسبعون وقعة كانت له اليد فيها كلها ومع بني الحارث نيف وسبعون وقعة وخطب له بمكة المشرفة سبع سنين وقد ذكر ذلك مؤلف سيرته علي بن محمد العباسي العلوي وكثيراً من أخباره وقصصه، وإنما غرضنا الاختصار لا الإسهاب ومن أراد الإطلاع فعليه بسيرته وكتب التاريخ فسيجد أخباراً وقصصاً تشفي غليله وتنور سبيله.

منهجه وفكره عليه السلام

«والله لو أطعتموني ما فقدتم من رسول الله إلا شخصه والله ما هي إلا سيرة محمد وإلا فالنار النار والله لأسيرن بكم سيرة علوية وإلا فالنار النار» ماذا نتوقع أن يكون منهج وفكر هذا الإمام قائل هذه العبارات؟

وما تحمل من معانٍ عظيمة؟ إنها كلمات قالها الإمام الهادي % بعد العلم بمقتضاها، وجدير به أن يقولها وهو أهل لذلك، وهيهات أن تصدر من إنسان لا يعرف جوهرها إلا أن يكون عالماً بها وأن يكون صاحب شجاعة دينية فينطق بها لسانه، إنها كلمات يسيرة مبانيها واسعة معانيها هي عنوان لمنهجية الإمام % وفكره.

ولي أن أقول: إن هذه العبارات غنية عن شرح ألفاظها وتبيين معانيها لأنها تدل على أن الإمام % نهج نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهج أمير المؤمنين % ونهج

الإمام الأعظم زيد بن علي %.

ولا غرو ولا غرابة وليس بغريب إنها عادات أهل البيت " ومذهبهم اقتفاء أثر أبيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة فهم سفينة النجاة وهم باب حطة وهم الأمان وكما قال أمير المؤمنين % «شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة».

غير أني أريد أن أذكر شيئاً يسيراً من هذا الفكر الإسلامي الصحيح وأُبُثّ شوارد هامة لتستقطبها عقول من غابت أعينهم عن هذا المنهج السليم، أن أهل البيت " يستقون من معين واحد وأنهم مجمعون في أصول الدين ولم يخالف أحد من الأئمة الآخر، وكما هو موضع في مواضعه فترى الإمام الهادي % قد سلك في العقيدة سبيل القرآن وأخذ بالمحكم وترك المتشابه يقول بأن الله عدل لا يفعل القبيح، وأن أفعال العباد منهم وأنهم مخيرون وأن الله عليم حكيم قادر قديم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ليس كمثله شيء، وليس له شبيه ولا ند ولا مثيل الواحد بلا عدد ولا تحويه الأماكن.

ويعتقد الوعد للمؤمن والوعيد للكافر والفاسق المصّر ـ ومستنده في ذلك القرآن الكريم، ولقد بلغ في الاستدلال بالآيات القرآنية مبلغاً لا يستطيع أحد أن يدركه.

قال عنه الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام: «كنا نهاب نصوص يحيى كما نهاب نصوص القرآن»، وإنما قال هذه العبارة لما أدرك من قوة استدلالاته وحسن مقالاته، ومن أراد معرفة ذلك فعليه بكتبه الأصولية ككتاب البالغ المدرك وكتاب الإرادة والمشيئة وكتاب التوحيد والرد على ابن الحنفية وغيرها فقد ألزم % المجبرة والقدرية فيه إلزامات يعجر عن ردها والإجابة عنها فحول متكلميهم

وعلمائهم.

وهذه العقيدة هي عقيدة أهل البيت " لم يخالف الإمام الهادي الإمام زيد بن علي ولم يخالف جده القاسم بن إبراهيم ولم يخالف الأئمة المتأخرون الأئمة المتقدمين فيه أبداً لأن مشربهم الزلال ومعينهم هو العذب السلسال.

أما المسائل الفروعية والفقهية فللاجتهاد فيها مسرح، وكل مجتهد فيها مصيب، وقد اجتهد الصحابة فيها وبعضهم خالف بعض وأداه نظره إلى ذلك ولم ينكر بعضهم على بعض.

ومن هذا الباب أرسل بعض الحاقدين قلمه وأكثر وأهجر، بأن الاختلاف موجود بين أئمة أهل البيت وأن الهادي خالف زيد بن علي وأنه أول من شق الزيدية، و... و... و... الخ.

ومن شعره

له % الأدب الفائق، والشعر العذب الرائق، وشعره مليء بالحكمة ومرصع بأجود البلاغة وأنيق الفصاحة كأنه در وياقوت في عقد منظم، وإليك نسمات وشذرات من شعره:

الخيل تشهد لي وكل مثقف ... بالصبر والإبلاء والإقدام

حقاً ويشهد ذو الفقار بأنني ... أرويت حديه نجيع طغام

علًّا ونهلاً في المواقف كلها ... طلباً بثأر الدين والإسلام

حتى تذكر ذو الفقار مواقفاً ... من ذي الآياد السيد الصمصام

جدي علي ذو الفضائل والنهى ... سيف الإله وكاسر الأصنام

ويقول %:

طرقــت لعمــرك زاهــر مولاهــا والنــار مســعرة يشــب لظاهــا
طرقـت تبخـتر في الحـلي وفي الكسـا إن الخريـــدة همهـــا وهواهـــا
تكســو المناكــب زانهــا أعجازهــا عنــد التعــانق حلــة ورداهــا
أقنــي حيــاك فحلتــي يــوم الــوغى درع أعــــانق جيبهـــا وعراهـــا
نحــن الفــواطم لهونــا طعــن القنــا ومــدامنا حــرب تــدور رحاهــا

وله %:

أنـــا ابــــن محمــــد وأبي عــــلي وجــدي خــير متعــل وخــالي
بحــــذوهم لعمـــرك احتـــذائي كـــما يحـــذو المثـــال عـــلى المثـــال
أنــا المــوت الــذي لا بــد منــه عــلى مــن رام خــدعي واغتيــالي
وغيــــــث للــــــولي إذا ولي أتـــاني يبتغـــي منـــي نـــوالي
أخــوض إلى عــدوي كــل هــول وأصــبر عنــد معــترك النــزال

وله % نصيحة إلى أولاده وهي نصيحة عظيمة وسأنقل منها ما تيسر لي نقله فهي مفيدة لكل من أراد اقتفاء أثره:

بَنِــيَّ اصــبروا للــدهر عنــد الــزلازل ولا تخضعوا عنـد الخطـوب النـوازل
بنــي لكــم أصــل كــريم فحــافظوا عـلى أصـلكم مـن مجريـات المراجـل
لنــا كــان أصــل المجــد ثــم مالــه إلينـــا وفينـــا لـــيس عنـــا بزائـــل
ترقــوا بأســباب العلــوم وعلمــوا بنــيكم فنــون الغــامض المتشــاكل
فبــالعلم قــودوهم لكــل فضــيلة إلى كــل مــا يســعى بــه كــل فاعــل

وللرفـــق والآداب فليحكمـــوا لـــه مجـــاورة القـــرآن عنـــد التنـــاول

وإن تصـــحبوا فـــالطيبين فصـــاحبوا وتجنبـــوا الأرذال أهـــل الضـــغائل

بنـــي الفتـــى لا يســـتدل بجســـمه عليـــه ولا بـــالثوب بـــل بالأفاعـــل

ولا تســـتعينوا بالعـــدو لحاجـــة ولا بـــالجهول الأحمـــق المتفاضـــل

عليكم بحسن القول في الناس واحذروا مجالســـــة المتكـــــبر المتثاقـــــل

أجيبوا اللئيم النذل بالصمت واصبروا عـلى مـا سـمعتم مـن وضـاعة قائـل

ولا المـــوت إلا بالســـؤال لغـــيركم ولا تجعلـــوا أرزاقكـــم بالمســـائل

وحاموا على ابن العم وإن رام قطعكم ولا تقطعـــوا إن رام قطـــع الحبائـــل

ولا تـــأمنوا قومـــاً قتلـــتم رجـــالهم فأكبـــادهم تغـــلى كغـــلي المراجـــل

علـــيكم جميعـــاً بـــالتودد بيـــنكم وبـــالبر فـــيما بيـــنكم والتواصـــل

دعوا ذكر عيب النـاس والهـوا بعيـبكم ولا خـير فـيمن عيبـه غـير شـاغل

ولا تنكحـــوا أم العيـــال لمالهـــا ولكـــن علـــيكم بالبكـــار البهاكـــل

ألا إنـــما حـــرب يثـــور عجاجـــه على المـرء أحـلى مـن نكـاح الأرامـل

يبيـت بطـول الليـل يـبري عظامـه كـما يـبري النجـار عـود المحامـل

ولا تهـدموا مـا قـد بنتـه مشـائخ لهـم شـيم محمـودة في الأوائـل

بَنِـيَّ وصـونوا بالحجـاب نسـاؤكم ولا تجعلـوا أرحـامكم كالهوامـل

إذا ما غضبتم فاكتموا الغيظ واصفحوا فكـم نـادم بـاك بعجلـة عاجـل

ومنـي سـلام الله بـاق علـيكم كـما لاح بـرق في السحاب الهواطـل

وصـلى إلهـي كـل يـوم وليلـة عـلى أحمـد والآل محـض الأصـائل

وهي قصيدة طويلة ومفيدة وذكرنا منها ما قدمناه عسى أن ينتفع بها من أراد الهداية

وقد ذكرها بطولها العلامة القاسم بن أحمد المهدي في كتابه(مختارات من أشعار الأئمة).

ومن مؤلفاته عليه السلام

قال المولى مجد الدين المؤيدي رحمه الله: كان % لا يتمكن من إملاء مسألة إلا وهو على ظهر فرسه في أغلب الأوقات، ومن مؤلفاته:

التوحيد وكتاب القياس، وكتاب المسترشد، وكتاب الرد على أهل الزيغ، وكتاب الإرادة والمشيئة، وكتاب الرضاع، وكتاب المزارعة، وكتاب أمهات الأولاد، وكتاب العهد، وكتاب تفسير القرآن ستة أجزاء، ومعاني القرآن تسعة أجزاء، وكتاب الفوائد جزئين، وكتاب مسائل الرازي جزءان، وكتاب السنة، وكتاب الرد على ابن الحنفية، وكتاب تفسير خطايا الأنبياء، وكتاب أنباء الدنيا، وكتاب الولاء، وكتاب مسائل الحسين بن عبدالله الطبري، ومسائل ابن أسعد، وكتاب جواب مسائل نصارى نجران، وكتاب بوار القرامطة، وكتاب أصول الدين، وكتاب الأمامة وإثبات النبوة والوصاية وكتاب مسائل أبي الحسين، وكتاب الرد على أهل صنعاء والرد على سليمان بن جرير، وكتاب البالغ المدرك في الأصول وكتاب المنزلة بين المنزلتين،

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: وقد تركنا قدر ثلاثة عشر كتاباً كراهة التطويل وهي عندنا معروفة موجودة.اهـ.

قلت: وقد طبع منها كتاب الأحكام والمنتخب والفنون مجموع كتبه ورسائله المسماة بـ (المجموعةالفاخرة) فيه عدة كتب ورسائل منها المسترشد والبالغ المدرك والقياس والمنزلة بين المنزلتين وغيرها.

وفاته عليه السلام

توفي رحمه الله بالسم شهيداً وهو في ثلاث وخمسين سنة ليلة الأحد لعشر بقين من ذي الحجة (٢٩٨هـ) ودفن يوم الإثنين قبل الزوال في قبره الشريف المقابل لمحراب جامعه الذي أسسه بصعدة.

أولاده

- الإمام المرتضى محمد، وكان إماماً، عالماً، مجاهداً، أديباً، ومجموع كتبه ورسائله يشهد له بعظيم المكانة وعلو المنزلة.
- الإمام الناصر أحمد وهو والدنا الآتية ترجمته.
- وفاطمة، وزينب، وأمهم فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم.
- والحسن وأمه صنعانية وهو فاضل كامل ترجمه ابن أبي الرجال في مطلع البدور.

الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي عليهم السلام
[٢٨١-٣٢٥هـ]

نسبه عليه السلام

هو والدنا الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.

قال الشهيد حميد رحمه الله: ولا جوهر أعلى من جوهره، ولا عنصر أزكى من عنصره، وكيف يوصف شرف نسب تردد بين النبي المختار والأئمة الأطهار السادة الأبرار:

قـــــوم كــــــرام ســــــادة مـــــنهم ومـــــنهم ثـــــم مـــــن

اهـ.

مولده وأمه عليه السلام:

ولد % سنة إحدى وثمانين ومائتين، وأمه فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم.

بيعته وشيء من مناقبه وسيرته

قال الشهيد حميد رحمه الله: كان % قد نشأ على الزهادة وتربى على العبادة واقتبس من نور والده الوقاد، وكرع في علم الأجداد، حتى ارتوى من غريب علمهم واستمطى رباب فهمهم فأحرز من علمهم الصافي الكثير وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزيز.اهـ.

وهذا الإمام اسمه يغني عن ذكر صفاته وأحواله فهو أشهر من أن يذكر وكتب التاريخ تحكي فضله وجهاده، وله ولأخيه اليد الطولى في انتشار دين الإسلام في بلاد اليمن بعد أبيهما سلام الله عليهم أجمعين.

وكانت روايته % عن والده الإمام وعنه ولده يحيى وولد أخيه يحيى بن محمد.

قال الأستاذ محمد أبو زهرة: كان عالماً فقيهاً مدركاً معاني الدين حتى أنه كان يسمى ترجمان الدين إذ كان يفهم مغازيه ومراميه ويقربها للناس وكان زاهداً وعالماً وعابداً ومع ذلك كان سياسياً وقائداً محارباً فقد حمل العباد بعد أبيه في محاربة القرامطة مجاهداً في الله حق جهاده.اهـ.

وفيه يقول صارم الدين الوزير:

وما ارتضت مرتضانا حين طلقها ... لعلم مكنون ما في الجفر من أثر

وسلم الأمر مختاراً وقلده ... أخاه أحمد مغني كل مفتقر

فدوخ اليمن الأقصى ـ إلى عدن ... مع الجبال كبعدان وكالشعر

وكان يوم نغاش منه ملحمة ... مع القرامط لم يبق ولم يذر

وعدّ سبعة آلاف مضوا عجلاً ... حصائداً بين مرمي ومجتزر

وبالمصانع أخرى منه تشبهها ... حلت عرى الشرك من كوني ومن قدر

اهـ.

وكان % وقت وفاة أبيه في الحجاز فقدم منها في آخر ذي الحجة من سنة ثلاثمائة وأقام مع أخيه المرتضى حتى كان يوم الأحد لثمان ليال خلت من صفر سنة إحدى وثلاثمائة واجتمع إليه وجوه خولان فاستعانوا به على أخيه المرتضى ـ أن يقوم فيهم، فكَرِه ذلك فسألوا الناصر % القيام فأجابهم إلى ذلك وأعطوه المواثيق والعهود وكانت بيعته يوم الجمعة في مسجد الهادي % وتابعه أخوه الإمام المرتضى وله خطبة عظيمة عند مبايعته للناصر وهي طويلة تركناها خشية التطويل والإسهاب وبايعه الناس وركب إلى صعدة القديمة في ذلك اليوم فاجتمع إليه خلق كثير.

وأنشده الشاعر الكبير صدر صدور الشيعة ولي آل محمد إبراهيم بن محمد التميمي في ذلك اليوم قصيدة بليغة تدل على إخلاص قائلها منها:

عادات قلبك يوم البين أن يجبا ... وأن تراجع فيه الشوق والطربا

قوم أبوهم رسول الله حسبهم ... بأن يكون لهم دون الأنام أبا

مــن ذا يفــاخر أولاد النبــي ومــن هـــذا يـــداني إلى أنســـابهم نســـبا

قــوم إذا افتخــر الأقــوام واجتهــدوا وجــدت كــل فخــار فــيهم اكتســبا

لـــولا الإلـــه تلافانــــا بـــدينهم لمــا فتئنــا عكوفــاً نعبــد الصُّــلُبا

أقــام جبريـــل في أبيـــاتهم حقبـــاً يتلـــو مـــن الله في حافاتهـــا الكتبـــا

لا يــدفع الســوء والبلــوى بغــيركم عنــا ولا ينجــز الوعــد الــذي كتبــا

لا يصــلح الــدين والــدنيا بغــيركم ولا يقــال لمــن ســامى بكــم كــذبا

من عابكم حسداً حسـد الإلـه ومـن عــاب الإلــه فقــد أودى وقــد عطبــا

ومن يكن سـلمكم يسـلم بسـلمكم ومــن يحــاربكم جهــلاً فقــد حربــا

لم يفــرض الله أجــراً غــير حــبكم لجــدكم خــاتم الرســل الــذي انتخبــا

حتـى الصـلاة علـيكم والـدعا لكـم فرض على كل من صلى ومـن خطبـا

اهـ.

وبايعه أهل همدان ونجران وبعث قواده وعماله إلى جميع مخاليفه وساس الأمور أحسن سياسة ودانت له ملوك اليمن واستولى على أكثر أعماله وكانت أكثر حروبه مع الباطنية وكان آخر الوقائع وأعظمها وقعة (نغاش) وكان ابتداء المعركة يوم الأحد ٢٨ شعبان سنة٣٠٧هـ واستمرت إلى يوم الأربعاء ٤ رمضان.

قال الإمام مجد الدين المؤيدي رحمه الله: ولم يزل الإمام الناصر قائماً بأمر الله مثابراً لأعداء الله ... واستأصل أرباب الدعوة الملحدة من القرامطة الباطنية، وقد كانوا تحزبوا أحزاباً وارتجت منهم الأرض فأخذتهم سيوف الإمام الناصر قتل في وقعة واحدة ثمانية وأربعين رئيساً من دعاتهم، وأما العساكر والأتباع فلم تنحصر القتلى منهم حتى جرت الدماء جري الأنهار، قال عبد الله بن عمر الهمداني مؤلف سيرة الإمام

وأحد فرسانه: ولقد شهدت الحرب فما رأيت يوماً كيوم نغاش أكثر قتلى فلقد سمعت خريراً للدماء كخرير الماء إذا هبط من صعود، فلما وقعت الهزيمة فيهم أخذوا الجبل عموماً من كثرتهم فدخلت الوحوش بينهم فقتلت... وقال: وجدنا فيهم موتى بسلاحهم ليس بهم جراح وذلك لنصر الله أهل بيت نبيه. انتهى.

وانهدت بهذه الوقعة دعائم الملحدين وأبادهم الله في أرض اليمن بعد أن حاولوا هدم الإسلام ونقض عرى الدين ودخل الإمام الناصر عدن وأبين ومعه من جنود الله ثمانون ألفاً.اهـ.

ومن شعره:

المجبرون يجادلون بباطل ... وبغير ما يجدون في الفرقان

الواصفون إلههم بتعنت ... لعباده كذبوا على المنان

كلٌ مقالته الإله يضلني ... ويريد لي ما كان عنه نهاني

إن كان ذا فتعوذوا من ربكم ... ودعوا تعوذكم من الشيطان

إن كان ذاك كذا إرادة ربنا ... فلمن أعد جواحم النيران

إن كان ذلك فالمعاصي طاعة ... والبر مثل عبادة الأوثان

إن المهيمن لا يضل عباده ... حتى يضلوا يا ذوي الطغيان

إلزامه لهم الضلال بفعلهم ... إضلاله لهمُ بكل أوان

قالوا الذنوب مشيئة من ربنا ... قلت المشيئة والرضا سيان

قالوا الرضى غير المشيئة فاعتدوا ... والله يجزيهم على العدوان

إن المشيئة والإرادة والرضى ... معنى وما هي فاعملوا بمعاني

والاستطاعة فيكم مخلوقة خلقت مع الأرواح والأبدان

لولا استطاعتكم لطاعة ربكم ما قال ربكم اطلبوا رضواني

الله ملكنا ليوجب حجة تخزيك كل يد وكل لسان

جعل استطاعتنا علينا حجة والاستطاعة حجة الرحمن

ولذاك ليس على المصاب بعقله في الدين من حرج ولا الولدان

والناس تحدث منهم أفعالهم والاستطاعة حيلة الإنسان

زعموا بأن الله كلف عبده أشياء ليس له بهن يدان

إن المكلف عندنا لعبيده ما لا يطاق لجائر السلطان

أيريد معصية ويفرض طاعة إن كان ذاك فأمره أمران

أأراد أن يعصى-وعذب من عصى- تلك المقالة أعظم البهتان

أأراد سيرة من أطاع ومن عصى- فهما إذن في الأمر مستويان

إن كان ربكم أراد ضلالكم فالمجبرون إذن ذووا إحسان

أيقول ربكم لقوم آمنوا ويرد ألسنهم عن الإيمان

ما كان ربكم ليصرف عبده من وجه طاعته إلى العصيان

والله لم يرد الفواحش إنما بالعدل يأمرنا وبالإحسان

ومن مؤلفاته:

قال المولى مجد الدين رحمه الله ما لفظه: قال الإمام المنصور بالله %: وله تصانيف في العلوم جمة على اختلاف أنواعها أولها كتاب التوحيد في نهاية البيان والتهذيب وكتاب النجاة ثلاثة عشر جزءً وكتاب مسائل الطبري جزءان في الفقه وكتاب علوم

القرآن وأربعة أجزاء في الفقه وكتاب الشبه وكتاب أجاب به الخوارج الأباضية، وكتاب الدامغ أربعة أجزاء.اهـ.

أولاده عليهم السلام

- أبو محمد القاسم المختار قام بالإمامة بعد والده.
- ووالدنا علي الآتية ترجمته ويحيى وعقبهم باليمن، وإسماعيل وعقبه بحلب وغيرها، والحسن المنتخب وعقبه ببغداد، وداود وعقبه برام هرمز وغيرها، والرشيد وعقبه بدمشق، وإبراهيم وعقبه بمصر، ومحمد بحلب، والحسين والمهدي هنالك، هكذا أفاده في التحف الفاطمية.

وفاته عليه السلام

قد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته فقائل يقول توفي % سنة ٣١٥هـ وآخر سنة ٣٢٢هـ وغيرهما سنة ٣٢٣هـ وأغرب منهم جميعاً سنة ٣٤١هـ وهو بعيد.

والذي نعول عليه ما نقله كثير من المؤرخين وهو الذي رواه المولى مجد الدين المؤيدي رحمه الله من أنه توفي % ضحى يوم الأربعاء ١٨ ذي الحجة ٣٢٥هـ ومدة قيامه بالإمامة ثلاث وعشرون سنة ودفن بجوار أبيه وأخيه ومشاهدهم مشهورة مزورة.

علي بن الإمام الناصر

كان سيداً زاهداً فاضلاً ورعاً .

قال العلامة الجلال: علي بن الناصر تـزوج مـن عمـه المرتضى- بـن الهـادي % بنتـه خديجة فحصل له منها ولده المطهر .اهـ.

قال عنه ولده المطهر بن علي في مساجلته مع الكلاعي ما لفظه:

أنـــا ابـــن ســـادتهم والـــدي منصـــبه مـــن بيـــنهم أغلـــب

في ذروة مـــن عـــزمهم لم يـــزل يســـمو بـــه الأنجـــب فالأنجـــب

وكانت حياته رحمه الله في القرن الرابع الهجري، ولعل ولادته بعد الثلاثمائة ولم يتحقـق لي بأن عمره طال.

المطهر بن علي بن الناصر

هو والدنا العلامة الأديب الأريب والأمير الخطير والشاعر الكبـير شـيخ الشـيوخ وأستاذ أهل الرسوخ، علم الأعلام ونجل السادة الكرام، صاحب التصـانيف النافعـة المولى المطهر بن علي بن الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق ".

كان رحمه الله سيداً أديباً عالماً عاملاً زاهداً ورعاً مصنفاً فاضلاً.

قال العلامة الجلال: كان يلقب بالمظفر بالله وكان بالغـاً في العلـم والفصـاحة وأمـه خديجة بنت المرتضى %، وتزوج بنت الإمام القاسم بن علي العياني جد الكافة من بني القاسم، وهي مكيلة بنت القاسم % تزوج أمها من شهران بوادي ترج من نزار الشام

وكان أخوها الأمير الكبير سليمان بن القاسم وصل بها من الشام من أخوالها شهران بعد موت أبيها الإمام القاسم ووصل بها إلى عيان من بلد سفيان فلما عام المطهر بن علي بوصول أخيها بها إلى عيان تقدم السيد المطهر بن علي فطلبها منه فزوجه إياها أخوها سليمان بن القاسم بعد خروجه من صعدة وكان سبب خروجه إلى خيوان خاف من صعدة بسبب ضيق حدث من اخوته وكان خيوان له موطناً إلى أن مات وقيل مات بذي جبلة من أرض السر. قلت: وعلى هذا يكون عام زواجه بمليكة بنت الإمام القاسم عام ٣٩٤هـ تقريباً لأن وفاة الإمام القاسم % سنة٣٩٣هـ.اهـ. مشجر الجلال بتصرف.

قال العلامة ابن أبي الرجال في ترجمته ما لفظه: الأمير الخطير هو جد الإمام أحمد بن سليمان، كان عالماً مصنفاً في علوم آبائه التصانيف النافعة على مذهب يحيى بن الحسين. اهـ.

قال الشهيد حميد رحمه الله: وأما جده –يعني الإمام أحمد بن سليمان –المطهر بن علي بن الناصر " فإنه كان مصنفاً التصانيف في الشريعة على مذهب جده الهادي إلى الحق % وخرج على مذهب الهادي أشياء كثيرة من جملتها أن الترتيب بين اليدين والرجلين في الوضوء لا يجب وكان شاعراً فصيحاً، فمما يروى له %.

لحاني في الهوى لاح نصوح	فغالب مقودي رأس جموح
فقلت له وفي الخدين مني	خدود خدها الدمع السفوح
أتطمع أن تريع إلى سلو	وأن ينسى النوى قلب جريح
بروحي من برى روحي فأعجب	بروح كيف منه ذاب روح
سأركب كل هول أو أراني	أميح ولا أراني أستميح

ولا ألــوي عــلى وطــن فتضــحى مذلتـــه عـــلى خـــدي تلـــوح

فســح في الأرض واطَّلــب المعــالي فكـــم مـــن ســـيد فيهـــا يســـيح

فلـــولا أن فـــيمن ســـاح خـــيراً يفـــوز بـــه لمـــا ســـاح المســـيح

وله رحمه الله مساجلة شعرية مع لسان الزيدية العلامة الأديب محمد بن الحسن الكلاعي اجتمعا في منزل الأمير الحسن بن محمد بن يحيى بن الناصر بصعدة وحضر هنالك الأمير زيد بن إبراهيم بن محمد بن المختار بن الناصر فتساجلا في ذلك اليوم وكان الجو ممطراً وذكر المساجلة كاملة العلامة ابن أبي الرجال في مطلع البدور في ترجمة العلامة محمد بن الحسن الكلاعي .

ومن مؤلفاته:

١- تصرف في التجريد للإمام المؤيد بالله % وتعقبه الإمام أحمد بن سليمان بأصول الأحكام.

٢- قصائد شعرية ومنها مساجلة مع الشاعر محمد بن الحسن الكلاعي.

٣- تخريجات كثيرة لجده الإمام الهادي " قال العلامة الجلال: وله من التصانيف كتاب الإرشاد تخريجاً على مذهب جده الهادي .اهـ.

وفاته رحمه الله

عاش في القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري وكانت وفاته بذي جبله سنة٤١٥هـ ومن أولاده محمد بن المطهر الآتية ترجمته وخديجة والقاسم درج صغيراً وأمهم مليكة بنت الإمام القاسم.

محمد بن المطهر بن علي

والدنا العلم العلامة محمد بن المطهر بن علي صاحب العلم الغزير والفضل الشهير لم يبلغ أهل عصره في العلم ما بلغ، فاق الأقران واشتهر في ذلك الزمان كملت فيه شروط الإمامة العظمى.

قال عنه المؤرخ ابن أبي الرجال: بلغ في العلم مبلغاً لا يلحق أهل زمانه يصلح للإمامة العظمى وأمه مليكة بنت القاسم العياني.اهـ.

قال العلامة الجلال: كان من أعلم أهل بيته وتثبت فيه الإمامة، ثم مات أبوه وطلب محمد بن المطهر إلى خاله سليمان بن القاسم ابنته حسنة فزوجه إياها ، له منها ولدان الأكبر مطهر والأصغر سليمان ويحيى وآخر وعبد الله.اهـ.

وعاش رحمه الله في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري ولعل وفاته كانت في منتصف القرن الخامس والله أعلم.

- ومن أولاده المطهر بن محمد الآتية ترجمته.

- وسليمان بن محمد وهو والد الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان ".

قال عنه الشهيد حميد رحمه الله: وكان أبوه –يعني الإمام أحمد بن سليمان– سليمان بن محمد من عباد الله الصالحين بل كان يصلح للإمامة ويرجى منه القيام لنصرة الدين الحنيف .اهـ.

وقال عنه العلامة ابن أبي الرجال: الأمير الأعظم الجليل ... وكان من بحار العلم ونحارير العترة يصلح للإمامة العظمى.

المطهر بن محمد بن المطهر بن علي

كان سيداً عالماً عارفاً زاهداً ورعاً ، ذكره المولى مجد الدين المؤيدي رحمه الله بقوله: الإمام المطهر بن محمد جاء ذلك في ذكره نسب الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام المطهر بن يحيى حيث قال: الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن الإمام المطهر بن محمد بن المطهر بن علي .... إلخ.

قال العلامة الجلال: تزوج بعد موت أبيه امرأتين أحدهما من أولاد القاسم من بني الحرازي والثانية من بني الضحاك.اهـ.

قلت: وهو أخو السيد العابد سليمان بن محمد والد الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان % .

وكانت حياته رحمه الله في القرن الخامس الهجري ولعل وفاته في آخر هذا القرن أو بداية القرن السادس الهجري والله أعلم.

قال العلامة الجلال: له من الولد محمد وأمه الشريفة من أولاد القاسم وهو الأصغر من أولادها ، وأولاده بعصافر .

- والحسين بن المطهر وأمه من بني الضحاك وهو الأصغر منها وله من الولد علي، وأولاده الذين في براوش، وبراوش في بني معمر.

- علي بن المطهر وأمه من بني الضحاك وهو الأكبر منها وهو جد الشريف الأجل الكبير محمد بن عبدالله، ولعلي بن المطهر من الولد عبدالله ولعبدالله محمد وأولاده بالمداير بظليمة.

- جعفر بن المطهر وأمه الشريفة وهو الأكبر منها له من الولد حسين بن جعفر ولحسين أحمد وعلي ومحمد ديارهم في مسلدة.

- القاسم بن المطهر الآتية ترجمته، وأمه من بني الضحاك وهو الأوسط منها. اهـ بتصرف.

القاسم بن المطهر بن محمد

كان سيداً فاضلاً، ورعاً، شريفاً، زاهداً، عابداً، عالماً، تقياً.

كانت حياته رحمة الله عليه في أواخر القرن الخامس الهجري والله أعلم.

قال العلامة الجلال: وأمه من بني الضحاك من خيوان وله من الأولاد المطهر بن القاسم الآتية ترجمته، وأمه من بني (الفرا) اهـ.

المطهر بن القاسم بن المطهر

كان سيداً عالماً عارفاً زاهداً ورعاً أخذ العلم عن علماء عصره ونشأ في بيت الزهد والورع وروى عنه ولده المرتضى بن المطهر كما ذكر ذلك في الطبقات الكبرى.

وكانت حياته رحمه الله في القرن السادس الهجري، ولعل وفاته في منتصف هذا القرن والله أعلم، وتزوج الشريفة معافاه بنت الإمام الحسن بن محمد[1].

ومن أولاده المرتضى، وأمه الشريفة معافاه[2].

---

(١) مشجر الجلال-خ-

(٢) مشجر الجلال-خ-

المرتضى بن المطهر بن القاسم

كان سيداً عالماً عارفاً زاهداً ورعاً، روى عن أبيه وروى عنه ولده السيد العلامة يحيى بن المرتضى.

قال في الطبقات الكبرى في ترجمة ولده يحيى بن المرتضى ما لفظه: يحيى بن المطهر والد المتوكل على الله المطهر بن يحيى، يروي عن أبيه عن جده وعنه ولده المطهر بن يحيى [٦١٤-٦٩٧هـ].اهـ.

قلت: وفيه سقط واضح حيث قال يحيى بن المطهر وإنما أراد يحيى بن المرتضى بن المطهر فلعله نسبه إلى جده المطهر بن القاسم أو أن السقط كان سهواً أو من النساخ فالمشهور أن والد الإمام المظلل بالغمام هو يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم.

فالأمر واضح فليتأمل، وتزوج الشريفة حسنة بنت حسين بن جعفر بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي[١].

هذا وقد عاش والدنا المرتضى بن المطهر رحمه الله في القرن السادس، ولعل وفاته رحمه الله كانت أواخر هذا القرن بعد عام ٥٧٠هـ، والله أعلم.

ومن أولاده يحيى بن المرتضى الآتية ترجمته وأمه الشريفة حسنة بنت حسين بن جعفر[٢].

ويوسف بن المرتضى وله بقية في درب ظالم[٣].

---

(١)مشجر الجلال -خ-

(٢) مشجر الجلال-خ-

(٣) مشجر الجلال-خ-

يحيى بن المرتضى بن المطهر والد الإمام المظلل بالغمام

هو والدنا السيد العلامة الحجة إمام المعقول والمنقول أبو الأئمة ونجل الأئمة يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق ".

كان رحمه الله سيداً عالماً عاملاً زاهداً ورعاً يصلح للإمامة العظمى وقد عدم في عصره من يوازيه في فضله وعلمه ونشأ في بيت العلم والزهد والورع وأخذ العلم عن والده وكانت روايته عنه وروى عنه ولده الإمام المظلل بالغمام كما ذكر العلامة إبراهيم بن القاسم.

وتزوج الشريفة درة بنت الحسن البحيبح بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن المنتصر بالله يحيى بن المختار بن الناصر وتزوج أيضاً بنت المطهر بن الإمام أحمد بن سليمان .اهـ مشجر الجلال.

قال العلامة المؤرخ ابن أبي الرجال رحمه الله: السيد الإمام المحقق الفاضل يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن علي بن الناصر بن الهادي والد الإمام المظلل بالغمام المطهر بن يحيى رضوان الله عليهم، كان عالماً مجتهداً فاضلاً لا نظير له من حسنات الأيام ومحاسن العترة الكرام.اهـ.

قلت: لم يذكر العلامة ابن أبي الرجال رحمه الله محمداً وأباه المطهر بن علي بن الناصر في نسب المترجم له كما تراه، ولعله سهو من النساخ حيث وقد ترجم رحمه الله لهما كما أوضحناه.

وكانت وفاة المترجم له رحمه الله بعد عام٦١٤هـ وذلك لأن مولد ولده الإمام المطهر بن

يحيى في هذا العام.

قال العلامة الجلال: يحيى بن المرتضى له من الولد الإمام المتوكل على الله المطهر بـن يحيى وأمه الشريفة درة بنت الحسن البحيـبح وأحمـد درج صـغيراً وقاسـم درج أيضـاً ومحمد وأمه بنت المطهر بن الإمام احمد بن سليمان وكان يلقب بـالمعتز بـالله، استشـهد بين يدي أخيه المتوكل عـلى الله في جبـل بـيش ومشـهده مشـهور مـزور هنـاك، وأبـو الفضائل الحسن وله من الولد المطهر وعبدالله ولا عقب لهما.اهـ.

الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام المطهر بن يحيى عليه السلام [٦١٤-٦٩٧هـ]

هو الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام أبو محمد المطهر بن يحيى بـن المرتضى- بـن المطهر بن القاسم بن المطهر محمد بن المطهر بن علي بن الناصر بـن الهـادي يحيـى بـن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبـراهيم بـن الحسـن بـن الحسـن بـن علي بن أبي طالب .

أمه %: الشريفة درة بنت الحسن البحيـبح بـن يحيـى بـن يحيـى بـن النـاصر بـن الحسن بن عبدالله بن المنتصر بالله يحيى بن المختار بن الناصر بن الهادي.

مولده %: ولد % سنة ٦١٤هـ في ربيع الأول.

بعض فضائله وأحواله وتلامذته

هو الإمام الصوّام، القوّام، أحد عضماء الإسـلام، ورواد الفكـر الإسـلامي، كـان

معروفاً بالفضل والعلم، مشهوراً بالورع والكرم، ونشأ في بيت العلم وترعرع فيه وتربى على الزهادة والورع، اكرمه الله بكراماته وحضر وقعة الإمام المهدي أحمد بن الحسين وناصره وأخذ عنه، وعن مشائخ عدة منهم والده العلامة يحيى بن المرتضى وروى عنه، والقاضي العلامة إبراهيم بن علي الأكوع وروى عنه، والعلامة علي بن أحمد طميس وله رواية عنه، ثم قرأ على الإمام .

وممن أخذ عن الإمام %، الفقيه محمد بن أحمد بن أبي الرجال في كتب الأئمة وشيعتهم، وروى عنه وكان العلامة ابن أبي الرجال يقول : أنا تلميذ إمام وشيخ إمام تحدثا بنعمة الله عليه وللإمام % رواية عن عمران بن الحسن.

وله تلامذة أجلهم ولده الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر، ولده المنتصر بالله إبراهيم، وكان محباً له لا يفارقه في أكثر أحواله، وروى له بعض المؤرخين قصص مع أبيه عجيبة، والإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني وقرأ أيضاً على ولده الإمام محمد بن المطهر والسيد أحمد بن محمد بن الهادي بن تاج الدين والسيد جمال الدين علي بن أحمد طميس وهو أحد مشائخه أيضاً ويتصل نسبه بالإمام الناصر الأطروش والسيد صلاح بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين والقاضي العلامة الحسن بن عبدالله بن زيد العنسي وكان عالماً عاملاً أثنى عليه الإمام ونوّه بذكره وصحبه في أيام تنعم، وقرأ عليه أيام الحرب هنالك أصول الأحكام والمجموع وكان الفراغ من السماع آخر شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وستمائة.

بيعته عليه السلام

قال العلامة صارم الدين الوزير:

وفي المطهر لم تعدل وقد علمت أن المطهر زاكي الفعل والأثر
من ظللته السحاب الغر حائلة من دونه وغدت ستراً لمستتر
يوم تنعم والأبطال عابسة وقد تقدم والضلال في الأثر

لما توفي الإمام الحسن بن بدر الدين % قال الإمام إبراهيم بن تاج الدين للإمام المطهر بن يحيى أدع فأنت أولى مني وأكبر سناً فقال الإمام المطهر %: أنا غير داع أدع أنت أنفع للمسلمين مني فادع أنت فلما أسر الإمام إبراهيم سنة ٦٧٦هـ دعا إلى الله في شهر جماد الأولى وساس الأمور أحسن سياسة وسار بالأمة سيرت آبائه.

قال العلامة الزحيف: ومال إليه سادات العترة وأفاضل أتباعها وعيون أشياعها، ومن طرائف كرمه وزهده أنها وضعت في كفه المطهرة دراهم فسها عنها حتى عرقت عليها كفه فانتبه من سهوه فرمى بالدراهم عن يده وقال: ما هذه بشيمة المتوكل وفيه يقول بعضهم:

سألت عنه فقالوا ليس نثلمه إلا بأمرين مشهورين فاعترف
سخاء كف وإن لم يبق باقية وبذل روح وإن أدى إلى التلف

اهـ.

وقال عليه السلام لولده محمد بن المطهر أيام صغره وهو يعلمه ويهذبه: يا بني والله ما أعلم بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً واحداً في النار من آبائك . ذكر ذلك في سيرته.

ولما دعا إلى الله كتب دعوته المشهورة العظيمة التي أصدرها إلى العلماء والمتعلمين والكافة من المسلمين، ومما قال فيها:

ولما رأيت أهل العصر قد ظهرت فيهم البدع خشيت استئصال شأفة المسلمين بعلو

كلمة الظالمين، فشمرت بطلب القائم من أهل البيت عن ساق حتى هدرت شقائق الشقاق، ونفقت في سوق البغي سلع الظلم والنفاق، وأرجف الظالمون على المسلمين بإرعاد وإبراق، وعقدت للقائم بالإذعان مني مجتهداً ، ورضيت بأن أكون ما بقيت من ورثة الكتاب مقتصداً، فلم أجد منهم قائماً بذلك أبداً، وانظم إلى ذلك وجود الناصر من العترة الأكابر، ومن شايعهم من ذوي النجدة والنصائر، فتعينت الحجة حينئذٍ علي، وانتهت نصرة الدين إلي، فاستخرت الله تعالى وفزعت إليه، واستعنت به وتوكلت عليه، ونشرت هذه الدعوة الصادقة الجامعة –إن شاء الله– غير الفارقة، داعياً إلى سبيل ربي بالحكمة والموعظة الحسنة، هاجراً في حماية الدين لذيذ النوم والسنة ﴿**تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ**﴾[آل عمران: ٦٤] وهلم إلى العمل بالكتاب، الكريم وسنة رسوله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، أجيبوا داعيكم ولبوا مناديكم واتبعوا هاديكم ... إلخ.

وكان % من أفصح أئمة العترة فلما وردت عليه الرسالة القادحة من الباطنية أجاب عليها وقال مصدراً لها: أما بعد فإن الرسالة القادحة وردت إلى المشهد المقدس المنصوري –سلام الله على ساكنه– بمحروس ظفار، حاسرة لثامها، عاثرة بزمامها، كاشرة في ابتسامها، ترمي في غير سدد، وتكبوا في القاع الجدد، لابسة في ظاهرها ثوب الدين الشريف، ويشف من تحتها مذهب منشيها السخيف، قد جمع فيها من اغباش جهالاته، وآجن ماء ضلالاته، ما يدل على باطن إلحاده، ويشهدبعناده وإجحاده تارة يشير إلى نفي صفات الكمال، ومرة يقدح في عدل الكبير المتعال، حتى قال إلى غير ذلك من الترهات وزخارف الجهالات، ويتصور أن ذلك يخفى على أهل العقول، وأن أحداً عندها لا يحسن أن يقول، ولا في ميدان نقض شبهها يجول :

وإذا مـــا خـــلا الجبـــان بـــأرض طلـــب الطعـــن وحـــده والنـــزالا

وكان كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه.

ومـــن لم يتـــق الضحضـــاح زلـــت بـــه قـــدماه في البحـــر العميـــق

اهـ.

وعاصر الإمام % الدولة الرسولية.

ودارت حروب كثيرة بينه وبين المظفر الرسولي وبينه وبين ولده المؤيد بـن المظفـر الرسولي المتولي صنعاء من قبل أبيه، وهـو الـذي دارت بينـه وبـين الإمـام % المعركـة المشهورة في جبال تنعم، فإنه لما أراد المؤيد الغدر بالإمام ومـن معـه في تـنعم وإبـادتهم أرسل الله سحاباً كثيفاً على الإمام وصحبه، فخرجوا من بينها ونجوا جميعاً ولله الحمد، وبهذه الكرامة التي أكرم الله بها والدنا الإمام لقب بـ(المظلل بالغمام) وكان معه في هذه الوقعة الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني % وهو شاب أيام قراءته عـلى الإمـام فقال فيه الإمام المطهر ما معناه: إن هذا الولد فيه خطـه وفهمـه ونباهتـه وسـيكون لـه شأن.

ومن ثم قال صارم الدين رحمه الله في بسامته في الإمام يحيى %:

ومـــا ابـــن حمـــزة إلا عـــالم علـــم مخايل اليُمن لاحـت فيـه مـن صـغر

ومن مؤلفاته عليه السلام:

١-درة الغواص في أحكام الخلاص-خ-

٢-الرسالة المزلزلة لأعضاء المعتزلة أرجوزة في نحو ٢٥٠ بيتاً نظم فيها عقائد الزيديـة

ورد فيها على بعض عقائد المعتزلة.

٣-المسائل الناجية.

٤-دعوة الإمام المتوكل على الله (رسالة دعوته ذكر بعضها العلامة الزحيف).

٥-الكواكب الدرية.

وفاته وعمره وموضع قبره

توفي % يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة٦٩٧هـ وكان له من العمر ثلاث وثمانون عاماً وستة أشهر ولبث إماماً إحدى وعشرين سنة.

وقبر % في (دروان) حجة وتسمى الآن (قدم) حجة –بضم القاف وفتح الدال- وقبره هناك مشهور مزور.

أولاده عليه السلام

١-محمد وهو الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر مولده سنة ٦٥٨هـ قام بالإمامة بعد والده سنة ٧٠١هـ ، ومكّن الله له بسطته وافتتح عدن والجهات اليمانية وله كرامات واسعة وله المؤلفات المفيدة المشهورة، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ.

٢- المنتصر بالله والدنا إبراهيم الآتية ترجمته..

٣- أحمد وكان قائداً مع أخيه الإمام المهدي محمد وله مواقف مشهورة معه.

٤- الحسن.

٥-القاسم.

الأمير المنتصر بالله إبراهيم
بن الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام
المطهر بن يحيى بن المرتضى

هو والدنا العلم العلامة القائد الشجاع الليث الهصور البطل المقدام الأمير المنتصر بالله إبراهيم بن الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام المطهر بن يحيى.

كان سيداً شجاعاً زاهداً ورعاً عالماً عاملاً أمير الجيوش قائداً محنكاً أخذ العلم عن أبيه وعن أخيه الإمام المهدي محمد بن المطهر وتولى مع أخيه قيادة الجيش وناصره وعاضده ولقب بالأمير المنتصر بالله وحالفه النصر والظفر.

وكان محبباً إلى والده الإمام وكان مولعاً به وذكر في (مطلع الأقمار) قصة عجيبة له ذكرها في ترجمة عبدالله بن المطهر الحمزي حاصلها أنه غاب عن أبيه يوم الجمعة ورجع الجمعة الثانية ومعه ذو الفقار.

وقاد معارك في دروان وسهل شمسان وجبل مسور وجبل عمر ومأذن وبني صعصعة وغيرها وانتصر فيها كلها ذكر ذلك وشيئاً من سيرته العلامة المؤرخ يحيى بن الحسين والعلامة المؤرخ الكبير محمد زبارة في أحداث سنة ٧١١هـ، ٧١٣، ٧١٦هـ. ولعل وفاته رحمه الله بين عامي ٧٢٠هـ-٧٤٠هـ والله أعلم.

قال العلامة الجلال رحمه الله: ولإبراهيم بن الإمام المتوكل على الله-يعني من الأولاد- محمد وهو والدنا الآتية ترجمته ولمحمد إدريس وعبدالله وهو والدنا، وعلي ولعلي إدريس بن علي بن محمد بن إبراهيم بن الإمام المتوكل على الله والقاسم بن محمد.اهـ.

محمد بن الأمير المنتصر بالله إبراهيم

هو والدنا عز الدين محمد بن إبراهيم بن الإمام ولقب عـز الـدين محمـد، وعـرف بذلك فكان ذلك سبب غلط بعـض المـؤرخين عنـد ذكـرهم للنسـب فيقولـون (عـز الدين بن محمد) هكذا بإضافة كلمة (ابن) ولكن لم أجده صحيحاً بعد بحث طويل.

وقد ذكر العلامة المؤرخ النسابة الجلال في مشجره أولاد المنتصر بـالله إبـراهيم بـن الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام ثم ذكر أولاد محمـد بـن إبـراهيم بـن الإمـام ولم يذكره مع العلم أن مستند المؤلف في ذلك هو الإمام الواثق بالله المطهر بـن محمـد بـن الإمام المهدي محمد بن الإمام المطهر بن يحيى.

وقد نقلت من مشجر الجلال فوائد عظيمة في هذه التراجم اليسيرة وقد غابت عـن أنظار الباحثين وجعلته مرجعاً لي في أولاد المطهر بن علي بن الناصر بن الإمام الهادي" إلى أن بلغ إلى عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن الإمام المتوكل على الله المطهـر بـن يحيـى وكانت النسخة التي نقلت منها واعتمدت عليها هي بخـط العلامـة الـولي محمـد بـن الحسن العجري رحمه الله وهو نقل من نسخة بخط كاتب الإمام الهـادي إلى الحـق عـز الدين بن الحسن ، وكاتب الإمام نقل من نسـخة المؤلـف، والمؤلـف كـان مرجعـه في مشجر أحفاد المطهر بن علي بن الناصر هو الإمام الواثق بالله المطهر ونـاقلاً مـن خـط يده الشريفة وأوضحت هذا ليعلم المطلع أن ما ذكرناه هو الصحيح.

وفي سيرة الإمام المطهر بن محمد بن سليمان وأمه الشريفة المطهـرة الفاضـلة صـفية بنت داود بن عز الدين محمد بن إبراهيم وكرر ذلك مراراً في السيرة.

هذا وكانت حياة والدنا عز الدين محمد بن إبراهيم في القرن الثامن الهجري وكانت

وفاته أواخر هذا القرن وذلك لأن وفاة والده الأمير إبراهيم بعد عام ٧٢٠هـ بيسير كما بيناه.

أولاده:

١-عبد الله الآتية ترجمته.

٢-إدريس.

٣-علي وله إدريس بن علي بن محمد بن إبراهيم.

٤-القاسم.

٥-داود.

عبد الله بن محمدبن إبراهيم

هو والدنا فخر الدين عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن الإمام المظلل بالغمام، كان سيداً فاضلاً عارفاً، ذكره العلامة الجلال فقال: ولمحمد -يعني بن إبراهيم- إدريس وعبدالله... إلخ.

وكانت حياته في أواخر القرن الثامن ولعل وفاته في بداية القرن التاسع، وقد ذكره النسابة أبو علامة في مشجره .

ومن أولاده أحمد الآتية ترجمته.

أحمد بن عبدالله

وهو والدنا السيد الفاضل صفي الإسلام أحمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن المظلل بالغمام.

عاش في القرن الثامن الهجري، وذكره رحمه الله النسابة أبو علامة في مشجره.

ومن أولاده المطهر الآتية ترجمته.

المطهر بن أحمد بن عبدالله

والدنا السيد الفاضل التقي ضياء الإسلام المطهر بن أحمد بن عبدالله ذكره المؤرخ النسابة أبو علامة في مشجره وكانت حياته في القرن التاسع الهجري وهو والد نهشل المشهور الآتية ترجمته.

نهشل بن المطهر

والدنا السيد الفاضل التقي العارف نهشل بن المطهر، كان سيداً فاضلاً شهيراً، إليه يرجع آل المطهري وقد بارك الله في نسله وقد خرج من ذريته أئمة هدى ومصابيح دجى منهم والدنا الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد المجدد للقرن الثالث عشر. وكذلك مسند آل محمد أمير الدين بن عبدالله بن نهشل الذي تخرج على يديه أئمة منهم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد وكذلك الإمام الحسن علي بن داود.

قال الإمام مجد الدين المؤيدي رحمه الله رحمة الأبرار ما لفظه: هذا ونهشل بن المطهر هو جد السيد العالم المبرز شيخ الإمام القاسم بن محمد –أمير الدين– المتوفي سنة تسع وعشرين وألف –بن عبدالله بن نهشل سكن حوث .اهـ.

وكانت حياته في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر وقد ذكره المؤرخ أبو علامة في مشجره، ومن أولاده رحمه الله الباقر الآتية ترجمته وعبدالله وهو جد بيت الحوثي وبيت المطهر.

الباقر بن نهشل

والدنا السيد الفاضل الباقر بن نهشل وهو أخو السيد عبدالله بن نهشل الجامع لآل الحوثي وآل المطهر، كان سيداً، فاضلاً، تقياً، وكانت حياته رحمه الله في القرن العاشر الهجري، وذكره رحمه الله المؤرخ أبو علامة في مشجره.

عبد الرحيم بن الباقر

هو والدنا السيد الفاضل عبدالرحيم بن الباقر حفيد السيد نهشل، كان سيداً، فاضلاً، وذكره المؤرخ أبو علامة في مشجره وكانت حياته رحمه الله في القرن العاشر.

صلاح بن عبد الرحيم

كان والدنا صلاح الدين بن عبد الرحيم رحمه الله سيداً عارفاً فاضلاً تقياً عالماً،

وعاش في القرن العاشر وسكن شهارة وكانت وفاته بداية القرن الحادي عشر وذكره المؤرخ أبو علامة في مشجره .

ومن أولاده شرف الإسلام الحسين بن صلاح.

الحسين بن صلاح بن عبدالرحيم

هو والدنا العلم العلامة والحجة الفهامة شيخ الشيوخ وأستاذ أهل الرسوخ وإمام المعقول والمنقول وشيخ آل الرسول شرف الدين والدنيا الحسين بن صلاح بن عبدالرحيم بن الباقر المطهري رحمه الله .

أخذ العلم عن علماء عصره منهم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وبرع في كل الفنون وفاق علماء عصره وتولى القضاء بشهارة والتدريس فيها، وتخرج على يديه عديد من العلماء ومن أجل تلامذته القاسم بن المؤيد.

قال السيد العلامة إبراهيم بن القاسم في الطبقات ما لفظه: قرأ على إمام زمانه المتوكل على الله إسماعيل في الفقه وقرأ على العلامة الحسن بن علي العبالي وعلى العلامة يحيى بن محمد حنش وعنه أخذ والدنا القاسم والمؤيد والقاضي محمد بن علي الغفاري والسيد جمال الدين علي بن عبدالله بن أمير الدين والسيد عامر بن عبد الله وكان سيداً علامة ورعاً زاهداً فهامة حاكماً بشهارة ومع ذلك فلا يترك التدريس وكان ذا خلق مرضي وخلق رضي متواضعاً حسن الهيئة.اهـ.

قلت: وقد أكثر في طبقات الزيدية من تعداد مشائخه وتلامذته في تراجمهم وقد اقتصرنا على ما ذكره في ترجمته؛ لأن شهرة المرء تغني عن ذكر صفاته ومناقبه وآثاره.

قال السيد العلامة المؤرخ يحيى بن الحسين: وكان هو الحاكم بالشريعة والقاضي بها مدة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم إلى هذا التاريخ وكان لا بأس به في القضاء والحكم على بصيرة، كما اتفق له أن رجلاً كان يدَّعي آخر عليه ديناً في ذمته فينكره ولا يعترف له بشيء والقاضي يأمر المدعي بإحضار البينة فلا يجدها وقال للقاضي: إن هذا الدين لازم للمذكور وكان إذا طالبه وحده اعترف به ولا ينكره، وإذا طالبه عند الناس أنكره وما عرف بعلاجه فاحتال السيد وأمر عدلين من المقربين عنده وقال له: أدخلهما بيتك واجعلهما في كمة دارك وأدخل الخصم وجابره واصنع له من الطعام ما تراه ثم طالبه بالدين في المكان الذي يسمع منه العدلان ليأتوا إلي بالحقيقة ففعل ما أمره السيد وطالبه فاعترف بذلك وقال له دينك المطلوب عندي وقدره كذا وكذا ولا مخالفة فقال له: اجعل لي وضعاً في الدين فقال أما هذا فلا والشاهدان يسمعان ذلك كله ثم أخرجه من داره وخرج الشهود الذين خبأهم للسماع وطالبه عند القاضي فأنكره وحلفه أيضاً ثم جاء المدعي بذينك الشاهدين فشهدا بالدين وما سمعاه من الاعتراف والإقرار على الصفة المذكورة فحكم القاضي عليه بذلك وأمره بالتسليم والحبس حتى يوفي وهذا من عجائب القضايا وللسيد المذكور تفسير على القرآن جمع فيه تفاسير بعض الأئمة فنقل فيه من تفسير الهادي والإمام أبي الفتح الديلمي والحسين بن القاسم في جزأين.اهـ.

وتوفي رحمه الله بشهارة في شهر رجب سنة ١٠٩٣هـ وقبره يماني قبة الإمام القاسم % رحمهماالله رحمة الأبرار.

ومن أولاده الحسن الآتية ترجمته.

الحسن بن الحسين

والدنا السيد الفاضل الكامل العارف شرف الإسلام الحسن بن الحسين بن صلاح

.

كان رحمه الله سيداً فاضلاً عالماً كاملاً نشأ رحمه الله في بيت علم وزهد وورع وربما أخذ عن والده الحسين رحمه الله واستفاد منه.

وكانت حياته رحمه الله في القرن الحادي عشر الهجري وكانت وفاته في بداية القرن الثاني عشر.

وذكره العلامة النسابة أبو علامة في مشجره. وله أولاد فضلاء كملاء علماء ذكر ذلك العلامة علي بن عبدالله بن القاسم بن محمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % في كتابه (بلوغ الأرب وكنوز الذهب) جاء ذلك عند ذكره لولده العلامة أحمد بن الحسن الآتية ترجمته حيث قال: وله –أي أحمد بن الحسن– أخوان وأولاد فضلاء.

أحمد بن الحسن بن الحسين

هو والدنا العلامة الفاضل الكامل صفي الإسلام أحمد بن الحسن بن الحسين بن صلاح كان رحمه الله سيداً عالماً عارفاً فاضلاً كاملاً وسكن هجرة بني يعمر وتولى القضاء بشهارة في منتصف القرن الثاني عشر ذكر ذلك العلامة علي بن عبدالله بن القاسم بن محمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد % في كتابه (بلوغ الأرب وكنوز الذهب) ثم قال: وله أخوان وأولاد فضلاء كملاء.

ولعل وفاته كانت أواخر القرن الثاني عشر .

وله من الأولاد علي بن أحمد ومحمد بن أحمد.

محمد بن أحمد بن الحسن

هو والدنا الفاضل الكامل عز الإسلام محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين بن صلاح.

كان رحمه الله سيداً فاضلاً كاملاً عالماً عاملاً ورعاً تقياً، ولعل وفاته كانت بداية القرن الثالث عشر.

ومن أولاده أحمد والد الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد.

قلت: وهو أخو السيد العلامة الأديب الأريب علي بن أحمد بن الحسن بن الحسين مولده ١٠ رمضان ١١٤٢هـ، وكان عاملاً فاضلاً ناثراً ناظماً اديباً أريباً ترجمه مؤلف (الحدائق المطلعة من زهو أبناء العصر شقائق) فقال: هو الحاكم لكن في الحفظ والبحر لكن في إخراجه الدرر من اللفظ، لم أرَ مثله في الإطلاع وطول الباع في حفظ الأشعار والنوادر ومعرفة الأنساب قدم إلى كوكبان فسمعت منه ما ينسحب عنده سحبان وتوفي بمحروس شهارة في يوم الإثنين ٢٩ المحرم سنة ١٢١٢هـ رحمه الله وإيانا والمؤمنين آمين. اهـ.

أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن والد الإمام المحسن عليه السلام

السيد الفاضل صفي الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن.

كان سيداً فاضلاً زاهداً كاملاً، هو والد الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد %.

وكانت ولادته رحمه الله في أواخر القرن الثاني عشر الهجري تقريباً ولعل وفاته رحمه الله كانت بين عامي ١٢٤٠-١٢٥٠هـ والله أعلم.

الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام

وأما الإمام المتوكل على الله المحسن فقد اكتفيت بترجمته في مقدمة السيرة فتطلب من هناك.

سيف الإسلام عبدالله بن الإمام المحسن

هو السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن أمير المؤمنين، كان سيداً عالماً مجتهداً فاضلاً شجاعاً ليثاً هصوراً مقداماً ولد في ٩ شهر الحجة الحرام سنة ١٢٨٠هـ وبعثت التهاني إلى والده بمولده وجدت ذلك بخط الإمام % ونشأ وترعرع في حجر والده واستفاد منه وأخذ عنه وعن علماء عصره ونسخ بيده كتباً عديدة لدي بعضها منها.

وناصر وعاضد الإمام المنصوربالله محمد بن يحيى والإمام الهادي شرف الدين عشيش والإمام محمد بن القاسم % وقاد لهم معارك عظيمة، وكان حليفه النصر، وذكر المؤرخ زبارة شيئاً من سيرته في أئمة اليمن واستقر آخر عمره بمدينة حوث وكانت وفاته بها سنة ١٣٣٩هـ وطلب مني شيخنا العلامة ترجمة له حال تأليفه روائع البحوث وقال عافاه الله في ترجمته ما لفظه: والعجب مع كثرة السيرة والتواريخ التي ذكرت مواقف هذا السيد لم يفرد له ترجمة مستقلة .اهـ.

ودفن بـ(جربة معمر) وقبره معروف مزور ورثاه السيد العلامة أحمد بن محسن الشرعي رحمه الله بقصيدة ذكرناها في تراجم آل المتوكل، وأولاده محمد ويحيى وأحمد.

محمد بن عبد الله

هو السيد العلامة المجتهد العابد الزاهد الورع التقي محمد بن عبد الله بن الإمام ولد سنة ١٣٠٠هـ نشأ في حجر والده وأخذ العلم عن أبيه وعن علماء عصره، وقد طلب مني شيخنا العلامة أطال الله عمره ترجمة له حال تأليفه (روائع البحوث في تاريخ مدينة حوث) وذكرت له فيها ما جرى بينه وبين الإمام يحيى حميد الدين فيما أرويه عن والدي عن والده لئلا يغتر أحد بما رواه عن الأكوع.

وتنقل في البلدان (الجوف –أرحب –صنعاء- حوث) وبها كانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٦٨هـ، ودفن في (المغبَّرة) وقد أخبرني سيدي ومولاي حجة عصره ووحيد دهره شيخنا العلامة الحسن بن القاسم السراجي رحمه الله أنه اطلع على سيرة لوالدنا عز الإسلام ولكن لم أقف عليها، وأولاده (محمد والدي وأخيه عز الدين).

محمد بن محمد بن عبدالله بن الإمام

هو والدي السيد العلامة العابد الزاهد الصبور السخي الكريم التقي الورع عز الإسلام محمد بن محمد بن عبدالله رحمه الله، ولد رحمه الله سنة ١٣٤٦هـ سادس شوال ونشأ في حجر والده وأخذ عنه وأكمل كتاب الله وتزامل مع شيخنا العلامة الحسن بن القاسم السراجي رحمهم الله جميعاً من أيام الطفولة ثم لحق بأبيه وتنقل معه حتى عرف كثيراً من أعراف البلاد وعاداتهم وتقاليدهم وأصبح مرجعاً في كثير من القضايا العرفية، واشتغل بفصل الخصومات وعاد إلى حوث بعد قيام الثورة سنة ١٣٨٣هـ واستقر بها وأخذ من علمائها وكان كثير المجالسة لشيخنا العلامة الحسن بن القاسم رحمهم الله جميعاً.

وأما زهده وورعه وصبره فلم أرَ أحداً في عصرنا هذا يساويه فلم يشكُ حاله إلى

أحد إلّا إلى الله تعالى مع قلة ذات اليد، ولم يلتحق بالوظائف مع الدولة وكان صاحب ثقة بالله.

وأما صبره على الأمراض والابتلاء فمنذ أن عرفته ما سمعته شكى إلى أهله أو إلى أحد من أصدقائه بمرض أو يتوجع من ألمٍ أمام أحد، ولقد كان يمر عليه الأسبوع ولا نعرف ما يؤلمه حتى نكرهه على التداوي فيمتثل حياءً وقد صبر على الأمراض ما يقارب خمس عشر سنة.

وكان له ولوالدتي الشريفة الطاهرة العابدة محصنة بنت علي عشيش عافاها الله اليد الطولى في تربيتي وتهذيبي وتعليمي والإنفاق علي وغرس حب العلم والعلماء في قلبي فجزاهما الله عني أفضل ما جزى والداً عن ولده، اللهم وإن سبقت مغفرتك لهما فشفعهما فيّ وإن سبقت مغفرتك لي فشفعني فيهما .

وفي آخر أيامه اشتد مرضه وثقل لسانه وبقي يردد قول الله تعالى: ﴿**رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ**...﴾الآية [نوح: ٢٨].

وبقيت على لسانه أكثر من ثلاثة أيام وبعد صلاة عصر يوم الأحد الرابع من محرم الحرام سنة ١٤٣١هـ لفظ أنفاسه الأخيرة وصعدت روحه إلى بارئها إلى فسيح عفوه ومغفرته، وفي صباح يوم الإثنين دفن رحمه الله بمقبرة(المغبرة) جوار السيد العلامة الولي محمد أحمد أبو علي وقد رثاه الأستاذ الأديب حسين علي الشرعي بقصيدة منها:

دهانا بهذا اليوم خطب وفادح ... ثوى فيه عز الدين والمجد والفخر

ووالدنا عز المعالي والهدى ... سليل الإمام المحسن الكوكب البدر

قضى بعد أن أمضى من العمر خيره ... بطاعة رب العرش يطلب الأجر

سموحاً كريماً مؤمناً متعبداً ... وتالٍ لقرآن الإله وللذكر

ففي ذمة الرحمن صرت فقيدنا ... وسكناك في الفردوس تنعم بالبشر

عليـك مـن الـرحمن تـترا مـراحم وتغشاك في الآصال والعصر والفجـر

وصـــلى عليـــك الله بعـــد محمـــد كذاالآل أهل الفضل والمجد والفخـر

وأولاده محمد وعبد الرزاق وراجي عفو ربه كاتب الأحرف عبد الرحمن.

وإلى هنا نكتفي بما أوردناه من تراجم آبائنا رحمهم الله، وقداختصرنا غاية الاختصـار وقـد توسعت في تراجمهم في النسخة المخطوطة التي لدي، ولم أختصر إلا خشية الإطالـة وأتمنـى أن أكون قد قمت ببعض ما يلزمني لهم وأسال الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكـريم وأن يتقبل منا وأن يسددنا ويوفقنا فهو خير مأمول.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ولا حول ولا قـوة إلا الله العـلي العظـيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

وكتب راجي عفو ربه ومغفرته وتسديده

عبد الرحمن محمد محمد عبد الله المتوكل عفى الله عنه

وغفر له ولوالديه آمين

الفهرس